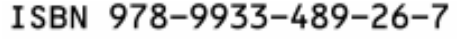


تيجان الولاء
في شرح بعض فقرات
زيارة عاشوراء






رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغدادلسنة ٢٠١١: ٢١٨٩

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢٦٧

BP
٦ / ٢٧١
٨ ب /
٩ ت
٢٠١٢ م

البلداوي، وسام، ١٩٧٤ - م.

تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء / تأليف وسام برهان البلداوي؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو]. - ط ١. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٢ج. — (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٩٥).

المصادر.

١ . زيارة عاشوراء — نقد وتفسير. ٢. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ — ٦١ ق. الزيارة — أحاديث. ٣. زيارة عاشوراء — فتاوى الشيعة. ٤ . عاشوراء — فلسفة. ٥. زيارة عاشوراء — فضائل — أحاديث الشيعة. ٦. زيارة عاشوراء — مصادر. ٧. زيارة عاشوراء — شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - م.، مقدم. ب. محمد بن علي (ع)، الإمام الخامس، ٥٧ — ١١٤ق. زيارة عاشوراء. شرح. ج. العنوان. د. العنوان: زيارة عاشوراء. شرح.

BP ٢٧١ / ٦ / ٨ ب ٩ ت

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

تيجان الولاء
في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

تأليف

الشيخ وسام برهان البلداوي

الجزء الأول

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

نص زيارة عاشوراء

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ، وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ، ـ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ[1] ـ، عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ.

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ. بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ.

---

(١) وردت في نص آخر غير الذي إعتمدناه ولكننا أوردناها هنا وشرحناها في محله تعميما للفائدة فتنبه.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَلَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْراً وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوَالَاتِكَ وَبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وَبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وَجَرَى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَشْيَاعِكُمْ بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوَالاتِكُمْ وَمُوَالَاةِ وَلِيِّكُمْ وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَالنَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ.

إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ

مِنْكُمْ وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الأَكْبَادِ اللَّعِينُ بْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ وَمُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الآبِدِينَ، وَهَذَا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيَادٍ وَآلُ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ضَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالْعَذَابَ الأليم.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هَذَا وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمُوَالاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عليهم السلام.

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلامُ اللَّهِ مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلاً ثُمَّ الثَّانِيَ ثُمَّ الثَّالِثَ ثُمَّ الرَّابِعَ اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ خَامِساً وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشِمْراً وَآلَ أَبِي سُفْيَانَ وَآلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ تَسْجُدُ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتِي اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ الْوُرُودِ وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

مقدمة اللجنة العلمية

من عاشوراء الطفوف .. حتى عاشوراء الظهور..

الإعلام والإعلام المضاد.. مفردتان تتناوبان على مجمل الحركة الفكرية التي تشهدها الساحة الإسلامية منذ تاريخها نشوءاً بل استمراريتها حدوثاً وبقاءً، والمقصود من الساحة الإسلامية هي الساحة التي تحكمها الحالة الشيعية، تلك الحالة التي تُعد من أبرز متغيرات التحولات العقائدية عند بروز المذاهب الإسلامية، والمقصود من المتغيرات هنا: المتغيرات التي حافظت على أساسيات الاعتقاد الإسلامي الذي معه بدت الحالة الشيعية تأخذ صدارة الأحداث، فالقرارات السياسية الجائرة التي تعمل على طمس الحقائق الإسلامية رافقتها حالة الانكفاء والتحيز إلى النكوص والالتواء على الثوابت العقائدية، دون الأخذ بنظر الاعتبار مصادر التشريع وامتداداته المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، في حين بقيت الحالة الشيعية – وبالرغم من ظروف المطاردة والإقصاء – تتألّق بثقافتها الإعلامية المصادرة، لكنها المصدّرة ضمن مشروعها الإعلامي العظيم الذي أسسه أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن خلال قنواتها الإعلامية – الفكرية التي تفرّد بها هذا الكيان المطارد لكنه صاحب المبادرة في طرح الفكرة.. الحادثة.. المظلومية.. القضية.. وكل ما لهذا التاريخ من اعتبارات التأسيس والتأصيل ومن ثم الاستمرار، «فعاشوراء» القضية الأبرز من بين القضايا

الشيعية تأخذ على عاتقها مظلومية أمة تمتد من عاشوراء الطف حتى عاشوراء الظهور.. أي من كربلاء الحسين الشهيد المنتصر.. حتى كربلاء المهدي القائد المنتصر، ولابد لهذه القضية من آليات الإعلام الحي، ومعنى «الإعلام الحي» ذلك الإعلام المنتصر بأدوات الحقيقة وتفاعلات الحدث، فإعلامنا اليوم يتابع القضية من خلال رؤية شخصية، أو واقعة عامة، أو صيغة خاصة تتأرجح بين الاحتمال واليقين، أو بين الممكن وغير الممكن، أو بين الخطأ والصواب، في حين الإعلام العاشورائي يقدّم الحقيقة كما هي لكنها الحية التي تعيش في الضمائر والوجدانيات.. فزيارة عاشوراء تلك الفلسفة المختزلة بين حنايا سطور النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تقدّم الصيغة المعتمدة في قراءة الحدث وبكل تفاصيله، والمختزل بكل بلاغته، والممتد بكل عنفوانه في مطاوي النفس كما هو ممتد في آفاق الزمن المطارِد والمطارَد بحيثياته الحقيقية والموضوعية.

وزيارة عاشوراء، بما لها من مزايا الطرح الموضوعي بل والتاريخي الا انها بحاجة إلى قراءة تأخذ على عاتقها شروحات الألفاظ كما هي شروحات الأحوال التي رافقت واقعية هذا الطرح المعصومي الرائع.. لذا فإن كتاب تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء لجناب الشيخ وسام البلداوي يوقفنا على حقائق التاريخ بصيغها الموضوعية، وبكل حيثياتها العاطفية.. لكنها الموضوعية...

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

النجف الأشرف

المقدمة

ان ليوم عاشوراء من عام واحد وستين للهجرة خصوصية امتاز بها عن سائر الأيام، إذ لولاه لمحق الدين وضاعت أحكامه، ولولاه لنحر بنو أمية الإسلام نحر الأضاحي، ولولاه لما رفع على المآذن اليوم صوت يشهد لله سبحانه بالتوحيد وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، ولولاه لأصبح دين الناس اليوم هو دين يزيد بن معاوية عليه اللعنة، الذي لا يعرف إلا السكر والمجون واللعب بالكلاب والقرود.

فبعاشوراء عرف الناس معالم دينهم، وبعاشوراء حفظت حرمة الإسلام، وبعاشوراء وحد الله سبحانه وتعالى حق توحيده، وبعاشوراء أقيمت الصلاة وبقيت الفرائض، وبعاشوراء افتضح أرباب الفسق وانكشف أهل الريب والنفاق، وبعاشوراء حفظت حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن تنتهك من قبل الشجرة الملعونة في القران، ولو أننا بقينا نعدد فوائد ذلك اليوم لما وقف بنا الحال عند حد معين، فما زالت السنين تمر وفي كل يوم يتضح معنى جديد من معاني عظمة ذلك اليوم، وفي كل يوم يخرج علينا باحث ودارس يكشف الجديد مما غاب عن أقرانه الذين سبقوه، ولسوف لا تتوقف هذه الاكتشافات في يوم من الأيام، إلى أن يقوم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه فيكشف جوهر العظمة وسر الخلود لذلك اليوم الذي حير عقول العظماء والبسطاء على حد سواء.

وهذه العظمة وتلك الأهمية ليوم عاشوراء امتدت لتشمل كل ما يمت لهذا اليوم بصلة من قريب أو بعيد، وزيارة عاشوراء التي نحن بصدد شرح مضامينها ليست بمستثناة عن هذه القاعدة، فعظمتها مستوحاة من عظمة ذلك اليوم، ومضامينها تحمل أسرار ذلك اليوم الذي لم يكشف الزمان كل جزئياته إلى يوم الناس هذا.

كما ان لهذه الزيارة العظيمة علاقة وثيقة وشبها كبيرا مع أصل واقعة عاشوراء، فواقعة عاشوراء لم يزل أهل العلم وأرباب العقول وهم يكتشفون معنى جديدا من معانيها لم يكن مكتشفا من قبل، وكذلك الحال بالنسبة لزيارة عاشوراء، فلم تزل الأقلام تكتب أسرارها وتبين عظيم مضامينها والى يوم الناس هذا لم تنفد جميع أسرارها ولا فنيت كل مضامينها، وستبقى الإنسانية تنتهل من مناهل هذه الزيارة العظيمة، ما دام للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذكر، وما دام ليوم عاشوراء وجود.

ولا تتوقف عظمة هذه الزيارة على مجرد ما تحويه من مضامين عالية وحقائق مهمة، بل قد ثبت بالنقل والتجربة ان لها أثارا تكوينية عجيبة سواء في قضاء الحوائج ونيل المقاصد الدنيوية، أو في رفع الدرجات وحط السيئات في عالم الآخرة، وهو أمر قد ذكره الباحثون من قبل، وليس في ذلك غرابة ولا استكثار على زيارة اهتم بها الجليل من فوق سبع سماوات، واهتم بها أهل البيت عليهم السلام فقد روي عن صفوان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال له: (تعاهد هذه الزيارة وادع بهذا الدعاء وزر به فإني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ولا يخيبه. يا صفوان، وجدت هذه

الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام مضمونا بهذا الضمان عن الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام مضمونا بهذا الضمان والحسن عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام مضمونا بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله مضمونا بهذا الضمان ورسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام مضمونا بهذا الضمان وجبرئيل عن الله عز وجل مضمونا بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه عز وجل أن من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله ثم لا ينقلب عني خائبا، وأقلبه مسرورا قريرا عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعتق من النار وشفعته في كل من شفع خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شهدت به ملائكة ملكوته على ذلك، ثم قال جبرئيل: يا رسول الله ـ إن الله ـ أرسلني إليك سرورا وبشرى لك، وسرورا وبشرى لعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك وشيعتكم إلى يوم البعث)[1].

ثم قال صفوان: قال لي أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (يا صفوان إذا حدث لك إلى الله حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت وادع بهذا الدعاء وسل ربك حاجتك تأتك من الله، والله غير مخلف وعده ورسوله صلى الله عليه وآله بمنه والحمد لله...)[2].

فهذه الزيارة إذن هي ليست كباقي كلامهم المعتاد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كان كل كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نوراً وحكمة وموعظة، إلا أن هذه الزيارة لها سنخية

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص ٧٨١.

(٢) المصدر السابق ص٧٨٢.

الأحاديث القدسية التي أوحى الله سبحانه بها إلى جبرائيل ونزل بها جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأودعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلفائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم أفيضت من قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى شيعتهم شأنها شأن باقي العلوم التي لولاهم لما اطلع على حقيقتها احد من العالمين.

وزيارة عاشوراء على وفق تلك الضمانات التي تقدمت في حديث صفوان السابق لو أردنا أن نشبهها بباقي أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث قوة النقل والإسناد لما كان لها شبه إلا بما يعرف بحديث سلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه[1]، ففي كلتا الروايتين ينقل فيهما الإمام الرواية عن الإمام الذي قبله وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ينقلون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل وجبرائيل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، فإذا كان حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه إنما سمي بحديث سلسلة الذهب لان رواته هم من بمنزلة الإمام عن الإمام عن النبي عن جبرائيل عن الله سبحانه، فحقيق على كل منصف أن يسمي زيارة عاشوراء بزيارة سلسلة الذهب لنفس العلة ولاتحاد الملاك في كلتا الحالتين.

---

(١) حديث سلسلة الذهب رواه الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي (ص ٣٠٥ – ٣٠٦) حيث قال: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل «رحمه الله»، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه، قال: لما وافى أبو الحسن الرضا «عليه السلام» نيسابور، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك... فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهم السلام» يقول: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: سمعت جبرئيل «عليه السلام» يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها).

ثم ان أهمية كون زيارة عاشوراء حديثاً قدسياً هو صدق مضامينها وما احتوت عليه من وقائع، سواء الوقائع الكونية، أو الوقائع التاريخية، لان كلام الله عز وجل صادق لا يتخلف ولا يحتمل الكذب، وهو أمر بديهي عند كل المسلمين لا يحتاج بيانه إلى البرهان.

وفي كون مضامينها صادقة لا تحتمل الكذب خدمة كبيرة للموغل بحثا في أعماق التاريخ، فالحقيقة التي ينشدها كل الأحرار في العالم موجودة في طيات هذه الزيارة، لان الباحث المنصف طالما عانى وما زال يعاني من المجاملة التي تحيط بالنص التاريخي، فالنص التاريخي كما هو معروف سواء في أثناء تدوينه وكتابته في المراحل الأولى، أو في أثناء نقله إلى الغير جيلا بعد جيل، قد تعرض إلى التشويه والتشويش والاضطراب لأسباب جمة ودواعٍ مختلفة من الترغيب والترهيب، مما أدى في كثير من الأحيان إلى ضياع أصل الحقيقة ومجيء صورة أخرى لا تمت بصلة إلى تلك الحقيقة.

وبناءً على ما سبق يمكن لنا أن نضع قاعدة مهمة هي: لو تعارض النص التاريخي المتداول بين أيدي الناس مع مضمون فقرات الزيارة ومفرداتها، فلا يمكن حينئذ أن نرفع اليد عن الزيارة بحجة ان التاريخ ـ الذي قد عرفت حاله ـ لا ينسجم مع تلك الزيارة أو بعض فقراتها، بل في حال التعارض بين فقرات الزيارة الشريفة وما بين النص التاريخي، لابد وان نقدم نص الزيارة وما احتوته من معلومة على ذلك النص التاريخي المتعارض، وذلك لان زيارة عاشوراء كلام قدسي صادر من اعلى سلطة تكوينية وتشريعية في هذا الكون وهو الله سبحانه، والذي يعلم كل خافية وكل صغيرة وكبيرة في هذا العالم، فلا يمكن والحال هذه أن يتسرب إلى إخباراته الكذب بحال من الأحوال، بعكس النص التاريخي الذي ثبت بالتحقيق تعرضه لكثير من

حالات الكذب والتزوير والإخفاء العمدي أو السهوي لكثير من تفاصيله وحيثياته وبالخصوص التي تحدثت عن ظلامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسوء ما واجهتهم به الأمة ولزمن طويل.

وعليه فإذا ما أراد كل باحث عن الحق أن يتعرف على حقيقة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية من دون رتوش أو مجاملات فما عليه إلا أن يمعن الفكر والنظر في ما احتوته زيارة عاشوراء من حقائق، لأنها قد حكت لنا الواقع بما هو، وبما ينبغي على المؤرخ المنصف أن ينقله.

فنتيجة لكل ما لهذه الزيارة الشريفة من الأهمية العظيمة والمنزلة الرفيعة ارتأيت أن أدلو بدلوي لأُسهم في شرح مقاصد هذا السفر العظيم وتبيان إشاراته، غير أني لم أكمل شرح جميع ما احتوته هذه الزيارة الشريفة، لأسباب كثيرة منها ما هو متعلق بإمكانية كاتب هذه السطور العلمية والمعرفية، إذ إني أرى ونتيجة معايشتي الطويلة لهذه الزيارة وفقراتها قلة بضاعتي تجاه ما تحتويه هذه الزيارة من أسرار وإشارات وحقائق يعجز عن فهمها وإدراكها من هم بمثل منزلتي، فعند الله سبحانه وعند الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه التمس العذر في عدم إكمال الشرح والإيضاح لجميع فقرات هذه الزيارة التي حيرت عقول فطاحل العلم وجهابذة الفكر قديما وحديثا فكيف بمن هم مثلي من قليلي الزاد؟!، هذا سبب، والسبب الآخر أن الاستغراق في شرح جميع فقرات هذه الزيارة الشريفة وكلماتها تأخذ من الباحث سنين طويلة من عمره، فيما لو أراد أن يعطي الزيارة حقها، ويحيط بكل جوانبها، وهذا ما لم يكن لنا صبر عليه، لأني والى هذه الساعة أمضيت ما يقارب السنتين في شرح فقرات هذه الزيارة الشريفة وإيضاحها، ولكني لم ابلغ منها النصف، فكيف لو قدر ومضينا لإتمام جمع فقراتها وألفاظها، فاني سأحتاج ولا ريب إلى ثلاث أو أربع سنين أخرى

لإتمام الباقي، وهو وقت طويل، لذلك استشرت بعض الأخوة الأفاضل ممن له الباع الطويل في البحث والتأليف في الاستمرار ومواصلة البحث او التوقف والاكتفاء بما تم شرحه، فأشار علي جزاه الله خيرا بالاستخارة وطلب المشورة من الله سبحانه، فاستخرت الله سبحانه وقد اختار لي وهو علام الغيوب ان التوقف والاكتفاء بما تم شرحه وإيضاحه هو المتعين، وان التفرغ لأبحاث أخرى هو اللازم، ولا عجب في ذلك فالهجمة اليوم من أعداء المذهب باتت بأوجها، وان تكالب النواصب لمحق دعائم هذا المذهب الحق قد بلغ منتهاه، فأصبح من الضروري بل من الواجب أن يبذل كل من له القدرة على الدفاع غاية مجهوده لرد أباطيل أولئك النواصب الأشرار وتفنيدها، وفقنا الله سبحانه لذلك، ونسأله سبحانه العون والتوفيق، والمدد والمعونة من سادتي وأئمتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

عبدكم يا سادتي الشيخ وسام برهان البلداوي

من داخل حرم مولاي الحسين الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

٩ صفر الخير ١٤٣٢ للهجرة النبوية الشريفة

١٤ كانون الثاني ٢٠١١ ميلادي



منهجنا في البحث

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

منهجنا في البحث

لا يخفى أن كل نص أو حديث تاريخي أو ديني مركب في الحقيقة من أمرين :

الأول : سند هذا الحديث والحاوي على مجموعة من الرجال الذين قاموا بإيصال ذلك الحديث إلينا.

الثاني : متن ذلك الخبر والحديث ، والمتضمن لجملة أو عدة جمل لفظية ، نطق بها المتكلم أراد من خلالها إفهام الآخرين لمقصده سواء في ذلك السامع المباشر أو الأعم منه.

وزيارة عاشوراء غير خارجة عن هذا التركيب ، وقد اعتاد من أراد إثبات صحة صدورها عن المعصوم الدخول في معترك حرب السند ورجال الرواية ، فهم ما بين قاطع مسلم ، أو مشكك نافٍ ، أو مثبت لبعض أجزائها ومنكر للبعض الآخر ، وقد دارت بين هؤلاء وهؤلاء مناوشات كلامية يطول سردها ولا طائل من ذكرها.

غير أننا رأينا أن نعالج قضية إثبات صدور هذه الزيارة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والقطع بصحة كل ما احتوت عليه من مضامين من جهة أخرى تغنينا والقارئ الكريم عن الخوض في معترك الرجال ومصطلحات هذا الفن ، وذلك بثلاثة طرق :

الأول: عرض لأقوال مجموعة من العلماء الأعلام وآرائهم وفتاواهم بخصوص صحة زيارة عاشوراء من حيث السند والمتن، وهذه الأقوال والفتاوى تعدّ كما لا يخفى على عاقل شهادة يمكن الاعتماد عليها من الناحية العلمية، لان هؤلاء الأعلام حينما يصححون الإسناد والمتن لأي خبر من الأخبار والنصوص الدينية فإنهم لا شك قد بذلوا الجهد في التقصي والبحث عن كل حيثيات ذلك السند أو المتن وملابساتهما وبشكل علمي متخصص، ووفق قواعد الجرح والتعديل المعروفة والمعمول بها في علمي الدراية والرجال، فإذا ما اقر هؤلاء الأعلام صحة رواية ما فإن المكلف لا شك يطمئن إلى صحة ما صححوه، بوصفهم من أهل الخبرة وممن قضى العمر في هذا الميدان، وهذا ما يغنينا عن البحث اعتمادا على أقوالهم وما وصلوا إليه من النتائج[1].

الثاني: إثبات مضمون كل فقرة من فقرات هذه الزيارة العظيمة في بقية الأدعية والزيارات الصادرة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون وجودها في تلك الزيارات وذكرها في تلك الأدعية أو الروايات شاهد صدق على صحة صدورها عن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: إثبات صدق تحقق هذه المضامين في الخارج، فحينما نأتي مثلا إلى عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) نجد أنّ الذي أشارت إليه هذه الفقرة قد تحقق فعلا، فقد ثبت تاريخيا ان هنالك مجموعة من الأولياء عرفوا باسم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان هنالك ظلماً وجوراً قد مارسته الأمة ضدهم، وان هنالك من أسس لهذا الظلم والجور، فنستنتج من صدق وقوع ذلك خارجا صدق صدورها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

(١) هذه الوثائق والفتاوى سيتم عرضها بعد إكمال منهجنا في البحث وتوضيحه.

هـذا هـو منهجنـا لإثبـات هـذه الزيـارة الـشريفة ومعالجتهـا مـن حيـث صـحة صدورها عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من حيث متن هـذه الزيـارة الـشريفة، ولان كلامهـم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أشبه شـيء بـالقرآن الكـريم، فكمـا أن للقـرآن ظـاهراً وباطنـاً، كـذلك لكلامهـم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معنى ظاهر ومعنى أو عدة معانٍ باطنة، كما قـال المحقـق البحراني في (الحدائق الناضرة): (فإن أخبارهم كالقرآن لها ظهر وبطن)[1]، وقال الحسن بن سليمان الحلي في (مختصر البصائر): إن أحاديث الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وأهل بيته صلوات الله عليهم تحذو حذو القرآن العزيز، ففيها المحكم والمتشابه، والخاص والعام، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، إلى غير ذلك)[2]، لذلك وجب التفتيش قدر المستطاع عن كل ما يمكن أن يكون معنى محتملاً لعبارات الزيارة وفقراتها، وذلك بالاستعانة بالآيات القرآنية والنصوص الروائية والمعاجم اللغوية والنصوص التاريخية وكل ما يكون من شأنه أن يساعدنا على فهم النص أكثر، ولسوف يثبت بالدليل الذي لا يقبل الشك ان هذه الزيارة العظيمة المضامين أوسع وأعمق من أن تفهم بالقراءة السطحية العابرة، وان مضامينها ما زالت ومنذ صدورها إلى اليوم بل إلى يوم القيامة طرية حية.

---

(١) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج ٧ ص ٤٣٩.

(٢) مختصر البصائر للحسن بن سليمان الحلي ص١٩.

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

١: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله بخصوص سند الزيارة

في سؤال وجه إلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله حول صحة سند كل من الزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء ومضمونهما وما هو الرأي العلمي فيهما.

فأجاب مكتب الاستفتاء التابع له دام ظله بالآتي :

باسمه تعالى : زيارة عاشوراء والجامعة الكبيرة من أهم الزيارات وأحسنها وأصحها سندا ومتنا ومضمونهما وارد في كثير من الروايات الصحيحة فينبغي للمؤمنين المداومة عليهما ولا يصغون لتسويلات المغرضين.

وهذا هو نص الفتوى المباركة :

www.sistani.org

From: الاحد، ٢٧ ذو القعدة، ١٤٢٥ ٠١:٢٥ م
Sent:
To: sistani@sistani.org
Subject: عن مضامين الزيارتين ودعاء كميل

موقع مكتب
سماحة آية الله العظمى
السيد السيستاني (دام ظله)
ايران - قم المقدسة

ما رأي سماحتكم في :
الزيارة الجامعة من حيث السند والمضمون حيث وجدنا البعض يطرح إشكالات على السند والمضمون فإذا وجد أين وما تعليقكم .

وكذلك زيارة عاشوراء ما هو الرأي العلمي فيها .

وليلة الجمعة من يقدم ((في حال التزاحم الزيارة او دعاء كميل)) حيث ذكر البعض ان الجامعة تقدم والدعاء يقرأ ولو فرادة فالخلوة فيه مطلوبة
شاكرين ومقدرين ٢٧ ذوالقعدة ١٤٢٥هـ

بسمه تعالى

ج ١/ زيارة عاشوراء والجامعة الكبيرة من أهم الزيارات وأحسنها وأصحها سنداً ومتناً ومضمونهما وارد في كثير من الروايات الصحيحة فينبغي للمؤمنين المداومة عليهما ولا يصغوا لتسويلات المغرضين :

ج ٢/ الروايات تدل على مطلوبية الإخفاء في قراءة الدعاء إلا في بعض الموارد :
منها (الصلاة على محمد وآل محمد)
ومنها : الدعاء للمسكن والدار التي يحتاجه الانسان
ومنها : دعاء عرفة حيث قرأها الامام الحسين "عليه السلام" بصوت عال .
فدعاء كميل يستحب فيه القراءة إخفاتاً وسرّاً أما الزيارة فقد يكون الاجهار بها والاجتماع عند قراءتها محققاً لعنوان إحياء أمر الأئمة وتعظيم الشعائر فيكون مطلوباً شرعاً .



٢: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

وفي سؤال آخر وجه لسماحة السيد السيستاني دام ظله حول تحفظ البعض وتشكيكه في دعاء التوسل والشهادة الثالثة في الأذان والزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.

فأجاب مكتب سماحة السيد السيستاني دام عزه بالآتي:

باسمه تعالى: إن أمثال هؤلاء لابد من التحرز والاحتراز عنهم وترك معاشرتهم وعدم اخذ معالم الدين منهم فإنهم لا يقصدون الخير والصلاح للأمة بمثل هذه الشبهات والتحفظات وإلا فالسؤال الأساسي: ما هو المانع من قراءة دعاء التوسل حتى لو كان من تأليف بعض العلماء مع ان المحدث القمي يسنده إلى المعصوم (عليه السلام).

وما المانع من الشهادة الثالثة في الأذان بدون قصد الجزئية مع أن الأدلة المعتمدة تثبت استحبابها بل ظاهرها وجوب الشهادة الثالثة بعد الشهادتين؟ وهل المجتمع الشيعي أو الإسلامي سوف يتضرر من ذكر الشهادة الثالثة.

وهكذا الزيارة الجامعة التي قال عنها الأعاظم كالمجلسي ووالده وغيرهما إنها من اصح الزيارات متنا وإسنادا، وهل قراءتها يوجب الكفر والشرك أو الانحراف؟! وهل ذكر المعصومين (عليهم السلام) بهذه الأوصاف والنعوت التي تثبت أكثرها بالدلائل القطعية للأئمة يكون فيه ضرر وفساد حتى تتحفظ منه؟!

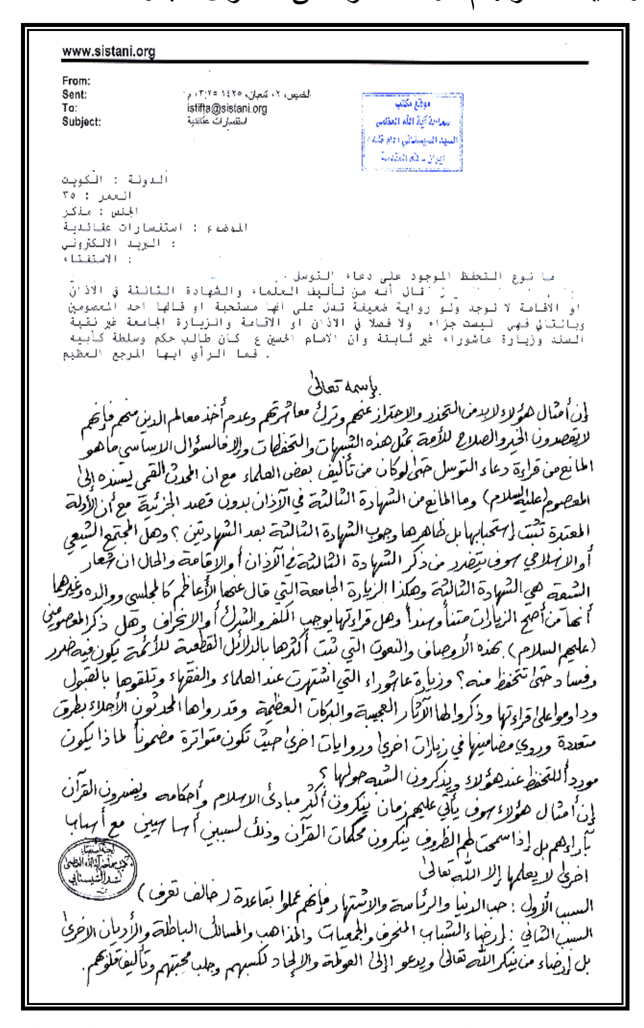
وزيارة عاشوراء التي اشتهرت عند العلماء والفقهاء وتلقوها بالقبول وداوموا على قراءتها وذكروا لها الآثار العجيبة والبركات العظيمة وقد رواها المحدثون الأجلاء بطرق متعددة وروي مضامينها في زيارات وروايات أخرى حيث تكون متواترة مضمونا، لماذا يكون موردا للتحفظ عند هؤلاء ويذكرون الشبه حولها؟

ان أمثال هؤلاء سوف يأتي عليهم زمان ينكرون أكثر مبادئ الإسلام وأحكامه

ويفسرون القرآن بآرائهم بل إذا سمحت لهم الظروف ينكرون محكمات القرآن وذلك لسببين أساسيين مع أسباب أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى :

السبب الأول : حب الدنيا والرئاسة والاشتهار فإنهم عملوا بقاعدة (خالف تعرف).

السبب الثاني : إرضاء الشباب المنحرف والجمعيات والمذاهب والمسالك الباطلة والأديان الأخرى بل إرضاء من ينكر الله تعالى ويدعو إلى العولمة والإلحاد لكسبهم وجلب محبتهم وتأليف قلوبهم. وهذا هو نص الفتوى المباركة :



www.sistani.org

From:
Sent: الخميس، ٠٢ شعبان، ١٤٢٥ ٠٣:٢٥ م
To: istifta@sistani.org
Subject: استفسارات عقائدية

موقع مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) إيران - قم المقدسة

الدولة : الكويت
العمر : ٣٥
الجنس : مذكر
الموضوع : استفسارات عقائدية
البريد الالكتروني :
الاستفتاء :

ما نوع التحفظ الموجود على دعاء التوسل . . . قال أنه من تأليف العلماء والشهادة الثالثة في الاذان او الاقامة لا توجد ولو رواية ضعيفة تدل على انها مستحبة او قالها احد المعصومين وبالتالي فهي ليست جزءاً ولا فصلاً في الاذان او الاقامة والزيارة الجامعة غير ثقية السند وزيارة عاشوراء غير ثابتة وان الامام الحسين ع كان طالب حكم وسلطة كأبيه . فما الرأي ايها المرجع العظيم

باسمه تعالى

إن أمثال هؤلاء لابد من التحذر والاحتراز عنهم وترك معاشرتهم وعدم أخذ معالم الدين منهم فإنهم لا يقصدون الخير والصلاح للأمة بمثل هذه الشبهات والتخطئات وإلا فالسؤال الاساسي ما هو المانع من قراءة دعاء التوسل حتى لو كان من تأليف بعض العلماء مع ان المحدث القمي يسنده إلى المعصوم (عليه السلام) وما المانع من الشهادة الثالثة في الآذان بدون قصد الجزئية مع أن الأدلة المعتبرة تثبت استحبابها بل ظاهرها وجوب الشهادة الثالثة بعد الشهادتين ؟ وهل المجتمع الشيعي أو الاسلامي سوف يتضرر من ذكر الشهادة الثالثة في الآذان أو الإقامة والحال ان شعار الشيعة هي الشهادة الثالثة وهكذا الزيارة الجامعة التي قال عنها الأعاظم كالمجلسي ووالده وغيرهما أنها من أصح الزيارات متناً وسنداً وهل قراءتها يوجب الكفر والشرك أو الانحراف وهل ذكر المعصومين (عليهم السلام) بهذه الأوصاف والنعوت التي ثبت أكثرها بالدلائل القطعية للأئمة يكون فيه ضرر وفساد حتى تتحفظ منه؟ وزيارة عاشوراء التي اشتهرت عند العلماء والفقهاء وتلقوها بالقبول وداوموا على قراءتها وذكروا لها الآثار العجيبة والبركات العظيمة وقد رواها المحدثون الأجلاء بطرق متعددة وروي مضامينها في زيارات اخرى وروايات اخرى حيث تكون متواترة مضموناً لماذا يكون مورداً للتحفظ عند هؤلاء ويذكرون الشبه حولها ؟

إن أمثال هؤلاء سوف يأتي عليهم زمان ينكرون أكثر مبادئ الاسلام وأحكامه ويفسرون القرآن بآرائهم بل إذا سمحت لهم الظروف ينكرون محكمات القرآن وذلك لسببين أساسيين مع أسباب اخرى لا يعلمها إلا الله تعالى

لجنة استفتاء مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني

السبب الأول : حب الدنيا والرئاسة والاشتهار فإنهم عملوا بقاعدة (خالف تعرف)

السبب الثاني : إرضاء الشباب المنحرف والجمعيات والمذاهب والمسالك الباطلة والأديان الأخرى بل إرضاء من ينكر الله تعالى ويدعو إلى العولمة والإلحاد لكسبهم وجلب محبتهم وتأليف قلوبهم.

٣: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد سئل سماحته عن التشكيك والطعن في زيارة عاشوراء والزيارة الجامعة الكبيرة والطعن في سنديهما ودعوى وقوع التزوير والزيادة فيهما وغيرها من الشبهات.

فأجاب مكتب سماحته دام عزه بالآتي :

زيارة عاشوراء معتبرة سندا ومتنا على مباني سماحة السيد الحكيم دام ظله ، والمنصرف من اللعن هو غير المؤمن منهم لو فرض وجود مؤمن فيهم واقعا.

والظاهر اعتبار سند زيارة الجامعة مضافا إلى أن متن الزيارة شاهد بأنه من كلام الأئمة عليهم السلام بملاحظة أسلوبها البياني ومضامينها العالية ، وكذلك زيارة عاشوراء.

مع انه لا يشترط في الدعاء والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون واردا بسند صحيح. وهذا هو نص الفتوى المباركة :

العنوان الالكتروني: @hotmail.com
اسم المرسل:
تاريخ الارسال: ٩ / شعبان / ١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة مرجعنا الديني آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد الدعاء لكم بالحفظ والصحة والأمن والأمان ، نتوجه إليكم بالسؤال الآتي :

لا يخفى عليكم ما يقوم به أتباع الباطل من التشكيك في الدين وتعاليمه ، وقد قام بعض الأفراد مؤخرا بالتشكيك والطعن بزيارة عاشوراء وبالزيارة الجامعة الكبيرة ، فقيل ان سندهما غير صحيح ، وقيل انه تم التزوير والزيادة فيهما من قبل بعض علماء الطائفة ، وقيل ان فيهما لعن واللعن أسلوب غوغائي يستخدمه أبناء الشوارع ولا يليق بالمعصوم !! ، وقيل ان فيهما غلو وشطح في مقامات آل البيت عليهم السلام ، وغيرها من الشبهات والتي تطرح من أناس يدعون أنهم شيعة !!

فهل من إجابة تشفي صدور المؤمنين من أيتام آل محمد ؟ هل من رد على هذه الشبهات وهذه الحملة والتي تدار إعلاميا بشكل واسع ؟!

والسلام عليكم ورحمة الله

السائل / في التاسع من شهر شعبان المبارك ١٤٢٨ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ج ــ زيارة عاشوراء معتبرة سنداً ومتناً على مباني سماحة السيد الحكيم دام ظله والمنصرف من اللعن هو غير المؤمن منهم لو فرض وجود مؤمن فيهم واقعاً.

والظاهر اعتبار سند زيارة الجامعة مضافاً إلى أن متن الزيارة شاهد بأنه من كلام الأئمة عليهم السلام بملاحظة أسلوبها البياني ومضامينها العالية، وكذلك زيارة عاشوراء.

مع أنه لا يشترط في الدعاء والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام أن يكون وارداً بسند صحيح.

وفقكم الله تعالى لكل خير وصلاح وهدانا وإياكم سبل الرشاد

لجنة الاستفتاء
ومكتب سماحة المرجع الديني
١٦ شعبان ١٤٢٨

٤: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد وُجّه إلى سماحته أيضا سؤال عن مدى اعتبار زيارة عاشوراء الموجودة في كتاب مفاتيح الجنان وغيره من كتب الدعاء والزيارة، وهل وقع فيها تزوير أو زيادات في بعض مقاطعها؟.

فأجاب مكتب سماحة آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم دام ظله بالآتي:

...لقد صرح سماحة السيد الحكيم (دام ظله) بالوثوق بصدور الزيارة الجامعة كما ان زيارة عاشوراء المشهورة معتبرة على مبانيه الرجالية بكامل فقراتها.

وهذا هو نص الفتوى المباركة:

From: محمد
تاريخ الارسال: ٢٩/جمادي الأول/ ١٤٢٦

س١: هل يجوز لعن المؤمن المنحرف او الفاسق او ... او متى يجوز.

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ج ١ ـ لا يجوز لعن المؤمن.

س٢: بعض الاستفتاءات التي تصلنا بختم مكتبكم يوجد من يشكك او يضعف ما يصدر من مكتبكم المبارك ما تعليق سماحتكم.

ج ٢ ـ بالنسبة للاستفتاءات الواردة لمكتب سماحة السيد الحكيم (دام ظلّه) يوجد هيئة للإجابة على الاستفتاءات مؤلَفة من العلماء والأفاضل، فان كان لسماحة السيد الحكيم (دام ظلّه) جواب سابق لمورد السؤال أو كان قد تعرض له في كتبه الفقهية فيكتب الجواب، وإلاَ فيحَول إلى سماحته للإجابة عليه، ولذلك فيكون العمل مبرءاً للذمة.

س٣: هل((زيارة عاشوراء))الموجودة في كتاب مفاتيح الجنان وبعض الكتب الخاصة بالزيارات معتبرة لدى سماحتكم وهل يوجد بها زيادات او تزوير في بعض مقاطعها وكذلك بالنسبة((لزيارة الجامعة الكبيرة)) ١٤٢٦.

ج ٣ ـ لقد صرح سماحة السيد الحكيم (دام ظلّه) بالوثوق بصدور الزيارة الجامعة كما ان زيارة عاشوراء المشهورة معتبرة على مبانيه الرجالية ـ بكامل فقراتها ـ.



٥: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي رحمه الله تعالى

وقد سئل رحمه الله تعالى عن صحة سند زيارتي عاشوراء والجامعة ومضمونها في ضمن أسئلة أخرى فأجاب رحمه الله بالآتي :

بعض الزيارات كزيارة عاشوراء والزيارة الجامعة معتبرة ومروية في كتاب المزار ومضمونها صحيح قطعا. وفيما يأتي نص هذه الفتوى المباركة :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى
الميرزا جواد التبريزي "دام ظله"

التاريخ : 05/07/29 ، 1:35 م
رقم الصفحة : 32556
الموضوع :

أجوبة عن استفتاءات الشبكة

السلام عليكم ورحمته وبركاته وبعد...
قد سئل احدهم بعض الأسئلة في العقيدة فأجاب ((هنا نص السؤال والجواب))
نرغب بوضع رأيكم المبارك في هذا الرد وإذا كان الجواب بالخلاف نتمنى طرح رأيكم المبارك ورفع اللبس فنحن في حيرة.

س 1 : مقام الأئمة من حيث الرتبة أعلى من جميع الأنبياء ما عدا الخاتم صلى الله عليه وآلة.
ج 1 : ليس لنا مستند لإثبات ذلك ولا داعي للخوض فيه فهو مما لم نكلفه.

....

س 2 : مضامين دعاء التوسل ما هي الأشكال فيها حيث يداوم أغلب العلماء عليه.
ج 2 : لم نرَ أغلب العلماء يداومون عليه، وهو غير ثابت سندا ولم يصدر من الأئمة (ع) مع الملاحظة بالنسبة لأسلوب توجيه الخطاب في الدعاء لغير الله تعالى فهذا مما لم يعهد في ادعية الأئمة (ع)

....

س 3 : مشهور مراجع الطائفة على مضامين الزيارتين الجامعة وعاشوراء . وهل الآثار والكرامات التي تحكى للمداوم عليهما لها اعتبار عند سماحتكم وكيف تفسرون هذه البركات الغريبة من قراءتهما.
ج 3 : زيارة الإمام الحسين والأئمة (ع) من المستحبات المؤكدة ولها الآثار والبركات العظيمة، لكن خصوص الزيارتين المذكورتين مما لم يثبت سندا مع الإشكال في بعض المضامين المنافية لظاهر القرآن الكريم.
س 4 : سمعنا من بعض الأخوة إنكم غيرتم رأيكم حول زيارة عاشوراء وأصبحت من الزيارات المعتمدة عند سماحتكم ((ما صحت هذا))
ج 4 : ليس ذلك صحيحا.
فعلاً نحن في حيرة والأمر لكم دمتم محامينا عن عقائد الفرقة الحقة جمادى الثاني 1426 هـ.

بسمه تعالى

١ ائمتنا (عليهم السلام) افضل من الانبياء ماعدا الرسول (ص)
٢ دعاء التوسل لايحتاج الى السند فان مضامينه التوسل بالائمة الذي يدخل في قوله سبحانه وتعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) ولا نعرف وسيلة غيرهم فالمحكي عن المجلسي أنه مروي عن الائمة مضافاً الى ذلك أنه دعاء مجرب لا ينبغي التردد فيه
٣ لبعض الزيارات كزيارة عاشوراء والزيارة الجامعة معتبرة ومروية عن كتاب المزار ومضمونها صحيح قطعاً
٤ تقدم جوابه والله العالم



٦: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي رحمه الله تعالى

وقد أكد الشيخ التبريزي رحمه الله تعالى في استفتاء آخر على صحة وسلامة تمام متن وسند زيارة عاشوراء، وأفتى بعدم جواز التردد أو التشكيك فيها وحث على المواظبة على قراءتها لنيل قضاء حوائج الدنيا والآخرة.

وهذا هو نص جوابه رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ الميرزا جواد التبريزي(دام ظله)

هل زيارة عاشوراء صحيحة ومعتبرة كما هي بين أيدينا الان او ان فيها بعض الاضافات التي لا تنسجم مع مذاق اهل البيت(عليهم السلام)؟

٤ ربيع الاول سنة ١٤٢٦

مطابق ١٣may ٢٠٠٥

بسمه تعالى، زيارة عاشوراء كما هي موجودة اليوم صحيحة سندا ولا يجوز للمؤمن الموالي التشكيك فيها كلاً او بعضاً وقد وردت هذه الزيارة بالنص المعروف المشهور بتمام فقراتها في كتب المزارات القديمة المعروفة عن علماء الطائفه المعروفين بالتقوى والتثبت والتحقيق، مثل كتاب كامل الزيارات لابن قولويه والشيخ الطوسي في كتاب مصباح المتهجد ومختصر المصباح والمشهدي فى كتابه المعروف بالمزار الكبير وابن طاووس في مصباح الزائر والعلامة الحلي في كتاب منهاج المصباح والشهيد الأول حيث اوردها في كتابه المزار والكفعمي كما اوردها في كتابه جنة الامان الواقيه وجنة الإيمان الباقيه المعروف بالمصباح واوردها بالنص المعروف الان العلامة المجلسي فى كتبه مزار البحار وتحفه الزائر وزاد المعادو... وعلى هذا لا يجوز التردد او التشكيك فيها كما ان الثواب الوارد على قرائتها يعطى للقاري وفقنا الله واياكم على المواظبة عليها والإنتفاع بها فى قضاء حوائج الدنيا والاخره والله الهادي إلى سواء السبيل.

جواد التبريزي

٧: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحاني دام ظله

وقد سئل السيد الروحاني عن قطعية سند زيارة عاشوراء، فأجاب دام ظله بقوله:

زيارة عاشوراء ثابتة من طريق سند معتبر و الأصحاب عاملون به ولا إشكال فيه وعلى فرض عدم قوة السند بمقتضى قاعدة التسامح الدال عليها النبوي المعتبر يحكم باستحبابها وترتب الثواب المذكور في الروايات عليها.

وهذه نص فتواه مقتبسة من الموقع الالكتروني التابع لمكتبه دام ظله:



هل فعلا زيارة عاشوراء واللعن الوارد فيها غير مقطوعة السند

سوال: هل فعلا زيارة عاشوراء و اللعن الوارد فيها غير مقطوعة السند وغير مؤكد من صحتها و ماحكم من قال بذلك وإن كان من المشائخ المتعمقين في العلم و هل يجوز لنا الصلاة خلفه و أخذ بعض الأحكام منه؟ أفيدوني جزاكم الله خيرا.

الجواب: باسمه جلت اسمائه

زيارة عاشوراء ثابتة من طريق سند معتبر و الاصحاب عاملون به و لا اشكال فيه و علي فرض عدم قوة السند بمقتضي قاعدة التسامح الدال عليها النبوي المعتبر يحكم باستحبابها و ترتب الثواب المذكور في الروايات عليها- ففي صحيح هشام عن الامام الصادق عليه السلام من بلغه عن النبي (ص) شيء من الثواب فعمله كان اجر ذلك له و ان كان رسول الله (ص) لم يقله – و في البحار ان هذا الخبر من المشهورات رواه العامة و الخاصة باسانيد، و اما من يشكك في صحة فان كان من المتعمقين في العلم علي ما ذكرتم فهو من جهة ان غير المعصوم يصدر الخطاء منه و الخطاء من امثال هذا الشخص ضرره غير قابل للجبران و علي اي حال ان كان عدالته ثابتة من الموازين الشرعية، فهذا لا يضر بعدالته و يجوز الصلاة خلفه، عصمناالله تعالي من الخطاء و مزلة الاقدام.

المشاهدات: 447

٨: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحاني دام ظله

وقد وجه إليه بعض المستفتين سؤالا مفاده ان البعض يقولون بان زيارة عاشوراء غير صادرة عن الإمام المعصوم أو غير صحيحة ، وان هذا البعض يشكك في عبارة (ولعن الله بني أمية قاطبة) وغير ذلك. فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه :

١ : زيارة عاشوراء صادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام وسندها معتبر ووثق جدا.

٢ : من صدر عنه اللعن على بني أمية قاطبة كان عالما بجواز ذلك ونحن اعتمادا عليه نتحدث به.

٣ : لا ريب ان في الروايات المنسوبة إلى الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله كثير منها لم تصدر عنهم إحدى وظائف العلماء تشخيص الصادر عن غير الصادر وعلم الرجال انما هو لذلك.

وهذا نص فتواه كما في الموقع الالكتروني التابع لمكتب سماحته :



سياسة تكذيب الاحاديث

سوال: الكثير لدينا يثيرون الكثير من المسائل التي بها انحراف عقائدي كتحدثهم عن انه يجب ان تزال سياسة لعن اعداء اهل البيت من القاموس الشيعي و ان قلت لهم الزيارات و زيارة عاشوراء قالوا ان زيارة عاشوراء غير صادرة عن الامام او غير صحيحة و تراهم كثيرا ما يشككون في المعجزات او كرامات اهل البيت عليهم السلام و يتحدثون عن كلمة) لعن الله آل امية قاطبة) و يقولون بانه ما ادراكم و قد يكون فيهم فرد صالح؟ و قد اعتمد بعضهم سياسة تكذيب الاحاديث. فتراه لا يجلس مجلسا الا تحدث فيه عن احاديث اهل البيت و قام بتكذيبها و وصف بعضها (بالاسرائيليات) ما هو رأي سماحتكم في هذه المسائل التي يطرحونها؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

(1) زيارة عاشورا صادرة عن الامام المعصوم عليه السلام و سندها معتبر و وثيق جدا. (2) من صدر عنه اللعن علي بني امية قاطبة كان عالما بجواز ذلك و نحن اعتمادا عليه اتحدث به. (3) لاريب في ان في الروايات المنسوبة الي الائمة الاطهار عليهم صلوات الله كثير منها لم تصدر عنهم و احد وظائف العلماء تشخيص الصادر عن غير الصادر و علم الرجال انما هو لذلك.

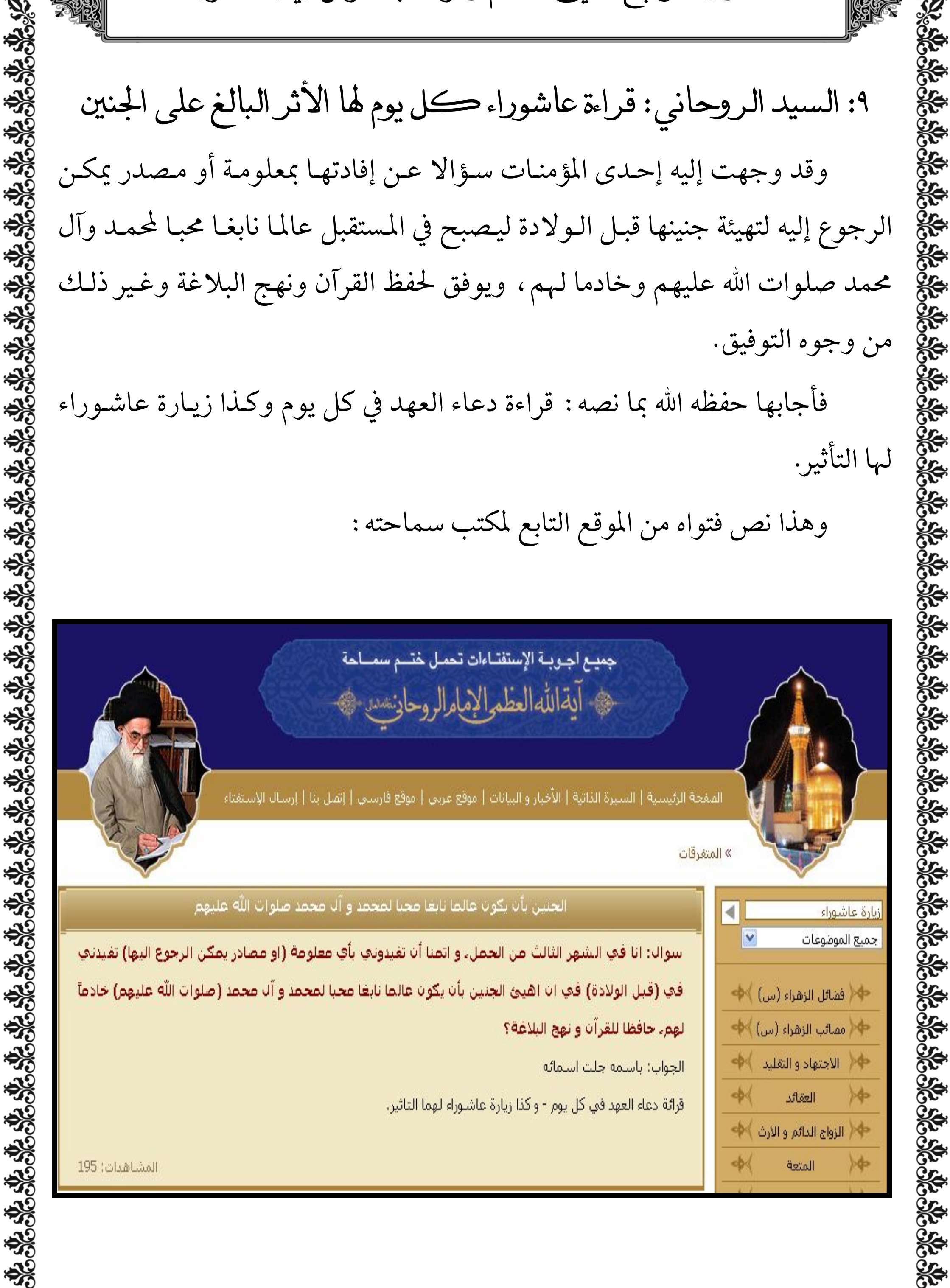
المشاهدات: 192

٩: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين

وقد وجهت إليه إحدى المؤمنات سؤالا عن إفادتها بمعلومة أو مصدر يمكن الرجوع إليه لتهيئة جنينها قبل الولادة ليصبح في المستقبل عالما نابغا محبا لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وخادما لهم، ويوفق لحفظ القرآن ونهج البلاغة وغير ذلك من وجوه التوفيق.

فأجابها حفظه الله بما نصه: قراءة دعاء العهد في كل يوم وكذا زيارة عاشوراء لها التأثير.

وهذا نص فتواه من الموقع التابع لمكتب سماحته:



١٠: السيد الروحاني: ما ذكر في فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول

وفيما يأتي نص فتواه حفظه الله كما وردت في الموقع التابع لسماحته:



١١: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة

وقد سئل حفظه الله عن صحة الصلاة خلف من يعتقد وقوع التزوير في زيارة عاشوراء.

فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه: أنا اعتقد ان من كان من أهل الفضل والكمال وتتبع ودقق النظر لا يمكن أن يعتقد بوقوع التزوير فيها. ومع عدم الاعتقاد فان نفس الإخبار بوقوع التزوير فيها يكون كذبا يمنع من الصلاة خلفه.

وهذا هو نص الفتوى المباركة كما وردت في الموقع التابع لسماحته:



أقول: هذه بعض فتاوى مراجع الدين العظام حول اعتبار ووثاقة زيارة عاشوراء من حيث الإسناد والمتن، وقد اجتمعت كلمتهم كما رأينا على تكذيب كل من يدعي ضعف طريق إسنادها، أو وقوع التزوير والزيادة في بعض فقراتها، ومثل هذه الشهادة كما لا يخفى لها قيمة علمية عظيمة، لأنها صادرة عن شهود أفنوا الأعمار في مجال البحث والدرس وتمحيص الأسانيد والتتبع للرجال والنصوص الروائية، ومثل هؤلاء العظماء لا يمكن للمؤمن الإعراض عن كلامهم والأخذ بكلام أناس لم يعرف لهم شأن علمي ولا يد طولى أو ممارسة طويلة في تمحيص الأسانيد ومعرفة الرجال مما أدى بهم إلى تضعيف أسانيد هذه الزيارة الشريفة إما جهلا أو تعمدا للخلاف وإثارة الفوضى.



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

١: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

٢: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه

٣: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

٤: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم

المحور الثاني: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

١: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي

٢: إجماع روايات أهل البيت على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم

٣: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

٤: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبا عَبْدِ اللهِ

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة مباحث منها:

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

وهذه الفقرة من الزيارة مما لا يحتاج إثبات وجودها في غير زيارة عاشوراء إلى كثير جهد، لأننا لا نجد زيارة من زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المطلقة أو غيرها من الزيارات المخصوصة خالية من هذه الفقرة، ولكن إلزاما لأنفسنا بما سبق في منهج البحث نذكر مجموعة من النصوص التي ورد فيها ذكر لهذه الفقرة، منها:

ما في مصباح المتهجد عند ذكره الصلاة على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسن والحسين عبديك ووليك وابني رسولك...أفضل ما صليت على أحد من أولاد النبيين والمرسلين... اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن

رسول الله)[1].

ومنها ما عن العلامة الحلي في منتهى المطلب عند ذكره لزيارة أبي محمد الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (كان محمد بن الحنيف يأتي قبر الحسن صلوات الله وسلامه عليه فيقول السلام عليك يا بقية المؤمنين و ابن أول المسلمين... ثم يلتفت للحسين صلوات الله وسلامه عليه ويقول السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى أبي محمد السلام)[2].

وفي الكافي بسنده عن أبي الحسن صاحب العسكر صلوات الله وسلامه عليه قال: (تقول عند رأس الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا بن رسول الله...)[3].

وعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (...اصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة ثم ترفع رأسك إلى السماء ثم أنحُ نحو القبر وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، تكتب لك زورة والزورة حجة وعمرة)[4].

ولو أردنا أن نسرد كل الروايات والزيارات التي ورد فيها لفظ (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) لطال المقام، وخرج الأمر عن حد الاعتدال، وبالجملة فقد تواترت هذه العبارة في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وزياراتهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى لا تكاد زيارة من زياراته صلوات الله وسلامه عليه تخلو من هذه الكلمات.

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٢) منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج ٢ ص ٨٩١.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ٤ ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨.

(٤) المصدر السابق ص ٥٨٩.

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

تشعبت كلمات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعدهم العلماء الأعلام حول مفهوم السلام ومعناه، وهذا الاختلاف ناتج عن الزاوية التي ينظر منها لموضوع السلام ومفهومه، وفيما يأتي جملة من المعاني التي جاء لها ذكر على لسان الروايات الشريفة وكلمات الأعلام:

١: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

المعنى المتبادر والمصداق المتعارف عند عامة الناس وهو بمعنى التحية من الشخص المسلِّم على الشخص المسلَّم عليه، وقد ورد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم كما في قوله سبحانه ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١)، وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾(٢).

والسلام بهذا المعنى علامة من علامات الأمن يعطيها الإنسان المسلِّم إلى المسلَّم عليه وفي هذا المعنى ورد الحديث عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه والمنقول عن عبد الله بن الفضل الهاشمي: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى التسليم في الصلاة، فقال: التسليم علامة الأمن وتحليل الصلاة، قلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: كان الناس فيما مضى إذا سلم عليهم وارد أمنوا شره وكانوا إذا ردوا عليه أمن شرهم، فإن لم يسلم لم يأمنوه وإن لم يردوا على المسلم لم يأمنهم،

(١) سورة يونس الآية رقم ١٠.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٣.

وذلك خلق في العرب...)[1].

فيصبح معنى قول الزائر (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) هو: (انك يا أبا عبد الله آمن من أن يصلك مني أذى كما وصل إليك من قبل أعدائك وقاتليك وناصبي الحرب لك ولأهل بيتك).

وعدم إيصال الأذى إلى أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي من شيمة المؤمن ومن صفات شيعتهم كما ورد في الحديث المروي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[2] قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: هم شيعتك فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم)[3].

٢: وقد يكون السلام هنا بمعنى الدعاء من الزائر المسلِّم للإمام المسلَّم عليه بالحفظ والسلامة من كل الآفات، وان يبعد عنه كل مكروه قد يصله من الآخرين.

٢: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه

وقد يكون سلام الزائر بمعنى التسليم من قبل الزائر لإمامه المسلَّم عليه، والتفويض له في كل أموره وجميع شؤون دينه ودنياه، وتوطين النفس على الطاعة والانقياد المطلق له صلوات الله وسلامه عليه ولمن هو في منزلته من بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم من العالمين.

---

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١٧٦.

(٢) سورة الواقعة الآية ٩٠ ـ ٩١.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج٨ ص٢٦٠.

٣: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

وقد يكون السلام بمعنى تذكر الزائر بالميثاق وتجديده مع الإمام المزور، لان الله سبحانه قد اخذ على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الميثاق على الطاعة والمرابطة والصبر ووعدهم بأن يمكّن لهم في الأرض ويستخلفهم ويجعل كلمتهم هي العليا، والسلام وفقا لهذا المعنى: تذكير بهذا الميثاق، ودعاء لتعجيل ذلك الوعد.

وفي هذا المعنى وردت الرواية عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (ما معنى السلام على رسول الله ؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله، ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لا شية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله، لعله أن يعجله عز وجل ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه)[1].

٤: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

وقد يكون السلام من قبل الزائر على إمامه المزور شهادة من المسلم لإمامه بأداء أمر الله سبحانه وإقامة سنة نبيه والخضوع والخشوع منه صلوات الله وسلامه عليه حتى استحق بذلك الأمان في الدنيا والآخرة، لان هذه الأمور من معاني السلام ومصاديقه

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤٥١.

فقد روي عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (معنى السلام في دبر كل صلاة معنى الأمان، أي من أدى أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله خاضعا له خاشعا منه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة)(١).

هذه هي أهم معاني السلام التي لها شواهد من كتاب الله سبحانه وأقوال المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد تركنا الكثير مما ذهب إليه البعض خوف الإطالة، ولان كثيرا منها عبارة عن تفسير ذوقي وقد صيغت أكثرها بعبارات فلسفية أو عرفانية معقدة لا يستذوقها عامة القراء فلذلك غضضنا الطرف عنها.

المحور الثاني: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه

ان زيارة عاشوراء وبوصفها صادرة عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فقد روعيت فيها قواعد الشريعة الإسلامية التي جعلت من السلام مقدمة لابتداء الكلام، فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه. وقال: ابدؤوا بالسلام قبل الكلام فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه)(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا: (أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام)(٣).

وبما ان الزائر لمرقد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه له من الحوائج والطلبات والذنوب ما يريد من الله قضاءها وغفرانها، لذلك لا ينبغي له البدء بالكلام عن أي طلبة أو حاجة قبل أن يسلم، وإلا كان الزائر معرضا لعدم قبول حوائجه وإجابة دعائه والتجاوز عن سيئاته عملا بالأحاديث السابقة فتنبه.

---

(١) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ص٩٥ في السلام.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٦٤٤.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

لا يخفى ان أبا عبد الله هو كنية[1] الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبها اشتهر حتى قال بعض الباحثين ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا كنية له غيرها[2]، غير ان الحسين ابن حمدان الخصيبي المتوفى سنة ٣٣٤ هجرية ذكر في كتابه (الهداية الكبرى) كنى أخرى حيث قال: (واسمه الحسين وفي التوراة شبير ولما علم موسى بن عمران عليه السلام قبل التوراة ان الله سمى الحسن والحسين سبطي محمد شبر وشبير سمى أخوه هارون ابنيه بهذين الاسمين، وكان يكنى أبا عبد الله والخاص أبو علي ولقبه الشهيد والسبط والتام وسيد شباب أهل الجنة والرشيد والطيب)[3].

وعلى أي الأحوال فإن الخطاب بالكنية دون الاسم له مداليل متعددة، وكذلك الخطاب باسم ولده عبد الله له مدلول إضافي فوق تلك المداليل التي سنوضحها فيما يأتي:

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

لقد عانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام حياته المباركة من تعامل أمته معه على أساس انه كأحدهم لا خصوصية له زائدة سوى انه ينزل عليه الوحي دونهم وقد ذكر القرآن الكريم هذه النظرة بقوله ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[4].

---

(١) قال الزبيدي في تاج العروس ج ٢٠ – ص ١٣٥(والكنية على ما اتفق عليه أهل العربية هو ما صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت على الأصح في الأخيرين... وفي المصباح: الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص وأبي حسن؛ أو علامة عليه).

(٢) الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سماته وسيرته. السيد محمد رضا الجلالي – ص ١٥

(٣) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤) سورة النور الآية ٦٣.

فكانت هذه النظرة السطحية الغافلة عن مقام ومنزلة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم تجعل البعض يتمادى في سوء أدبه فينادي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من خارج البيت باسمه المبارك من دون أي إضافة أخرى، قائلين: (يا محمد يا محمد أخرج إلينا) غير مراعين لمقام نبوته ولا لعلو قدره وعظيم شرفه، فعابهم الله سبحانه بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١)، فالعقل والذوق والعرف يحكم على الإنسان إذا وقف أمام ملك من الملوك أو شخص له منزلة اجتماعية أو دينية أن لا يخاطبه باسمه تأدبا فكيف إذا كان الخطاب مع أعظم وأكمل شخصية عرفتها الإنسانية، وعليه فمن الطبيعي أن يكون الإنسان بلا عقل حال عدم التزامه للأدب مع إنسان عظيم كهذا.

وقد تمادى بعض آخر في سوء أدبه مع نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فصار يرفع صوته فوق صوت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء محاوراته ومناقشاته مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو مع مؤمن آخر في مجلس النبي الأعظم وفي أثناء حضوره صلى الله عليه وآله وسلم، إما لطلب الغلبة، أو لعدم مراعاة القدسية لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو لطبع قد فطر عليه ذلك الرافع لصوته، لان هذا التصرف ينم عن شخصية وحشية جلفة غير ملتزمة بأدنى مراتب اللطف والأدب، ولكي يردع الله سبحانه أمثال هذه الظواهر المنافية للإيمان هدد هؤلاء الذين لا يراعون الأدب بمحضر نبيهم أن يحبط أعمالهم الصالحة إن كان لهم عمل صالح، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٢).

ثم ان الأسباب والحيثيات نفسها التي تلزم المسلم والمؤمن أن يراعي بموجبها

---

(١) سورة الحجرات الآية ٤.

(٢) سورة الحجرات الآية ٢.

قواعد الأدب مع نبيه ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، توجب عليه كذلك أن يراعي قواعد الأدب مع الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وباقي أئمة أهل البيت من ذرية الإمام الحسين عليه وعليهم السلام، وذلك لاتحادهم في الكمال والفضل والرفعة وعلو الشأن، فكل ما لا يجوز الخطاب به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك لا يجوز الخطاب به مع أهل بيته والأئمة من ذريته، وكل ما يجب التقيد به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك يجب التقيد به مع أهل بيته والأئمة من ذريته صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا التأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلما هو واجب في حياتهم كذلك هو واجب بعد مماتهم وخصوصا عند حضور المؤمن إلى رياض قبورهم للزيارة والتبرك والدعاء، فينبغي أن تكون المراعاة أشد والالتزام أكبر لان حرمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمواتا كحرمتهم حال حياتهم.

فزيارة عاشوراء وفقا لما تقدم جارية على وفق قاعدة الأدب في التعامل وحسن الخطاب مع سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وقواعد الأدب الرفيع تقضي بقبح مناداة الزائر لإمامه صلوات الله وسلامه عليه بمثل ما ينادي أحدهم الآخر بالاسم دون الكنية أو الصفة أو اللقب، فهي تريد أن تربي الإنسان الموالي على أن لا يكون في تعامله مع إمامه بمنزلة أولئك الذين كانوا ينادون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الحجرات، أو يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض.

فيكون الخطاب والسلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بكنيته وجهاً من أوجه التعظيم والتوقير والتفخيم لشخصه المقدس صلوات الله وسلامه عليه[1].

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ج ١٥ ص ٢٣٣: (الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها).

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

في حديث عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكنه، وإذا كان غائبا فسمه)[1]، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ونتيجة لعلمه بحياة جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وعلمه بالزائر له والقاصد لمشهده خاطبه في الزيارة بكنيته لا باسمه.

وحياة الأموات في قبورهم حياةً برزخية تتناسب وعالمهم مما أجمعت عليه كلمة المسلمين بجميع مذاهبهم إلا شرذمة قليلة من المتأخرين من أتباع ابن تيمية الذين ذهب بهم تعصبهم ونصبهم إلى عدّ (الاستغاثة به ــ بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ــ وطلب الشفاعة منه إلى الله والتوسل به إليه بقول يا رسول الله أو يا رسول الله إشفع لي أو أتوسل بك إلى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شركاً وكفراً وعبادة للأصنام والأوثان موجبة لحل المال والدم وأنه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتربته ولمس ضريحه وتقبيله وأن ضريحه صنم من الأصنام ووثن من الأوثان بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم وكذلك سائر الأنبياء والصالحين)[2]، وتفضيل بعض أئمتهم الجهال عصاه على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوله الشهير: (عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وإنما هو طارش وقد مضى)[3] هو أشهر من نار على علم.

وليس لنا مع هؤلاء النصاب كلام بعد أن ثبت إجماع المسلمين على ان للأموات حياةً يسمعون معها ويشاهدون من يأتيهم ويسلم عليهم ويجيبونه ويأنسون

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص٤٤٣.

(٢) كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب للسيد محسن الأمين ص ١٢٧.

(٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان ص ٤٢.

بزيارته، لكن الله قد حجب عن الأحياء في دار الدنيا لحكمة بالغة جوابهم ومشاهدة أحوالهم، ونحن هنا نورد جملة من الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة وجملة أخرى من أقوال علماء أهل السنة التي تثبت بما لا يقبل الشك أن للأموات عقلاً وحياة ونطقاً وسماعاً منها:

١: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢] قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: (فإن قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون وليسوا أحياء؟ قلنا: الصحيح أنهم أحياء إلى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله في الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولا شاذا من بعض المتأخرين)[٣].

وقال ابن حزم في كتابه المحلى: (وأما الشهداء فإن الله عز وجل يقول «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون» وقال تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله» ولا خلاف بين مسلمَينِ[٤] في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدرا ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلما)[٥].

---

(١) سورة البقرة الاية١٥٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٣) التبيان للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٣٤.

(٤) تثنية لكلمة مسلم.

(٥) المحلى لابن حزم ج ١ ص ٢٥.

أقول: ولا يخفى ان كلام ابن حزم ينطبق أيضا على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لأنها وإياهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس النبي وروحه قد خلقوا من طينته وهم من شجرة واحدة وباقي الناس من شجر شتى، وهم أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى اقل التقادير فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شهداء بل سادة الشهداء الذين أعطوا لله كل ما سألهم، فتفضل الله سبحانه عليهم بأن ضمن لهم أن يعطيهم كل ما سألوه لهم ولشيعتهم وزوارهم.

٢: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم

الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أجمعت على سماع الأموات وحياتهم ونطقهم وغير ذلك الكثير نختار منها ما يأتي:

منها ما عن عبد الله بن سليمان، عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (سألته عن زيارة القبور. قال: إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان فيهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى. قال: قلت: فيعلمون بمن أتاهم، فيفرحون به؟ قال: نعم، ويستوحشون له إذا انصرف عنهم)[١].

ومنها ما عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت له المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال نعم لا يزال مستأنسا به ما زال عند قبره فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة)[٢].

ومنها ما عن الشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم قال (قلت لأبي عبد الله عليه

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٦٨٨ زيارة القبور في الجمعة.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٣ ص٢٢٣ باب تأكد استحباب زيارة القبور.

السلام الموتى نزورهم؟ قال نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال إي والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم)[1].

٣: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

ومنها ما أخرجه البخاري وغيره من علماء العامة عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه...)[2].

ومنها ما أخرجه مسلم قال: (عن ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا قال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر)[3].

ومنها ما أخرجه ابن عبد البر عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج١ ص١٨١ الميت يزور أهله.

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص٩٢ باب في الجنائز، وصحيح مسلم ج٨ ص١٦١ باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار.

(٣) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ باب إثبات الحساب.

(٤) الاستذكار لابن عبد البر ج ١ ص ١٨٥.

ومنها ما عن عائشة أنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده، إلا استأنس به حتى يقوم)[1].

فالروايات المروية عن العامة والخاصة كما ترى مستفيضة بتأكيد وجود حياة للأموات في قبورهم ولهم علم بمن يزورهم ويأتيهم ولهم إدراك وسمع لمن يتكلم معهم ويسلم عليهم.

٤: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم

ألف: قال ابن القيم في أول (كتاب الروح): (المسألة الأولى: وهي هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟... وقد شرع النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لأمته إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم أن الميت يعرف زيارة الحي له، ويستبشر له)[2].

وقال السبكي: (عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء)[3].

وقال الإيجي: (إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا، اتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والأكثر بعده ـ أي بعد ظهور الخلاف ـ)[4] وقد تركنا الخوض في المزيد مخافة الإطالة.

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٤٧، أضواء البيان للشنقيطي ج ٦ ص ١٣٧.

(٢) نقلا عن أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص١٣٥.

(٣) الأصول الأربعة في ترديد الوهابية لحكيم معراج الدين ص ٥٥.

(٤) المواقف للإيجي: ج٣، ص٥١٦.

ثم اعلم ان كمالات الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتصرفاتهم التكوينية لا تفنى ولا تضمحل حال انتقالهم عن هذه الدنيا إلى عالم البرزخ والقبر، بل تزداد أرواحهم بعد الموت كمالا وقربا إلى الله سبحانه، وتزداد أيديهم بالعطاء انبساطا، لان النبي والإمام في عالم الدنيا مقيد بمراعاة العوام من الناس ومداراة أهل الضلال والذين في قلوبهم مرض فلا يظهر كامن أسراره ومنتهى قدرته في التصرف بإذن الله سبحانه، لكنه وبعد الموت وانقطاع تلك العوائق يصبح النبي والإمام أكثر حرية في ممارسة سلطته التكوينية الممنوحة له من قبل الله سبحانه، وقضائهم لحاجات زائريهم، واستجابة ما عظم من توسلاتهم وشفائهم لمن عجز عن شفائه أهل الدنيا، وقوانين هذا العالم خير دليل على هذه الحقيقة.

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع

لما كان الهدف الأساس من زيارة عاشوراء هو ذكر المصائب والويلات التي جرت على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عامة، وعلى الإمام الحسين وأبنائه وبقية أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بشكل خاص، لذلك صيغت فقراتها بشكل يثير في نفس الزائر وعقله أمرين مهمين:

الأول: توعيته وتعريفه بالأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، عن طريق تبيان الأشخاص والجماعات والظروف التي شاركت مشاركة فاعلة في إيجاد هذه المصيبة الجليلة والرزية العظيمة.

الثاني: إثارة الحزن والأسى في نفسه عن طريق عرض المشاهد المؤلمة، أو الأسماء التي تثير في نفس الزائر صورا وأحداثا معينة من الواقعة، فذكر اسم الشمر وعمر بن سعد وأبي سفيان وغيرهم من الملعونين الذين بمجرد ذكر أسمائهم ينتقل

ذهن الزائر وفكره إلى تلك الجرائم التي ارتكبوها بحق سيد الشهداء وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالعكس فحينما تذكر الزيارة نوعا آخر من الأسماء مثل الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن هذه الأسماء تنقل ذهن الزائر وفكره إلى تلك المآسي والفجائع التي حلت بهؤلاء الأطهار ومقدار الخسارة التي منيت بها الأمة الإسلامية جراء فقدهم وقتلهم بتلك الطريقة المريعة.

وذكر اسم عبد الله في أثناء السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه داخل ضمن هذا الذي تقدم فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد ومن خلال ذكر عبد الله التذكر والتذكير بمصيبة ذلك الرضيع الذي (رفعه ـ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ـ أمام القوم يريد استعطافهم، ليسمحوا بإعطائه ماء. غير أن الروح الدموية التي ما رآها التاريخ ولا شهدتها ملاحم البشر، كانت توجد في هذا المعسكر المشؤوم، فرفع «حرملة بن كاهل الأسدي» سهمه ورمى بها الطفل فسال دم البراءة على كف الحسين، وأخذ يرمي به نحو السماء وهو يقول: اللهم تقبل منا قربان آل محمد. وقال: هون ما نزل بي إنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك ثم نزل عليه السلام عن فرسه ودفن طفله الرضيع وصلى عليه)[1].

فالسلام على عبد الله بن الحسين، الطفل الرضيع، المرمي الصريع، المتشحط دما، المصعد دمه في السماء، المذبوح في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه.

---

(١) لقد شيعني الحسين لإدريس الحسيني المغربي ص ٣٠٩.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ

في هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء عدة من المباحث المهمة نستعرض بعضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

لا شك في تواتر الخطاب بلفظ (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) لكل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما في النصوص الروائية ومتون الأدعية والزيارات الشريفة، ولا تكاد زيارة من زيارات الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه تخلو من وصفه بابن رسول الله.

والتزاما منا بمنهج البحث نستعرض بعض تلك النصوص التي ورد فيها الخطاب للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلفظ (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) منها:

ما روي في زيارة الأربعين للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن صفوان بن مهران قال: (قال لي مولاي الصادق صلوات الله وسلامه عليه: في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه... السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن سيد الأوصياء أشهد أنك أمين الله وابن أمينه)[١].

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قال: (حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن زكريا، عن سليمان بن حفص المروزي، عن المبارك، قال: تقول عند قبر الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا ابن رسول الله...)[٢].

وعنه أيضا قال: (حدثني أبي وغير واحد، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن العباس بن موسى الوراق، عن يونس، عن عامر بن جذاعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فقل: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ومن بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله منهم برئ)[٣].

وبالجملة فإن الزيارات والأدعية والروايات التي ذكرت أنّ الإمام الحسين ابن رسول الله تفوق حد الإحصاء على ما نحن فيه من العجالة وقد اكتفينا بالبعض منها وتركنا الكثير مخافة الخروج عن حد الاعتدال.

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٥.

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لعل نظرة عابرة إلى كتب الحديث والأدعية والزيارات تكفي للكشف عن تأكيد وإصرار أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم وعلماء المذهب الحق على كون الحسن والحسين وبقية أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أولاد وأبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مما يثير في النفس سؤالا ربما يكون للوهلة الأولى سؤالا ساذجا وهو لماذا كل هذا التأكيد على قضية تكاد تكون بديهية، فمن هذا الذي ينكر ان ابن البنت ابن شأنه شأن ابن الابن غير من كان يعاني من نقص في إدراكاته البديهية والفطرية.

ولكن المتتبع لحركة التاريخ الإسلامي وما مر به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ظروف مأساوية وتعسف ونكران لأبسط حقوقهم وامتيازاتهم لا يجد ذلك السؤال ساذجا ولا التأكيد على بنوة الحسين صلوات الله وسلامه عليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرا من دون أهمية ومن غير هدف، لان هنالك ـ كما يحدثنا التاريخ ـ أناساً حاولوا وما زال أتباعهم إلى الآن يحاولون نكران تلك البديهية وعدم عدّ ابن البنت ابنا للرجل وحصروا البنوة بالأبناء وأولاد الأبناء، وعلى نكران هذه البديهية صاغت دول ومذاهب منظومتها الفكرية والعقائدية.

وفيما يأتي جولة تاريخية تضع بين يديك أسباب التأكيد المتكرر والتذكير المستمر من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على كون الحسن والحسين وباقي أبنائهم المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

جذور هذه المسألة

من يتتبع أشكال الردة التي حصلت للمجتمع الإسلامي بمجرد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يجدها غير مقتصرة على الردة عن الإمامة ، وتنصيب الخليفة الشرعي الذي أخذت العهود والمواثيق على مناصرته ومؤازرته في غدير خم وغيره من المواقف والمواطن ، بل تعدت هذه الردة لتشمل جميع أو أغلب المفاهيم التي زرعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها في قلوب وعقول أمته من خلال أفعاله وأقواله المعصومة التي لا تصدر عن الهوى ، وقد كان مفهوم القرابة والرحم والانتساب لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من ضمن تلك المفاهيم التي تعرضت للتشويه والاستغلال والتحريف.

فبينما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يربي الأمة طوال مدّة حياته المباركة على ان كلاً من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه والسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها والإمامين المعصومين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما هم أهل بيته وذوو قرابته وخاصته وموضع سره ومعدن علمه ، نراهم وبمجرد ارتحاله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا قُلبت هذه المفاهيم وسلبت عن أهلها الشرعيين واغتصبت شأنها شأن كثير من الحقائق والنفائس التي اغتصبها القوم من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبدأت محاولات جديدة لتوسيع مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليشمل ما هو أوسع من الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهدف الاستعلاء في الأرض والسيطرة على العباد والبلاد باسم القرابة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

وأول من أسس هذه المحاولة وفتح هذا الباب هم أصحاب السقيفة فقد روى الطبري في تاريخه قال : (فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله بعث محمدا

رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه... فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له... فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم...)[1].

وتبعه على هذا الأمر الحادث عمر بن الخطاب في نفس تلك الحادثة بعد أن اقترحت الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير آخر: (فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة)[2].

فتغيرت المعادلة ودخل في القرابة أناس ما أشار إليهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا خصهم فيها بيوم من الأيام، وابعد عنها من كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يتحين كل فرصة ومناسبة للتأكيد على قربهم منه واختصاصهم به.

ليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرابة غير بني أمية

وما أن وصل بنو أمية إلى كرسي الحكم حتى بدأت مرحلة جديدة من مراحل مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي تلك التي

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٧ ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة، وراجع أيضا كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٣٢٩ حديث السقيفة وخلافة أبي بكر.

(٢) المصدر نفسه.

بينها غير واحد من المؤرخين بقولهم: (قال أبو الحسن المدائني: أخبرني أبو العباس الفلسطيني وكان من غلبة أهل العلم في عصره قال: بعث عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بمشايخ أهل الشام، فلما دخلوا إليه قال لهم أبو العباس: يا أهل الشام! ما حملكم على الخروج مع بني أمية على بني هاشم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وهم أولى الناس بهذا الأمر من غيرهم؟ قال: فحلف الشاميون بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما علموا أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم له ذرية ولا أهل بيت غير بني أمية حتى وليتم أنتم هذا الأمر...)[1].

وبذلك ضيق بنو أمية ولأسباب غير خافية مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ليصير حكرا على بني أمية خاصة دون بقية العالمين، مع انهم أبعد الناس عن هذه الصفة وقد أثار هذا الامر تعجب الكثيرين حتى صار اختصاصهم بالقرابة دون العالمين مادة يتخذها الشعراء والأدباء للسخرية منهم والاستهزاء بهم وبفكرتهم هذه، منهم إبراهيم بن المهاجر القائل:

أيها الناس اسمعوا أخبركم   عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم   فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا   دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله فيما ادعوا   يحرز الميراث إلا من قرب[2]

وهذا الشاعر وان كان يتكلم من وجهة نظر عباسية إلا ان تعجبه في محله وهو كما قال باب من أبواب الكذب جديد ما استحدثه غيرهم.

---

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٨ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق.

نظرة العباسيين لمسألة القرابة

قاتل العباسيون بضراوة أكثر من غيرهم لتحريف موضوع القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحصره بالمتولدين من ذرية العباس بن عبد المطلب، فمنذ اليوم الأول لتوليهم الحكم اجتمعوا على كلمة واحدة وهي ان الإمارة والخلافة التي صارت بأيديهم بعد زوال الدولة الأموية هي حق طبيعي لهم وانها من ضمن ما ورثه العباس بن عبد المطلب من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج الطبري في تاريخه كتابا أرسله المنصور العباسي إلى محمد بن عبد الله بن الحسن: (... ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غيره فكان وراثة من عمومته ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه)[1].

وهكذا يصبح واضحا لدينا تاريخ هذا النكران لقرابة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية آل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان مسألة القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم كانت قد مرت بمراحل عديدة، فتارة توسع دائرة القربى والاختصاص ليدخل فيها أصحاب السقيفة وغيرهم، وتارة تضيق فلا يسمح بأن يدخلها إلا من كان أمويا أو عباسيا، وهذا التوسيع والتضييق كان يخضع للظرف السياسي وللمصلحة التي يراد استخدام القرابة من أجلها، فإن كانت المصلحة في التوسيع كما في السقيفة وسع ذلك الباب وفتح على مصراعيه، وإلا ضيق وفتحت منه كوة لا يدخل منها إلا من كان أمويا أو عباسيا.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٩ كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكتاب محمد بن عبد الله اليه.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط

كان الجميع قد استفاد من ميزة القرابة وعلى أحسن وجه وأكمله سواء في ذلك أصحاب السقيفة أو غيرهم من الأمويين والعباسيين، ولكن كانت هنالك عقبة مهمة أمامهم أفشلت الكثير من مساعيهم، بحيث صارت غصة في قلوب أولئك المنتهزين.

وهذه العقبة كانت تتمثل بوجود كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء وابنيهما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد علم القاصي والداني شدة قرب هؤلاء الأطهار للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم اختصاصهم به، وقد حفظت الأمة عن نبيها أحاديث وروايات لا تحصى، تدل على أنهم أحب الناس إليه، وأعزهم عليه، وان لحمهم لحمه، ودمهم دمه، وانهم لا يفترقون عنه طرفة عين أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقد نزلت آيات القرآن تترى مؤيدة لنظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقفه تجاه هؤلاء الأهل، فنزلت آية التطهير بحقهم وحكمت لهم بالطهارة من كل رجس ونزهتهم عن كل دنس، ونزلت آية المباهلة بشأنهم لتبين أنهم نفس النبي وأبناؤه ونساؤه دون العالمين.

فكل الحجج التي حاول من خلالها أصحاب السقيفة إثبات أن لهم نوعاً من أنواع القربى والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتهشم عند وصولها لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان القربى ان كانت هي الميزان في التفاضل والاختيار والاصطفاء والخلافة فأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كل أحد، وعليه فهم أحق بأمر الخلافة من كل احد، لأنهم الأقرب إليه من كل احد، وإذا استطاع أهل السقيفة سلب الإمارة من الأنصار بحجة أنهم: (أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك

إلا ظالم) كما قال أبو بكر، أو كما قال عمر بن الخطاب: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة) فان هذا المنطق لا ينفع مع الإمام علي بن أبي طالب وبقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الأقرب والألصق به منزلة وقربى وشأنا، ويكون فعل من تقدم عليهم وغصبهم أمرهم مشمولا بالقانون الذي ألزم به أبو بكر نفسه بقوله: (ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم)، وبما ألزم به عمر بن الخطاب نفسه بقوله: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة).

وبعبارة أخرى: إذا كان أبو بكر يعدّ تقدم الأنصار على المهاجرين ومنازعتهم ظلما بحجة ان المهاجرين أولياؤه وعشيرته وأحق الناس به، فإن تقدم أبي بكر وعمر ابن الخطاب وسائر المهاجرين ومنازعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأمر ظلم أيضا، بل من أقبح الظلم، لان قريشا عشيرته والإمام علياً من أهل بيته بل هو نفسه كما في آية المباهلة، وتقدم العشيرة على أهل البيت ظلم لا ريب فيه، ومن يرتكبه لا يكون إلا مدلاً بباطل أو متجانفاً لإثم أو متورطاً في هلكة.

وقد احتج الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذا الأمر حينما انتهت إليه أنباء السقيفة قال: (... فماذا قالت قريش؟ قالوا احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. فقال عليه السلام احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)[1]، وقد واجه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ابا بكر بهذه الحقيقة وبشكل مباشر حينما خاطبه بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٦ ص٤ من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار.

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم   فغـــيرك أولى بـــالنبي وأقـــرب
وان كنت بالشورى ملكت أمورهم   فكيـف بهـذا والمـشيرون غيـب[1]

وقـال صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أيـضا متحـدثا عـن الـنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (والله إنـي لأخـوه ووليه، وابن عمه، ووارث علمه فمن أحق به مني...)[2].

وقد كتب أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إلى معاوية بن أبي سفيان لعنه الله رسالة جاء فيها: (قالت قريش: منا أمير. وقالت الأنصار: منا أمير. فقالت قريش: منا محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فنحن أحق بذلك الأمر. فعرفت ذلك الأنصار، فسلمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقوها بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دون الأنصار، فإن أولى الناس بمحمد صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أحق بها منهم)[3].

فكانت هذه الاحتجاجات غصة في حلق السلطة الغاصبة، وجرحاً دائم النزف كلما حاولوا رتقه انفتق، فرأى القوم ان بقاء وانحصار صفة القرب في النسب بعلي وفاطمة وأبنائهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ غاية في الخطورة، وبوجودهم تتقوض كل الجهود التي تبذل من اجل استعلاء أصحاب السقيفة وغيرهم باسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقرابته، فتعاضد أصحاب السقيفة وآل أمية والعباس على سلب هذا القرب منهم وإخراجهم من ذلك الاختصاص بكل وسيلة وطريقة.

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة

وكما كان أصحاب السقيفة هم أول من فتح باب استغلال القرابة والعشيرة من اجل السيطرة وكسب الشعبية والتأييد كذلك كانوا أول من حاول سلب هذه الصفة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨ ص٤١٦ تحت رقم ١٨٥.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢٦ في أنا مدينة العلم وعلي بابها،

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥ ص٧٨ فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب.

عن أقربائه الحقيقيين وأهل بيته الواقعيين، وكانت أول ضربة لهم في هذا الخصوص هي سلبهم حق ذوي القربى من الخمس، لان الخمس له علاقة وثيقة بذوي قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآخذه يذكر الناس على الدوام بأنه اقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غيره، فتفطن القوم إلى ان استمرار اخذ أهل البيت لحق ذوي القربى سيقوض كل محاولة لحشر أنفسهم من ضمن ذوي القربى.

وليست كذبة ان النبي لا يورث بخارجة عن هذا المخطط لان الميراث شأنه شأن الخمس، ففيه إشارة واضحة على ان المختص به هو مختص بالقرابة دون غيره فلو ان فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وبعلها الإمام أمير المؤمنين وابنيها الحسنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا قد ورثوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم من ذوي قرباه لدل اختصاصهم بالميراث على اختصاصهم بقرب النسب، والأقرب نسبا أولى من غيره بالاختصاص، فلكي لا تكتشف الأمة هذا القرب ولكي يبقى الباب مفتوحا أمام الآخرين ولكي لا يبقى الاختصاص بالقربى حكرا على خمسة أشخاص دون العالمين منعوا آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إرثهم من أبيهم.

وكخطوة أخرى متممة لهذا المشروع، لم توكل لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أي ولاية على أي منطقة من مناطق المسلمين طوال مدّة حكم أصحاب السقيفة[1]، وتم تجاهل وجودهم، وحصر انتشار كونهم اقرب الناس وأخصهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حدود المدينة لا غير، حتى ان بني أمية ونتيجة هذا الحصار الذي استمر لسنوات طويلة استطاعوا أن يقنعوا أهل الشام بأن ليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابة تختص به غيرهم.

---

(١) راجع تفصيل الكلام حول عمال أصحاب السقيفة وأسمائهم في كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٨٤ - ٨٧ تجده في الفهرس تحت عنوان لعن بني مروان وبني العاص.

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين

ثم جاءت أمية لتحكم رقاب الأمة وتمسك بمقدراتها ولتتغير معركة القرابة وحرب الاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من طور التكتم والسرية إلى مرحلة الجهر والعلن، ولتعلن الحرب ويوضع السيف فوق رقبة كل من يدعي ان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن صلبه وقد لعب سيف الحجاج لعنه الله دورا هاما في القضاء على اكبر عدد ممكن ممن يعتقد بانحصار القرابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاختصاص بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقتل منهم من قتل، وسجن منهم من سجن، وشرد منهم الآلاف، ودفن منهم المئات وهم أحياء، حتى كان الناس يتقربون إلى الله يوم العيد بذبح الأضاحي وتوزيع لحومها على فقراء المسلمين، ويتقرب هو بذبح من يقول ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١).

وجاء العباسيون وحشدوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم المادية لدعم وتأييد كل ما له علاقة بإخفاء وإزالة رابطة القربى والاختصاص التي لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واستغل بنو العباس مسألة كونهم أولاد عم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمحاولة إثبات أن العم وبني العم اقرب نسبا ورحما للرجل من بنته وأبناء بنته، وان أبناء البنت ليسوا أبناءً للرجل بل هم أبناء آبائهم، وعليه فأهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم هم العباس وأبناء العباس، أما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فهما من أولاد الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه وليسا من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحث العباسيون الشعراء والأدباء والفقهاء والمفكرين الذين يمكن لضمائرهم

(١) راجع شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٣ ص ٩٢ ـ ٩٥.

أن تباع وتشترى على تأييد هذه النظرية، وترسيخ هذا المبدأ، فانبرى بعض أهل الدنيا بالخصوص الشعراء منهم لتلبية هذا الأمر وإرساء هذا المبدأ، منهم مروان بن أبي حفصة القائل:

أنـى يكـون ولـيس ذاك بكـائن ... لـبني البنـات وراثـة الأعمـام
ألغـى سـهامهم الكتـاب فمـا لهـم ... ان يـشرعوا فيـه بغـير سـهام

ومنهم طاهر بن علي بن سليمان بن عبد الله بن العباس الذي خاطب الطالبيين بقوله:

لـو كـان جـدكم هنـاك وجـدنا ... فتنازعـا فيهـا لوقـت خـصام
كـان الـتراث لجـدنا مـن دونـه ... فحـواه بـالقربى وبالإسـلام
حـق البنـات فريـضة معروفـة ... والعـم أولـي مـن بـني الأعمـام

فأعطي كل واحد منهم مئة ألف درهم من بيت المال، وأضافوا لمروان بن أبي حفصة عشرة آلاف فوق تلك المئة؛ لأنه شاعر البلاط العباسي[1].

وعن مروان بن أبي الجنوب أبي السمط قال: (أنشدت أمير المؤمنين وذكرت الرافضة فيه فعقد لي على البحرين واليمامة وخلع عليّ أربع خلع في دار العامة وخلع عليّ المنتصر وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فنثرت على رأسي وأمر ابنه المنتصر وسعدا ان يلقطاها لي ولا أمس منها شيئا فجمعاها فانصرفت بها قال والشعر الذي قال فيه:

ملـك الخليفـة جعفـر ... للـدين والـدنيا سـلامه
لكـم تـراث محمـد ... وبعـدلكم تنفـى الظلامـة

(١) راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص١٤٥ ذكر من اسمه مروان (مروان بن سليمان بن يحيى).

يرجـــو الـــتراث بنـــو البنـــات ومـــا لهـــم فيهـــا قلامـــه
والـــصهر لـــيس بـــوارث والبنـــت لا تـــرث الإمامـــة
مـــا للـــذين تنحلـــوا ميراثكـــم إلا الندامـــة
أخـــذ الوراثـــة أهلـــها فعـــلام لـــومكم علامـــة
لـــو كـــان حقكـــم لهـــا قامـــت علـــى النـــاس القيامـــة
لـــيس الـــتراث لغيركـــم لا والإلـــه ولا كرامـــة
أصـــبحت بـــين محـــبكم والمبغـــضين لكـــم علامـــة

ثم نثر على رأسي بعد ذلك لشعر قلته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم)[1].

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط

كان المخطط لسلب صفة القرابة والبنوة والاختصاص عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كبيرا ومعقدا ومدعوما من خمس دول عظمى، ثلاثة منها هي دول أصحاب السقيفة، والرابعة دولة بني أمية، والخامسة هي الدولة العباسية، وقد رأينا كيف خصصت هذه الدول لأجل إنجاح هذا المشروع ميزانية مالية ضخمة من جهة وسيف بتار يحز رقبة كل من لا يقر بمصداقية هذا المخطط من جهة ثانية.

وقد عانى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الكثير في سبيل الوقوف بوجه هذا الباطل، وبذلوا في سبيل إفهام الأمة بقرب منزلتهم ودنو مراتبهم من أبيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل غال ونفيس، وما استشهاد السيدة الطاهرة ريحانة النبي فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها إلا بسبب وقوفها حائلا وسدا أمام سلب قربها واختصاصها وإرثها من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وما حرب الاستئصال التي شنت على أهل

(١) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٩٧ ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته.

هذا البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم عاشوراء إلا بسبب ان وجودهم كان مذكرا للأمة على الدوام بوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم، فكان على الطغاة ولكي يقطعوا ذكر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته وتعاليمه أن يجتثوا أصل أهل بيته ويمحوا عن الأرض ذكرهم، ألا ترى منادي القوم في ذلك اليوم الرهيب يدعوا إلى ذلك بقوله: (لا تدعوا منهم صغيرا ولا كبيرا)[1] وكيف رفعوا شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية) أرادوا بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأسيافهم وأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره ولو كره الغاصبون.

وقد حشد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فضلاً عن دمائهم الطاهرة آيات القرآن وأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مستغلين كل موقف لنشر كونهم من أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وانهم أخص الناس به وأقربهم إليه وحثوا شيعتهم على استغلال كل فرصة لنشر ذلك، وبثوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين آلاف الجمل الدالة على ذلك في ضمن محاوراتهم وادعيتهم وزياراتهم.

وفيما يأتي جملة من الأحاديث الدالة على ما بيناه:

منها ما عن الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي الجارود، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟.

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأي شيء احتججتم عليهم؟.

قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى ابن مريم عليهما السلام:

---

(١) مقتل الحسين للعلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم ص٣١٦، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١) فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح عليه السلام.

قال: فأي شيء قالوا لكم؟.

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فأي شيء احتججتم عليهم؟.

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٢).

قال: فأي شيء قالوا؟.

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا أبا الجارود لأعطينّكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلا الكافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟.

قال: من حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾(٣) الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه

(١) سورة الأنعام الآية ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٣) سورة النساء الآية ٢٣.

لصلبه)[1].

وعن عابد الأحمسي قال: (دخلت على أبي عبد الله وأنا أريد أن أسأله عن صلاة الليل فقلت: السلام عليك يا بن رسول الله فقال: وعليك السلام إي والله إنا لولده، وما نحن بذوي قرابته، ثلاث مرات قالها)[2].

وفي حديث عن الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه مع الرشيد، قال له: (لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم يا بن رسول الله وأنتم ولد علي، وفاطمة إنما هي وعاء، والولد ينسب إلى الأب لا الأم، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة فعل، فقال: لست أفعل أو تجيب.

فقلت: فأنا في أمانك أن لا يصيبني من آفة السلطان شيء؟.

فقال: لك الأمان.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ووهبنا له إسحاق إلى أن قال وعيسى، فمن أبو عيسى[3]؟.

فقال: ليس له أب إنما خلق من كلام الله عز وجل وروح القدس.

فقلت: إنما ألحق عيسى بذراري الأنبياء من قبل مريم، وألحقنا بذراري الأنبياء من قبل فاطمة لا من قبل علي عليه السلام...)[4].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٤٨٧ باب النوادر الحديث رقم ٣.

(٣) الآية بتمامها كالتالي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورة الأنعام الآية رقم ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص٥٦ حديث موسى بن جعفر عليهما السلام مع هارون الرشيد.

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله

الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه وبوصفه أحد المعصومين لا يتكلم إلا بما يكون موزونا بدقة ومصاغا لأجل غايات وأهداف قد تكون ظاهرة معروفة وقد تكون خفية تظهر للعالم في وقتها المناسب، وسلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على جده الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) فيه لمن تأمل أسرار وأهداف ومداليل مهمة نستطيع أن نكتشف بعضها فيما يأتي ونوكل علم البقية إلى نفس الإمام صلوات الله وسلامه عليه:

المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

احتوت زيارة عاشوراء على تبيان واضح وشافٍ لكل الأسباب أو لأهم الأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، فبينت الزيارة المؤسسين والأشياع والأتباع والغايات والعائلات التي اشتركت كآل أمية وبني مروان وغيرهم، وذكرت بعض الأشخاص الذين كانت لهم ادوار مهمة قبل تلك الفاجعة وبعدها كعمر بن سعد وابن مرجانة والشمر بن ذي الجوشن لعنهم الله جميعا، وأوضحت هذه الزيارة الشريفة بعض الحالات النفسية لهؤلاء المتسببين لهذه الوقعة العظيمة، فذكرت على سبيل المثال فرح آل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وغير ذلك، وبالجملة فلم تغفل هذه الزيارة عن تبيان وإيضاح كل صغيرة وكبيرة كان لها دور فاعل في إيجاد وإحداث مجزرة عاشوراء الرهيبة.

وقد ذكرنا فيما سبق ان واحدة من أهم الأسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وإبادة أهل بيته هي كونه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو انه صلوات الله وسلامه عليه كان ابنا لأبي بكر أو عمر بن الخطاب أو حتى لأبي سفيان لما تجرأ عليه

ولا على أهل بيته احد من أولئك الطغاة العتاة، ولرأينا كيف يرفعه التاريخ الإسلامي علما ويصيره أسطورة من أساطير العلم والعمل والشجاعة، ولما تجرأ عليه التاريخ باتهامه تارة بأنه قتل بسيف جده، وأخرى انه خرج على إمام زمانه ونكث البيعة وفرق صف المسلمين، وثالثة بأن بيعة يزيد شرعية وخروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد سبب للأمة شرخا وصدعا حاشاه من جميع هذه الافتراءات الكاذبة.

وعليه فيكون سلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) داخلاً في ضمن تبيان الأسباب والمسببات التي أدت إلى مقتل واستشهاد الإمام وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المدلول الثاني: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كلما كان الولي أعظم قدرا وأكمل مقاما وارفع منزلة يكون الداعي إلى زيارته وصلته أشد وأوكد، ولا يوجد أفضل من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين منَّ الله سبحانه على البشرية جمعاء بهم وبجدهم صلى الله عليه وآله وسلم، فبهم أخرج الله سبحانه العباد من الضلالة إلى الهدى، وبهم فتح الله سبحانه على العالم كل أبواب الخير، وبهم عرف الله سبحانه وعبد حق عبادته، وبهم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما فسد من دنيانا، وبهم ينزل كل خير ويدفع كل شر، فبسبب كل هذه الكمالات وبسبب أياديهم العطوفة على البشرية صار الداعي إلى زيارتهم ووصلهم والحضور إلى قبورهم أوجب وأشد وأوكد من كل صلة أخرى.

وواحدة من أهم الأمور التي توجب[1] على المؤمنين صلة أبي عبد الله الحسين

(١) روى صاحب كتاب كامل الزيارات محمد بن قولويه ص٢٤٦ عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه انه قيل له: (جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول انه قد عق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقنا واستخف بأمر هو له...)، وفي ص٢٣٨ عن أم سعيد الاحمسية عن أبي عبد الله ←

صلى الله عليه وآله وزيارة قبره والحضور في مشهده هي كونه ابن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فصلة النبي صلى الله عليه وآله توجب صلة أبنائه ، وفضل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله على أمته يوجب لزوم تفقد مجالسهم والأخذ والتزود منهم حال حياتهم وزيارة قبورهم حال استشهادهم صلوات الله عليهم أجمعين.

لذلك وردت روايات كثيرة تحث الزائر على زيارة قبر الحسين صلى الله عليه وآله حبا برسول الله صلى الله عليه وآله وصرحت جميعها ان لهذه الزيارة الأجر الجزيل والثواب الكبير منها :

ما عن أبي عبد الله صلى الله عليه وآله قال : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين زوار الحسين بن علي ، فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فيقول لهم : ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فيقولون : يا رب أتيناه حبا لرسول الله وحبا لعلي وفاطمة ورحمة له مما ارتكب منه ، فيقال لهم : هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم ، فأنتم معهم في درجتهم الحقوا بلواء رسول الله فينطلقون إلى لواء رسول الله ، فيكونون في ظله واللواء في يد علي عليه السلام حتى يدخلون الجنة جميعا ، فيكونون أمام اللواء ، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه)[1].

وعن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله أو أبا جعفر صلى الله عليهما يقول : (من أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم ، قلت : ومن هو ،

صلى الله عليه وآله قالت: (قال لي يا أم سعيد تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت نعم، فقال لي: زوريه فان زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء) ومن هذه الروايات وغيرها استظهر العلامة المجلسي وجوب زيارة الإمام الحسين صلى الله عليه وآله حيث قال: (ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرة مع القدرة، وإليه يميل الوالد العلامة) راجع بحار الأنوار ج٩٨ ص١٠ فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام.

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء من أتاه شوقا إليه وحبا لرسول الله وحبا لأمير المؤمنين وحبا لفاطمة، أقعده الله على موائد الجنة، يأكل معهم والناس في الحساب)[1].

المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول

استعرضت زيارة عاشوراء صنفين ونوعين من الشخصيات ضمن فقراتها الشريفة، الصنف الأول هم: من وقع الظلم والحيف والقتل والجور عليهم، فذكرت ضمن هذا الصنف كلاً من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاد الإمام الحسين وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والصنف الثاني هم: من تسبب بإيقاع الظلم والحيف والقتل والجور على الصنف الأول، فذكرت عدة مصاديق لهذا الصنف بعضهم ذكرته بالفعل والبعض الآخر ذكرته بالاسم، فذكرت المؤسسين للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذكرت آل أبي سفيان وآل مروان وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وغيرهم من الملعونين.

واستعراض هذين الصنفين في فقرات الزيارة واحدة من أهم فوائده وغاياته وأهدافه هو: بيان الفارق النسبي والأخلاقي والعلمي والإيماني وغير ذلك من الفوارق التي تميز كلاً من القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والجائر والمجور عليه.

فحينما تذكر الزيارة الشريفة ان الحسين الشهيد هو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين وابن فاطمة سيدة نساء العالمين، ثم تذكر بعد ذلك ان ظالمه وقاتله ابن مرجانة وأمثاله ممن عرفوا تاريخيا بوضاعة النسب وخمول الحسب وفقد الإيمان، فحينئذ يدرك المؤمن فداحة يوم عاشوراء وعظم الجريمة التي ارتكبت فيه، ويستبين

(١) المصدر السابق.

معالم الفاجعة حينما يقارن بين أولئك القتلة المطعون في أحسابهم وأنسابهم وإيمانهم وبين أولئك الشهداء المقتولين المظلومين الذين هم غاية في الكمال والطهر والإيمان.

المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم

تعرفنا في المبحث الثاني المنصرم كيف أراد أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين القضاء على قربهم واختصاصهم وانتسابهم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف بدأ هذا المخطط بالدعوة إلى إخراج أهل البيت عن كونهم أبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف انتهى بالدعوة والتحريض يوم عاشوراء على استئصالهم وان لا يبقى لهم باقية.

وتعرفنا أيضا على الجهد العظيم الذي قام به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين للحفاظ على صدق انتسابهم وحقيقة اختصاصهم بجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم دون العالمين، فاستخدموا لأجل ذلك كل وسيلة، واتبعوا كل طريقة ممكنة، وواحدة من هذه الوسائل والطرق هي زجها في متون ادعيتهم وزياراتهم، وأمر الشيعة بترديدها وتكرار قراءتها، ما يؤدي هذا التكرار إلى ترسيخ هذا الأمر في نفس الزائر وعقله رسوخا لا يقبل الشك أو الانفكاك.

وعليه فيصبح قول الزائر لقبر أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ومخاطبته إياه بقوله (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) مشاركة في نصرة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حربهم مع أعدائهم، وفيه إثبات وإقرار حق من حقوقهم المسلوبة، وفيه نكران للمنكر الذي أراد أصحاب السقيفة وأتباعهم تأسيسه وترسيخ قواعده، والزائر مأجور على هذه المناصرة والشهادة والرفض للظلم ويكتب له اجر الواقف بوجه ذلك الباطل وان لم يكن ملتفتا في اغلب الأحيان إلى أهمية فعله أو الهدف من السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة كغيرها من الفقرات فيها مباحث مهمة وإشارات جليلة القدر نستعرض بعضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

من يرجع إلى كتب الأدعية والزيارات يجد أنّ السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن أمير المؤمنين أو انه صلوات الله وسلامه عليه ابن سيد الوصيين مما قد اشتهر ووصلت شهرته إلى حد يستغنى عن الإطالة في الخوض بتفاصيله وذكر جميع شواهده، ونحن هنا نذكر من باب التزامنا بالمنهج الذي وضعناه للبحث بعض تلك النصوص التي منها:

الصلاة التي ذكرها الشيخ الطوسي قدس الله روحه على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا بن

أمير المؤمنين ، أشهد موقنا أنك أمين الله وابن أمينه قتلت مظلوما ومضيت شهيدا)[١].

ومنها الزيارة المختصرة التي ذكرها الشيخ المفيد ﵀ قال : (باب مختصر زيارته عليه السلام إذا أتيت مشهده عليه السلام فاغتسل قبل أن تدخله ، والبس أطهر ثيابك وقف على القبر ، واستقبله بوجهك ، واجعل القبلة بين كتفيك ، وقل : السلام عليك يا بن رسول الله ، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة ، سيدة نساء العالمين...)[٢].

ومنها ما ذكره ابن قولويه في كامل الزيارات بقوله : (حدثني أبي ، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، عن عمرو بن سعيد المدائني ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار بن موسى الساباطي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : تقول إذا أتيت إلى قبره : السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام عليك يا سيد شباب أهل الجنة ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من رضاه من رضى الرحمان وسخطه من سخط الرحمان)[٣].

ومنها ما ذكره ابن طاوس ﵀ في إقبال الأعمال من زيارة الأربعين : (تزور عند ارتفاع النهار فتقول : السلام على ولي الله وحبيبه ، السلام على خليل الله ونجيبه... يا سيدي ، استشفع إلى الله بجدك سيد النبيين ، وبأبيك سيد الوصيين ، وبأمك سيدة نساء العالمين ، السلام عليك يا بن رسول الله ، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين سيد الأوصياء...)[٤].

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٢) المقنعة للشيخ المفيد ص ٤٦٩

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٤) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ١٠١ ـ ١٠٢.

ومنها الزيارة التي يزار بها الإمام الحسين في أول شهر رجب والتي نقلها السيد ابن طاوس قدس الله روحه بقوله: (إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا... ثم ادخل وقف عند ضريحه وكبر الله تعالى مائة مرة وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن خاتم النبيين، السلام عليك يا بن سيد المرسلين، السلام عليك يا بن سيد الوصيين)[١].

واستقصاء هذه الفقرة من الزيارة في كل كتب الأدعية والزيارات يخرج بنا عن حد الاختصار والاعتدال، وشهرتها تغني عن الإسناد.

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء

ان تكرار السلام على أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقرنه تارة بابن رسول الله وتارة بابن أمير المؤمنين وغير ذلك من العبارات الشريفة هو في الحقيقة ليس مجرد ترديد ساذج لعبارة السلام وتكثيرها وحشوها داخل فقرات الزيارة[٢]، بل ان السلام وتكراره ـ كما رأينا في شرح الفقرة السابقة ـ هو سلام هادف وتكرار هادف، ويحمل بين طياته معاني سامية وإشارات جليلة تكشف لنا وبوضوح عن الأسباب والحيثيات التي من اجلها حدثت فاجعة عاشوراء، والتي بسببها انتهكت حرمة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة أهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأريقت دماؤهم الطاهرة.

وقرن السلام في هذه الفقرة بعبارة يا ابن أمير المؤمنين، ليس بخارج عن هذه

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٤١، وراجع أيضا كتاب المزار للشهيد الأول ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) كما اعتقده بعض الجهال ممن حاول إسقاط زيارة عاشوراء عن الاعتبار لمجرد كثرة ترديد السلام فيها، لانه يعتقد ان سلاما واحدا يكفي ويغني عن كل تلك الأنواع من السلام، وهو اعتقاد ساذج وسطحي كما سنعرف.

القاعدة، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يهدف من وراء ذلك إلى ذكر سبب آخر من أسباب حدوث فاجعة عاشوراء، والذي يتلخص في كون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن أمير المؤمنين.

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

ولقب أمير المؤمنين أطلق أول ما أطلق على الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولنا على هذه الحقيقة نصوص تاريخية عدة منها:

ما عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه وقد سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: (لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر، قلت جعلت فداك كيف يسلم عليه؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1])[2].

وقال المولى محمد المازندراني في شرح هذا الحديث: (لم ينقل أن أحدا سمي بأمير المؤمنين قبله، وأما بعده فقد سمي به بعض جبابرة هذه الأمة، ولعل المراد بالكافر هنا ضد المؤمن، وهو من لم يؤمن بالله وبرسوله، فضلا عما جاء به الرسول، إن اعتقد جواز ذلك شرعا أو مطلقا، كمن سمى نفسه باسم الله أو نبي الله أو رسول الله، ويحتمل أن يراد بالكفر كفر النعمة، بتغييرها ووضعها في غير موضعها، أو تغطية الحق، وأصل الكفر هو التغطية، والمتصف بهما يسمى كافرا وإن لم يكن خارجا عن الإيمان، والله أعلم)[3].

---

(١) سورة هود الآية ٨٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤١١ ـ ٤١٢ باب نادر.

(٣) شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني ج ٧ ص ٤٨ ـ ٥١.

عن أحمد بن عمر قال: (سألت أبا الحسن عليه السلام لم سمي أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: لأنه يميرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾[1]). وفي رواية أخرى قال: (لأن ميرة المؤمنين من عنده، يميرهم العلم)[2].

وعن فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: (... يا فضيل لم يسم بها والله بعد علي أمير المؤمنين إلا مفتر كذاب إلى يوم الناس هذا)[3].

أما من مصادر العامة فقد نقل ابن عساكر عن القاسم بن جنيدب عن أنس بن مالك قال: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أسكب إلي ماء أو وضوءا فتوضأ ثم قام فصلى ركعتين ثم قال يا أنس أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين سيد المؤمنين علي)[4].

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (علي يعسوب الدين والمال يعسوب المنافقين)[5] إشارة إلى نفس المعاني المتقدمة.

وقال المناوي في شرح هذا الحديث: («علي يعسوب المؤمنين» أي سيدهم «والمال يعسوب المنافقين» قال في المحكم: اليعسوب أمير النحل ثم كثر حتى سموا كل رئيس يعسوبا، وقال ثعلب: اليعسوب ذكر النحل الذي يتقدمها ويحامي عنها)[6].

---

(١) سورة يوسف الآية ٦٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤١٢ باب نادر.

(٣) اليقين للسيد ابن طاوس ص٣٠٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٣٠٣.

(٥) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج٢ ص١٧٨ حرف العين،

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٤ ص ٤٧٢.

ابتزاز هذا اللقب من الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

لقب أمير المؤمنين شأنه شأن غيره من حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وألقابهم وفضائلهم التي اختصوا بها عن العالمين والتي ابتزت منهم واغتصبت، وأسباب هذا الابتزاز واضحة للمؤمن الفطن، إذ إن هذا اللقب كان يذكر الأمة الإسلامية بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه هو الأولى من غيره باعتلاء منصب الإمامة والخلافة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه أميرهم وسيدهم ويعسوبهم، ومن غير اللائق لأحد من المسلمين أن يتقدم على أميره، أو يتأمر على سيده، ومن يفعل ذلك فانه ظالم متعدّ لحدود الله.

فتنبه القوم إلى أن بقاء هذا اللقب وانحصاره بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد تهديدا دائما ومستمرا يدين صحة اعتلائهم لمنصب قيادة المسلمين، ويفضح تقدمهم لأميرهم وسيدهم ويعسوبهم. فكان عليهم والحال هذه، وفيما لو أرادوا أن يحافظوا على تلك المناصب المغتصبة أن يعمدوا إلى أمرين:

الأول: توسيع إطلاق هذا اللقب ليشمل أفرادا غير الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: القضاء على ما كان مشاعا من اختصاص الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بلقب أمير المؤمنين، وإبداله بشياع جديد يخرج هذا اللقب من حيز الاختصاص إلى العموم.

وأول من وسع إطلاق لقب أمير المؤمنين بحسب الوثائق التاريخية هو عمر بن الخطاب في أيام حكومته، قال الطبري: (قال أبو جعفر: أول من دعي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم جرت بذلك السنة واستعمله الخلفاء إلى اليوم)[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٧.

وقال الطبري أيضا: (حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري قال حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية عن أبيها قال لما ولي عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين)[1].

وقيل إن مسيلمة الكذاب قد تلقب بلقب أمير المؤمنين قبل عمر بن الخطاب كما نقله ابن حجر في كتابه فتح الباري حيث قال: (وجدت في كلام أبي الخطاب بن دحية الإنكار على من أطلق أن عمر أول من لقب أمير المؤمنين وقال قد تسمى به مسيلمة قبله كما أخرجه البخاري في قصة وحشي)[2].

واستمر هذا التوسيع للقب أمير المؤمنين ليشمل كل من يتولى الحكم على المسلمين برّاً كان أو فاجراً قال النووي: (يجوز أن يقال للإمام الخليفة والإمام وأمير المؤمنين، قال الماوردي: ويقال أيضا: خليفة رسول الله، قال البغوي في شرح السنة: ويقال له أمير المؤمنين وإن كان فاسقا، وقد أوضحت ذلك وما يتعلق به في أواخر كتاب الأذكار)[3].

وقال البهوتي في كشف القناع: (قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماما برا كان أو فاجرا)[4].

بل نجد ان لقب أمير المؤمنين وسع ليدخل فيه غير الحكام وأصحاب السلطة

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٢٨٥.

(٣) روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج٧ ص٢٧٠ الفصل الثالث في أحكام الإمام.

(٤) كشاف القناع للبهوتي ج ٦ ص ٢٠٢.

أمثال بعض المحدثين الذين أطلق عليهم لقب (أمير المؤمنين في الحديث) منهم مالك بن أنس فقيه وإمام المذهب المالكي الذي يقول عنه (يحيى بن سعد القطان ويحيى بن معين: مالك أمير المؤمنين في الحديث)[1].

ومنهم محمد بن إسحاق الذي وصفه شعبة بقوله: (محمد بن إسحاق أمير المحدثين هو أمير المؤمنين في الحديث)[2]، ومنهم الثوري ذكر النووي في شرح صحيح مسلم: (وكان الثوري يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث)[3].

فأصبح لقب أمير المؤمنين كما ترى شرعة لكل وارد، وخرج من حالة الاختصاص بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إلى العموم ليشمل البر والفاجر، بل صار إطلاقه ولشديد الأسف على الطغاة والجبابرة والمسرفين هو الأكثر شيوعا عند الاستعمال.

أما كيف أمكن القضاء على ما كان مشاعا من اختصاص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بهذا اللقب، وإبداله بشياع آخر فهذا ما سنتناول أسبابه وباختصار فيما يأتي:

السبب الأول: اختراع روايات تقابل وتعاكس تلك التي خصت علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بلقب أمير المؤمنين، ونحن هنا نشير إلى روايتين فقط رغبة في الاختصار.

---

(١) المدونة الكبرى للإمام مالك ج٦ ص٤٦٥ في ترجمة الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس، وراجع أيضا تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص٣ في كتاب وقت الصلاة.

(٢) المحلى لابن حزم ج٣ ص٢٤١ في المسألة ٣٦٠ لا يجوز للمأموم أن يقرأ خلف الإمام شيئا غير أم القرآن.

(٣) شرح مسلم للنووي ج١ ص٨٧ باب بيان ان الإسناد من الدين.

الأولى عن النعمان بن بشير بن سعد قال: (توفي رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوبا وقمت أصلي قال سمعت ضوضأة قال فانصرفت فإذا به يتحرك فظننت أن حية دخلت بينه وبين الثوب.

فلما وقفت عليه قال: أجلد القوم أوسطهم عبد الله عمر أمير المؤمنين الذي لا تأخذه في الله لومة لائم وهو في الكتاب الأول صدق صدق صدق القوي في جسمه القوي في أمر الله الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، كان في الكتاب الأول.

صدق صدق صدق عبد الله أبو بكر أمير المؤمنين الضعيف في جسمه القوي في أمر الله هو في الكتاب الأول.

صدق صدق صدق عبد الله عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذي يعفو عن ذنوب كثيرة خلت ليلتان وبقيت أربع اختلف الناس فلا نظام لهم أبيحت الأحماء.

أيها الناس أقبلوا على إمامكم اسمعوا له وأطيعوا فمن تولى فلا يعهدن دما كان أمر الله قدرا مقدورا هذا رسول الله سلام عليك يا رسول الله هذا عبد الله بن رواحة، ما فعل خارجة بن زيد، ثم رفع صوته يقول "كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى" أخذت بئر أريس ظلما ثم خفت الصوت فرفعت الثوب فإذا هو على حاله ميت)[1].

وعدم ذكر اسم الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الرواية دليل قاطع على ان ذكر تلك الأسماء في الرواية وإطلاق لقب أمير المؤمنين عليهم مقصود منه التغطية على اسم الشخص الحقيقي الذي اختص بهذا اللقب دون جميع العالمين.

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٩ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

والرواية الثانية هي التي نقلها البكري الدمياطي على شكل زيارة يزار بها عمر ابن الخطاب مصاغة بنفس الطريقة التي يزار بها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي جاء فيها: (...ثم يتأخر قدر ذراع آخر، فيسلم على سيدنا عمر رضي الله عنه، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، يا سيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقا بالحق والصواب. السلام عليك يا حليف المحراب، السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال في حقك سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان بعدي نبي لكان عمر. السلام عليك يا شديد المحاماة في دين الله والغيرة، يا من قال في حقك هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره أستودعك...)[1].

السبب الثاني: ترويج لقب أمير المؤمنين وإدخاله بعد الأذان ليسمعه المسلمون صغيرهم وكبيرهم خمس مرات في اليوم، ولسنين طويلة، حتى يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وحتى نشأ بمرور تلك السنين جيل اعتاد على سماع إطلاق لقب أمير المؤمنين على غير علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، بل أكثر من ذلك فإن هذا الجيل الجديد والأجيال التي ستليه اعتادوا على عدم دخول الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه عند إطلاق هذا اللقب فيه، ولنا على هذه الطريقة الخبيثة عدة شواهد تاريخية نختار منها:

قال جلال الدين السيوطي: (قال الواقدي وغيره...فلما ولي أبو بكر كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله الصلاة يا خليفة رسول الله[2].

---

(١) إعانة الطالبين للبكري الدمياطي ج ٢ ص ٣٥٧.

(٢) التأكيد والتركيز على كون أبي بكر خليفة رسول الله يدخل في نفس المخطط الذي نحن بصدد الكلام عنه، باعتبار ان المسلمين الأوائل كانوا يعلمون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف أبا بكر من بعده، بل ان أبا بكر نفسه يعترف بذلك حينما جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله؟ فقال: لا، فقال: ما أنت؟ قال: أنا الخالفة من بعده، أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج١٢ ص٥٣١ في ←

فلما ولي عمر ولقب أمير المؤمنين كان المؤذن يقف على بابه ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم إن عمر أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله.

ويقال إن عثمان زادها، وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمراء الأعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة أو الأمير فيصلي بالناس. هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة أيام بني العباس حتى ترك الخلفاء الصلاة بالناس فترك ذلك)[١].

السبب الثالث: ترويج بعض ضعفاء النفوس من الصحابة والتابعين لهذا اللقب لأسباب منفعية أو عقد نفسية.

وعلى سبيل المثال نأخذ كلاً من ابن عمر وزيد بن ثابت كمثالين كان لهما التأثير البالغ في نشر هذا اللقب وإطلاقه على غير مستحقيه، فقد أخرج البخاري في صحيحه رواية توضح إقرار ابن عمر لعبد الملك بن مروان بإمارة المؤمنين قال: (حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني عبد الله بن دينار قال لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وان بني قد أقروا بذلك)[٢] مع العلم ان ابن عمر لم يقر للإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بالإمارة ولا بايعه طوال مدّة خلافته.

وفاة أبي بكر، وقال جار الله الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث ج١ ص ٣٣٩ بعد إيراده لهذه الرواية: (الخالف والخالفة الذي لا غناء عنده ولا خير فيه...) وقال ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٦٩ باب الخاء مع اللام بعد إيراده لهذا الخبر: (فأما الخالفة فهو الذي لا غناء عنده ولا خير فيه، وكذلك الخالف، وقيل هو الكثير الخلاف).

(١) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص٩٢ كتاب الصلاة باب ما جاء في النداء للصلاة.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ في كتاب الأحكام.

وعن البخاري أيضا في كتابه الأدب المفرد أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية بن أبي سفيان بما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد ابن ثابت سلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو... والسلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته)[1].

وعن ابن حجر قال: (ومن طريق زيد بن ثابت انه كتب إلى معاوية السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته)[2].

ولهذه الأسباب وبهذه الجهود ضيع حق من حقوق أهل البيت عليهم السلام وتم القضاء على أهم ألقاب مولى الموحدين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

ولا ينبغي التوهم بأن مقصد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم في الدفاع عن لقب أمير المؤمنين وإصرارهم على انحصاره بشخص الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه هو دفاع وإصرار على مجرد لقب مؤلف من حروف جوفاء أو مجرد وسام افتخاري يمكن أن يرفع من مكانة ومنزلة أهل البيت الدنيوية شأنه شأن بعض المناصب الدنيوية التي يمنحها بعض الملوك لبعض خواصه، بل ان جوهر الدفاع والإصرار على لقب أمير المؤمنين واختصاصه بشخص الإمام علي تكمن أهميته بما وراء ذلك اللقب، لان لقب أمير المؤمنين يستبطن في جوهره الإقرار لصاحب اللقب باستحقاق أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية، ويجعل حامله والمختص به مؤهلا ومقدما على مَن غيره لتسلم موقع السيادة والصدارة والخلافة بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الأدب المفرد للبخاري ص٢٤١ في الجواب على كيف أصبحت.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ٥ باب بدء السلام.

وبعبارة أخرى: فإن لقب أمير المؤمنين يمكن أن يعد أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية يمكن أن يعطى لأحد من الناس بعد لقب نبي المؤمنين[1] الذي انفرد به نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون بذلك الدفاع عن لقب أمير المؤمنين من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم هو في الحقيقة دفاعاً عن أصل الخلافة، وإصرارنا على اختصاص هذا اللقب في الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد نفس إصرارنا على اختصاص الخلافة بشخصه الشريف، واستماتتنا في الحفاظ على هذا اللقب هو نفس استماتتنا في الحفاظ على مبدأ الإمامة وأحقية أهل البيت به من دون العالمين.

كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه

بعد أن زويت الإمارة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لسنين طويلة عادت لهم بعد تولي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه الخلافة بعد عثمان بن عفان، فأوجس أصحاب نظرية توسيع إمارة المؤمنين[2] في أنفسهم خيفة من رجوع

---

(١) جاء وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنبي المؤمنين على لسان كثير من الصحابة ونخص بالذكر منهم عباس بن مرداس حيث يقول في بعض أشعاره كما في (البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٩٤).

وقال نبي المؤمنين تقدموا ... وحب إلينا أن نكون المقدما

(٢) روى الشريف الرضي في كتابه خصائص الأئمة (ص٦١ - ٦٢) عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (لما قدم عبد الله بن عامر بن كريز المدينة لقي طلحة والزبير، فقال لهما بايعتما علي بن أبي طالب عليه السلام؟ «فقالا نعم» فقال: أما والله لا يزال ينتظر بها الحبالى من بني هاشم، ومتى تصير إليكما، أما والله ما جئت حتى ضربت على أيدي أربعة آلاف من أهل البصرة كلهم يطلبون بدم عثمان فدونكما فاستقيلا أمركما).

وفي كتاب الأمالي للشيخ الطوسي (ص ١٧٧) ان إبليس لعنه الله (تصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية، وسعوها تتسع، فلا تردوها في بني هاشم، فتنتظر بها الحبالى).

الإمارة إلى الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، وتيقنوا ان الأمور لو صفت وخلصت واستقرت للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعاش حياةً سياسية مستقرة كما عاشها كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب ، فانه صلوات الله وسلامه عليه سيربي الأمة على المبادئ التي يؤمن بها ، وأحد هذه المبادئ هي كونه الوحيد المستحق للقب (أمير المؤمنين) ، فيعيد للأمة ما جهد الذين سبقوه بإخفائه وتبديله ، وانه سيمهد للإمام الذي يليه من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وكذلك سيفعل الذي يليه ، وبهذا سوف لن تخرج منهم الإمارة والخلافة مرة أخرى بأي حال من الأحوال ، وستعود مخصوصة بأهل بيت محددين كما أرادها الله سبحانه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقرروا ان لا يعطوا لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفرصة بأن يلتقط أنفاسه أو يهنأ بعيشه ويستقر في خلافته ، فأشعلوا بوجهه نيران الفتن ، ودقوا من حوله طبول الحرب ، واجبروه على أن يخوض مع الناكثين من أصحاب الجمل حربا ضروسا أشغلته لعدة أشهر ، ثم أتبعوها بحرب ثانية مع الباغين في صفين ، واختلقوا له فتنة رفع المصاحف والتحكيم التي أفرزت وكانت أساسا لظهور فئة الخوارج المارقين ، ثم لم يهنأ الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وشيعته إلا أياما حتى اجتمع الخوارج على حربه في النهروان فصار هنالك ما صار ، وفي هذه الأثناء كانت غارات معاوية على المناطق المتاخمة للشام تشتد أكثر وأكثر ، إلى أن ختمت جميع هذه المؤامرات بمؤامرة دنيئة أدت إلى اغتيال واستشهاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ورحيله عن هذه الدنيا من دون أن تتاح له فرصة تربية الأمة وتعليمها وإرجاعها إلى الخط النبوي الصحيح.

ولما استشهد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعمل بما هو الحق وأوصى لابنه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ازدادت مخاوف القوم المناهضين لمبدأ تخصيص الإمارة بأهل البيت من دون العالمين ، واستيقنوا ان استخلاف الإمام الحسن من بعد أبيه أمير

المؤمنين خطوة مهمة لترسيخ هذا المبدأ، ومحاولة لبث الحياة إليه مرة ثانية بعدما كاد يموت وينسى، وانهم لو تركوا الإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يستقر في خلافته فسيوصي لأخيه الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وسيوصي الإمام الحسين للإمام الذي بعده وهلم جرا، وسيعتاد المسلمون على رؤية أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وهم يوصون لأحدهم بعد الآخر، وهذا ما سيقوض كل الجهود التي بذلها أصحاب فكرة توسيع الإمارة، فكان الحل الجذري لكل هذا هو منع استمرار خلافة الإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بعد أبيه أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وبأي ثمن كان، لينتهي بذلك قانون الوصاية والاستخلاف من إمام إلى إمام آخر.

فأشعلوا تبعا لذلك نار الحرب بوجه الإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كما أشعلوها بوجه أبيه أمير المؤمنين من قبل، وتوالت عليه الطعنات من كل حدب وصوب، وتعاضدت أيدي المتآمرين بوجهه صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ واستغل المتآمرون الضعف العقائدي والإيماني عند تلك الأمة التي كانت تقيس كل شيء بالمال والثروة، وتنظر إلى الأمور والأحداث على أساس مادي بحت، فما ان فتح معاوية كنوزه المذخورة، وما ان رأى وجهاء تلك الأمة بريق الدنانير والدراهم حتى عادت بهم الذكريات إلى ما قبل أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أيام كان الواحد منهم تكسر مدخراته من الذهب والفضة بالفؤوس، فاشتاقت نفوسهم إلى تلك الأيام وخذلوا الإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ واضطروه لترك الخلافة والصلح مع معاوية بن أبي سفيان بعد أحداث يطول شرحها وليس هنا محل تناولها، فخرجت بذلك الإمارة والخلافة مرة ثانية عن أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وعادت إلى دعاة التوسيع لمبدأ الإمارة.

وما أن وصلت الإمارة المغتصبة ليد معاوية بن أبي سفيان ونُصب لتولي الحكم بالقوة والجور، قرر أن يعيد مبدأ التخصيص للإمارة لكن بثوب جديد، وذلك عن

طريق الوصية لابنه يزيد بن معاوية من بعده، ويوصي بها يزيد للذي بعده وهكذا إلى أن تصير مخصوصة لآل أبي سفيان يتوارثها منهم الخلف عن السلف كما يتوارث القياصرة والأكاسرة الملك واحداً بعد واحد وظالماً بعد ظالم.

فثارت ثائرة البعض وبالخصوص سعد بن أبي وقاص، وعائشة وأخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر وعبد الله بن الزبير، إذ ان كل واحد من هؤلاء كان يرجو الإمارة لنفسه أو لشخص من أهل بيته، وأملهم الوحيد في ذلك بقاء مبدأ توسيع الإمارة على ما كان عليه زمن أبي بكر وعمر، لان في إبقاء الباب مفتوحا فرصة كبيرة لا تتاح في حالة غلق هذا الباب وتخصيصه بأهل بيت معينين.

لكن معاوية سرعان ما حل كل هذه العقبات فاغتال بعض هؤلاء المعترضين أمثال سعد بن أبي وقاص[١] وعبد الرحمن بن أبي بكر[٢]، وأسكت البعض الآخر بقوة السيف وقهر السلطة، والبعض الآخر اشترى سكوته[٣]، وسكت البعض الآخر

---

(١) قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٤٨: (أراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سما فماتا منه).

(٢) عن العلامة الأميني في كتابه الغدير (ج١٠ ص ٢٤٦) وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (ج١ ص١٥٩) (وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فخلا به فقال: بأي يد أو رجل تقدم على معصيتي؟ فقال عبد الرحمن: أرجو أن يكون ذلك خيرا لي. فقال معاوية: والله لقد هممت أن أقتلك. فقال: لو فعلت لأتبعك الله في الدنيا، ولأدخلك في الآخرة النار) ثم خرج عبد الرحمن إلى مكة بعد هذا التهديد ومات في الطريق دون أن يعرف احد سبب مماته.

(٣) كما فعل مع عائشة حيث فتح عليها أبواب بيت المال فبعث إليها مرة كما أخرجه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٨ مائة ألف درهم، وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ج٨ ص١٤٦: (بعث معاوية إلى عائشة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)، وبعث لها أيضا بمال أعطت منه المنكدر بن عبد الله عشرة آلاف درهم ليشتري بها جارية يتزوج بها (راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٢٨)، وروى ابن كثير في البداية والنهاية ج٨ ص١٤٦ عن سعيد بن العزيز وقال: (قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس).

ووافق على هذا التخصيص الجديد للإمارة ما دام يمنع آل علي من الوصول مرة أخرى إلى موقع الإمارة للمؤمنين.

إلا ان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بقي العقبة الكؤود أمام معاوية، لان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه كان قد اشترط على معاوية أن لا يعهد إلى أحد من بعده[1]، فكان الاغتيال الذي اعتاده معاوية للخلاص من معارضيه هو الحل الوحيد للتنصل من كل التزاماته وشروطه وعهوده المأخوذة في وثيقة الصلح، فما ان استشهد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد تعرضه للسم الذي دسه إليه معاوية بيد زوجته جعدة بنت الأشعث حتى بدأ معاوية بتنفيذ مخططه الجديد لحصر الإمارة بآل أبي سفيان وحدهم، قال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب: (كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرض بها ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن)[2]، وبهذا يتضح جليا ان يزيد عليه اللعنة وولايته وإمارته المشؤومة لم تقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فحسب بل انها كانت سببا مهما من أسباب استشهاد الإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه أيضا.

ولم تمض إلا مدّة وجيزة بعد أخذ معاوية البيعة من المسلمين على ولاية العهد لابنه الفاسق يزيد عليه اللعنة حتى مات معاوية لعنه الله، لتطوى بموته صفحة سوداء من صفحات التاريخ، وليترك للمسلمين أسوأ اثر من آثاره يزيد بن معاوية لعنه الله.

فتولى يزيد وثارت الغيرة أو الحمية في نفوس بعض المسلمين، ورفضوا أن يتأمر عليهم أمير خير صفاته انه قاتل للنفس وشارب للخمر ولاعب بالكلاب والقرود، فتزلزل بذلك الوضع الأميري للدولة الأموية، وبدأت الأنظار تتجه مرة أخرى إلى

(١) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص ١٩٢.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٣٩١.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، و بالتحديد إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأصبح وضعه صلوات الله وسلامه عليه شبيها بوضع أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يوم اتجهت إليه الأنظار بعد مقتل عثمان بن عفان حيث ذاقت الأمة من ويلات إمارته وحبوته لبني عمومته وأهل بيته وعشيرته ما أدى إلى حصره وقتله بعد أن رفض التنازل عن الإمارة، فرأوا ان المخلص لهم من كل معاناتهم هذه هو الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لا غير، فتداكوا على بيعته تداك الإبل الهيم يوم وردها، وها هي نفس الأمة ترى من جديد بعدما ذاقت من جور معاوية بن أبي سفيان وظلمة ما ذاقت ترى في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المنقذ والمخلص من جور يزيد واستهتاره، وبانت للعيان بوادر عودة إمارة المؤمنين من جديد لأصحابها الشرعيين الذين ارتضاهم الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لها، فبايع الآلاف من أهل العراق للإمام وشرطوا له السمع والطاعة وخلعوا عنهم بيعة يزيد بن معاوية لعنه الله، واستحكمت القرائن بعزم الإمام صلوات الله وسلامه عليه للمسير نحوهم إجابة لدعوتهم وإحساسا بالمسؤولية الشرعية تجاه استصراخهم له، فأصبحت الأمور بذلك تسير وبشكل سريع ومنظم لعودة الإمارة من جديد تحت تصرف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فرجعت المخاوف القديمة من تخصيص وحصر الإمارة بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيما لو تولاها الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعد معاوية بن أبي سفيان، فقرر الجميع باستثناء القلة القليلة من تلك الأمة ورموزها الدينية التواطؤ من جديد لتقويض هذه الإمارة وقتلها في مهدها وسحق بذرتها قبل أن ترى النور وقبل أن تشتد ويقوى عودها، حتى وان استلزم الأمر إلى المواجهة الدامية، وحتى لو كانت هذه المواجهة تؤدي إلى قتل كل البقية الباقية من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صغيرهم وكبيرهم حتى لا يبقى منهم من يطالب بالإمارة ويعيدها إلى كنف أهل البيت

ويخصصها بهم مرة ثانية، وهذا هو ما حصل يوم عاشوراء.

فالحسين صلوات الله وسلامه عليه إذن وبالتوضيح الذي مر هو شهيد إمارة المؤمنين كما كان أبوه وأخوه صلوات الله وسلامه عليهما شهيدَي هذه الإمارة.

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء

وهذا السبب يوضحه الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في خطابه للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ)، فلقب سيد الوصيين كان له الأثر البالغ في نشوء وحدوث فاجعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وسيد الوصيين هو لقب من ألقاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه اختص به دون العالمين، وهو كلقب أمير المؤمنين من حيث كونه لم يأتِ ذكره في فقرات الزيارة بشكل عشوائي من دون هدف، وهو كذلك ليس مجرد لقب تشريفي يهدف إلى رفع المكانة الاجتماعية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو أفراد أسرته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هو ينطوي على عدة من الحقائق المهمة منها:

أولا: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل وأكمل من كل أوصياء الأنبياء الذين سبقوا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة ــ كما سيأتي في محله ــ، وإذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أولئك الأوصياء العظام، ومقدم في الفضل عليهم، فمن البديهي أن يكون أكمل من كل الصحابة ومقدماً عليهم.

ثانيا: ان وصايته صلوات الله وسلامه عليه ليست على نحو الوصاية البشرية، بل هي وصاية إلهية من سنخ وصاية الأنبياء وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي هي في

حقيقتها منصب الهي لا ينال ولا يعطى إلا بإذن وقبول ورضا من الله سبحانه وتعالى شأنه في ذلك شأن النبوة والرسالة.

ثالثا: ان مسألة الوصاية والخلافة ليست شرعة لكل وارد ولا تتاح لكل صعلوك آثم(١)، ويلزم منها ان الوقوف بوجه علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه صاحب هذا اللقب والحيلولة دون تصديه للوصاية هو في حقيقته وقوف بوجه كل الأوصياء والأنبياء السابقين لان عليا صلوات الله وسلامه عليه سيدهم والوقوف بوجه السيد يعدّ وقوفاً بوجه من هو أقل منه كمالا وشرفا ومنزلة.

ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم تكن تلك المعاني التي يثبتها لقب الوصي أو سيد الأوصياء تروق لمن تقمص ثوب الخلافة وتقدم وتأمر على أميره ووصي رسوله، وقد أحس هو وحزبه بأن بقاء هذا اللقب سيبقى غصة تنكد عليهم صفو عيشهم وتعرقل خططهم التوسعية، وان الأمة ستبقى تتذكر تلك الوصية المغصوبة ما دام للقب الوصي أو سيد الأوصياء وجود في أذهان الناس ومدوناتهم التاريخية، لذلك قرروا ان يتبعوا طريقتين كان لهما الأثر الفعال في إنساء الأمة لهذا اللقب وأمثاله:

الطريقة الأولى: وضع الأحاديث وتكثيرها في عدم وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من بعده، وقد لعبت عائشة بنت أبي بكر دورا هاما في نكران الوصية وإبعادها عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد روت لتثبيت هذه البدعة أحاديث عدة، منها: ما أخرجه البخاري وغيره عن الأسود قال: (ذكر عند عائشة ان النبي صلى الله عليه

---

(١) وهي كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٤.

ـ وآله ـ وسلم أوصى إلى علي فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم واني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى علي)[1].

وحينما كان المنكرون للوصية يواجهون بسؤال بديهي هو: كيف يجوز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أوجب على الأمة الوصية وأكد على أنه لا يحل لمسلم أن يموت ولم يكن قد أوصى بكل ما يهمه عن أمور آخرته ودنياه، فكيف يجوز أن يغفل هو عن هذا الأمر البديهي ويرحل هن هذه الدنيا من دون أن يوصي، فيترك أمته تائهة من بعده مختلفة، حاشاه عن مثل هذا الفعل الذي لو قلناه ونسبناه لأبي بكر أو عمر لاستفظعوه ولما قبلوه، فحينما كان المنكرون للوصية يواجهون بهذا السؤال المحرج يعمدون إلى بتر بعض الأحاديث التي تخدم مصالحهم وإخفاء الأجزاء الأخرى التي يستشعر منها الخطر، كما فعل عبد الله بن أبي أوفى حينما سئل: أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: لا، فقيل له: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها، قال: أوصى بكتاب الله)[2]، وهذا الحديث كما هو واضح مبتور لان النبي أوصى بالكتاب والعترة كما في حديث الثقلين المتواتر، لكنهم اختاروا ما يناسب هواهم ولا يجعل للشيعة وأنصار أهل البيت حجة ودليلا عليهم.

الطريقة الثانية: اتباع وسائل الإرهاب الفكري ضد كل من يقول بأفضلية علي ابن أبي طالب على بقية أوصياء الأنبياء الذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة، وذلك برميهم بالكفر والردة وإخراجهم عن حضيرة الإيمان بل عن عنوان الإسلام.

قال محيي الدين النووي: (وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٤٣باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته.

(٢) المصدر السابق ص١٤٤.

تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة، وكذا من فعل فعلا أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله، كالسجود للصليب، أو النار والمشي إلى الكنائس مع أهلها بزيهم... فكل هذا أو شبهه لا شك في تكفير قائله...وكذا من غير شيئا من القرآن...قال: الأئمة أفضل من الأنبياء)[1].

ووافقه على ذلك محمد بن أحمد الشربيني فقال: (يكفر من نسب الأمة إلى الضلال أو الصحابة إلى الكفر... أو قال: إني دخلت الجنة وأكلت من ثمارها وعانقت حورها، أو قال: الأئمة أفضل من الأنبياء، هذا إن علم معنى ما قاله لا إن جهل ذلك لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين فلا يكفر لعذره كما مر)[2]وبه قال أيضا الشرواني والعبادي[3].

وبهذه الطريقة منعوا انتشار لقب الوصي وحاصروا فكرة ان عليا صلوات الله وسلامه عليه هو سيد الأوصياء وانه الأفضل من بينهم والأكمل.

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

سنستعرض فيما يأتي وعلى عجالة جملة من الأدلة التي تشير وتدل دلالة واضحة على أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

الدليل الأول

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

(١) روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج ٧ ص٢٩٠ تجده في كتاب الردة الطرف الأول في حقيقتها وهي قطع الإسلام.

(٢) مغني المحتاج لمحمد بن أحمد الشربيني ج٤ ص١٣٦ كتاب الردة.

(٣) حواشي الشر واني للشرواني والعبادي ج٩ ص٩١ كتاب الردة.

وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1]، وبديهي ان الآية لا تريد تفضيل كل الأمة الإسلامية بحيث يشمل فُساقها ورعاعها على كل الأمم الأخرى، بل التفضيل كما لا يخفى هو للأمة المتصفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتصفة بصفة الإيمان بالله سبحانه، فهؤلاء مفضلون على من يؤمن بالله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من باقي الأمم الأخرى.

ويكون هذا التفاضل ما بين الأمتين ـ الإسلامية وغيرها ـ كل بحسبه فمؤمن هذه الأمة المتصف بتلك الشروط أفضل وأكمل من مؤمن تلك الأمم المتصف بنفس هذه الشروط، ووصي هذه الأمة المتصف بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الصفات التي لابد من توفرها في الوصي أفضل من جميع أوصياء الأمم السالفة ممن يتصف بنفس تلك الصفات، وهذا التفاضل لا يقتصر على المؤمن العادي أو الوصي بل انه ينسحب ليشمل حتى الأنبياء فنبي هذه الأمة أكمل وارفع مقاما وأفضل من أنبياء جميع تلك الأمم الغابرة، فيثبت ان نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووصينا المرتضى صلوات الله وسلامه عليه سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام سادة الأئمة، ومؤمنينا سادة المؤمنين كل ذلك بالاستفادة من الآية المباركة.

الدليل الثاني

أحاديث (علي خير البشر) دالة على ذلك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر)[2]. وعن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٢) تفضيل أمير المؤمنين للشيخ المفيد ص٣٤.

فانظروا في شأن أمه)[1]، وروى عبد الله بن عدي عن الساجي عن عبد الله بن الحسين ابن الحسن الأشقر قال: (سمعت أبا داود الدهان يقول سمعت شريك بن عبد الله يقول علي خير البشر فمن أبى فقد كفر)[2] وروى أيضا عن (حذيفة عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال علي خير البشر فمن أبى فقد كفر)[3].

وإطلاق لفظ البشر في هذه الأحاديث يشمل الأوصياء وغيرهم من أفراد تلك الأمم، بل يشمل حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان جميعهم بشر، وإذا كانوا بشرا كان علي أفضل منهم وأكمل بنص الحديث النبوي فيكون سيدهم.

وكذلك هو أفضل أفراد الأمة الإسلامية من بداية الدعوة النبوية إلى آخر يوم من أيام الدنيا، لان جميعهم بشر فيكون علي أفضلهم وخيراً منهم وأكمل، ويستثنى من هذه القاعدة شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فهو وان دخل تحت لفظ البشر إلا أن الدليل القطعي قام على أفضليته على الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى كل بني آدم إلى قيام الساعة.

الدليل الثالث

وتثبت أفضليته صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء بل على جميع البشر باستثناء النبي صلى الله عليه وآله من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[4].

---

(1) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٤٢، وراجع أيضا من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٣ ص ٤٩٣.

(2) الكامل لعبد الله بن عدي ج ٤ ص ١٠.

(3) المصدر السابق.

(4) سورة آل عمران الآية ٦١.

فقد أجمع المفسرون على ان المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ هو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقد عدّهما القرآن الكريم نفسا واحدة، فتثبت تبعا لذلك المساواة ما بين النفسين في الكمال والصفاء وكل شأن رفيع باستثناء النبوة، والثابت القطعي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء فيكون علي بن أبي طالب أفضل أيضا لان المساوي للأفضل أفضل أيضاً.

الدليل الرابع: وحديث الطائر المشوي يدل على ذلك أيضا، فقد روى قطن بن بشير... عن أنس بن مالك قال: (أهدي لرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حجل مشوي بخبزه وضيافه، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام، فقالت عائشة: اللهم اجعله أبي، وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي، وقال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عبادة، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا علي بالباب فقلت إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم علي فسمع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم صوته فقال: انظر من هذا؟ فخرجت فإذا هو علي فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فأخبرته فقال: ائذن له يدخل علي فأذنت له فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم اللهم وال من والاه)[1].

فعلي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وبحسب حديث الطائر المشوي الذي صححه جميع علمائنا، وجملة كبيرة من علماء أهل السنة، هو أحب الخلق إلى الله من بعد

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٨٧ حديث الطير، وقد اتفق الفريقان على روايته.

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم لان هؤلاء كلهم يجمعهم لفظ الخلق، وهو صلوات الله وسلامه عليه كذلك أفضل من جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة؛ لأن الجميع يدخل تحت عنوان الخلق، وكذلك هو صلوات الله وسلامه عليه أفضل من جميع الملائكة حتى المقربين منهم؛ لأنهم جميعا مشمولون بلفظ الخلق.

الخامس: هنالك مجموعة من الأحاديث الشريفة التي وصفت كل نبي من أنبياء أولي العزم أو غيرهم بأوصاف امتاز بها عن غيره، وجعلت من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جامعا لكل تلك الفضائل، فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وفقا لهذه الأحاديث أفضل من جميعهم[1]، لبداهة ان الجامع لكل صفات الكمال أفضل من الحائز على بعضها، ومن هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، والى نوح في فهمه، والى إبراهيم في خلقه، والى موسى في مناجاته، والى عيسى في سنته، والى محمد في تمامه وكماله فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنما ينقلع من صبب[2] وينحط من جبل) وقد استقصى العالم النحرير العلامة الشيخ الأميني في كتابه الغدير جملة من طرق هذا الحديث بألفاظه المختلفة فمن أراد التفصيل فليرجع إلى هناك[3].

ويجب ان ننبه على ان إثبات كون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل الأنبياء والرسل الذين سبقوا نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستبطن أفضليته على

(١) باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل على أفضليته على سائر الخلق كما ذكرنا ذلك من قبل.

(٢) هذه العبارة والتي بعدها وصف لمشيته صلوات الله وسلامه عليه فخطواته كانت ثابتة ورشيقة.

(٣) الغدير للشيخ عبد الحسين الاميني ج٣ ص٣٥٥ تحت عنوان حديث الأشباه في أمير المؤمنين عليه السلام.

أوصياء هؤلاء الأنبياء والرسل بالغ ما بلغ عددهم؛ لان الأنبياء والرسل أفضل وأكمل من أوصيائهم، وعليه فيكون إثبات أفضليته على أولي العزم كافياً لإثبات أفضليته على جميع أوصيائهم.

كانت هذه بعض الأدلة التي تثبت وبوضوح أفضلية الإمام أمير المؤمنين على جميع الأوصياء بل والأنبياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد تركنا الخوض في المزيد منها رجاء الاختصار.

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة

لكلمة (الْوَصِيِّينَ) التي ورد ذكرها في هذه العبارة الشريفة من الزيارة ثلاثة معانٍ محتملة نستعرضها على سبيل الاختصار دون الخوض في تفاصيل هذه الاحتمالات؛ لان التفصيل فيها يحتاج إلى مساحة اكبر من مساحة هذه المباحث المثارة في هذا الكتاب والذي نشدنا فيه الاختصار بقدر المستطاع، وهذه المعاني الثلاثة هي كالتالي:

الأول: قد يراد من الأوصياء هم خلفاء الأنبياء الذين سبقوا نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، والذين أوكلت لهم مهام القيادة والإمامة بالوصاية والنيابة عن أنبيائهم، فيكون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه سيدهم وأكملهم وارفعهم رتبة ومحلا عند الله سبحانه وتعالى، لان الشريعة الخاتمة كما بينا سابقا أفضل الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والرسل وكتابها خير الكتب ومؤمنيها أفضل من كل مؤمني الأمم السابقة فمن الطبيعي والعادل أن يكون وصيها أفضل من جميع الأوصياء وسيدا لهم.

الثاني: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هم نفس الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا نبينا ورسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكون تسميتهم أوصياء لان كل واحد من هؤلاء العظام

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان يبشر أمته بالنبي الذي سيأتي من بعده ويوصي باتباعه كما أوضح القرآن الكريم عن عيسى بن مريم بشارته بنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1].

أو لان بعضهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يصل ويكمل دور البعض الآخر فيكون بعضهم لبعض وصياً إذ إن أحد معاني الوصاية هو الوصل، ومنه أخذ اسم وصية الميت التي إنما (سميت وصية لاتصالها بأمر الميت)[2].

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بذلك أفضل من جميعهم باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل القطعي على أفضلية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق، ومن ضمنهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثالث: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة المباركة خصوص الأئمة الأطهار من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاتصال وصايتهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولاتصال وصاية النبي بوصاية من سبقه من الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فتكون بذلك وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين استمراراً وامتداداً لسلسلة الأوصياء التي ابتدأت بأبي البشر آدم صلوات الله وسلامه عليه وستختم بالإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

وأفضلية الإمام أمير المؤمنين على بقية أولاده الأوصياء مما لا شك فيه وهو مؤيد بجملة كبيرة من الأدلة، منها حديث الطائر المشوي، وآية المباهلة وغيرها من الأدلة التي استعرضناها في المبحث السابق، ونضيف هنا قول الرسول الأعظم

---

(١) سورة الصف الآية رقم ٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٣٩٤ فصل الواو مادة وصي.

صلى الله عليه وآله بحق الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما (هذان سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)[١]، وما رواه أبان بن عياش، قال: (سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام، فقال: ما أقول فيه! كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة، إن عليا كان في أمره عليا، رحم الله عليا، وصلى عليه! فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: «صلى عليه» لغير النبي! فقال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبي وآله وعلي خير آله. فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، والله إنه خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأبوهما خير منهما» ولم يجر عليه اسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «زوجتك خير أمتي»، فلو كان في أمته خير منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فآخى بين علي ونفسه، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفسا، وخيرهم أخا. فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك إنك قلته في علي؟ فقال: يا بن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لشالت بي الخشب)[٢].

وأهل الكساء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما هو معلوم أفضل من غيرهم من الأئمة وعلي صلوات الله وسلامه عليه أفضل أهل الكساء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون علي أفضل الجميع، وبالجملة فإن أفضلية أمير المؤمنين على بقية أولاده مما لا يحتاج إلى كثير عناء وهو من بديهيات معتقدات الفرقة الناجية، ومما اجتمعت عليه كلمتهم وإجماعهم حجة بنفسه كما لا يخفى.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٥١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج١ ص٣٦.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٦ تجده في فصل في ذكر المنحرفين عن علي.

وثبوت كون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أفراد الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يستبطن أيضا أفضليته على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم لما ثبت من أفضلية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[1] والأفضل من الأفضل هو أفضل من الأدنى من باب أولى.

ملاحظة لابد منها

لقد اثر لقب سيد الوصيين في حدوث فاجعة عاشوراء وكان سببا من أسباب استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويمكن توضيح هذه المسألة بنفس ما تقدم في مسألة (كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه) والتي أسهبنا الكلام فيها آنفا، فمن أراد أن يفهم ذلك فليراجع المطلب المزبور.

ويمكن كذلك الرجوع إلى مبحث (سر السلام على الحسين صلوات الله وسلامه عليه بابن رسول الله) والذي تقدم ذكره أيضا لفهم سر السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعبارة (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ) فنفس الأسباب التي تم توضيحها هناك تنطبق هنا أيضا.

وبهذا ينتهي بنا الكلام حول شرح وتبيان هذه العبارة المباركة نسأل الله أن يمن علينا بمعرفة فضل محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإقرار بكمالهم انه ولي التوفيق.

(١) قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه الهداية ص ٢٣ ـ ٢٥: (باب النبوة... ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وبعدهم الأنبياء عليهم السلام، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته).



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها مذكر بالنبي الأعظم

الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

وتحوي هذه الفقرة المباركة من الزيارة على مباحث مهمة لا غنى للفرد المؤمن عن معرفتها والتوجه إلى مضامينها نذكر منها على سبيل الاختصار ما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

قد تقدم في أثناء إثبات الفقرات السابقة من الزيارة تكرار السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بالبنوة للصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهما وكذلك تكرر وصف السيدة الطاهرة بلفظ (سيدة نساء العالمين) فلا نرى ان من اللازم التفصيل أكثر لان هاتين الفقرتين مما تواتر ذكرهما ونقلهما لفظا أو معنى في كتب وتصانيف المذاهب الإسلامية ، وسيأتي ذكر لبعض تلك الأحاديث في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

كان ولا يزال اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها حينما يذكر يحمل معه إلى الأذهان شيئين مهمين:

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليها مذكر بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ان الإنسان المؤمن وبمجرد سماع ذلك الاسم المقدس اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ينتقل ذهنه من حيث يشعر أو لا يشعر إلى شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاسم فاطمة كان ولا يزال يجذب القلوب وينقل الفكر وينعش الذاكرة بتذكر شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه خصوصية لا نجدها لأي اسم آخر مهما كان قريبا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابناه سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما.

ولهذا الترابط وجه غيبي الهي في كثير من جوانبه، ويحكي عن سر وجودي كان قبل خلق السماوات والأرض يوم كانت الزهراء روحي فداها نورا واحدا هي وأبوها وبعلها وولداها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يسبحون الله ويقدسونه قبل أن يفطر الله السماوات والأرض.

ولما شاء الله سبحانه وتعالى وأراد أن يخلق عالم المادة والطبيعة خلقوا أيضا من طينة واحدة أطلقت عليها الروايات الشريفة اسم (طينة عليين)، فنورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت، فمن الطبيعي بعد كل هذا الاتحاد أن يكون ذكر فاطمة صلى الله عليه وآله وسلم يجتذب ذكر أبيها النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وبعدما منّ الله سبحانه على هذه الأمة بنعمة إيجاد هذه البضعة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها، جعلت كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تترى في حق ابنته يتبع بعضها البعض

الآخر، محاولة إفهام الأمة وجذب انتباهها إلى ان وجود السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها نعمة من النعم الإلهية التي خص الله بها هذه الأمة من دون الأمم فيجب على كل فرد من أفرادها أن يحسن مجاورة هذه النعمة ويراعي حرمتها.

وكثيراً ما كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحاول إفهام الأمة ان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ليست موجودا بشريا عاديا كسائر البشر وعوام الناس(١)، وانها صلوات الله وسلامه عليها موجود يجمع ما بين صفات عالم الملك وعالم الملكوت وهي مزيج الهي خاص لا يتكرر ولن يتكرر في غير القالب الوجودي للسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها فهي حوراء إنسية(٢)، وهي ليست كسائر نساء العالمين أيضا، ولا يصح مقارنتها بواحدة منهن، لأنها سيدة نساء العالمين(٣)، والسيدة لا تقارن بمن دونها من آحاد الأمة.

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير ج٢٢ ص٤٠١ في مناقب فاطمة عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب عائشة بقوله: (يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون).

(٢) روى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات ج ١ ص ٤١٢ قال: (نبأنا عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أبو بكر محمد بن علي الخياط أنبأنا أحمد بن محمد بن درست أنبأنا أبو الحسين عمر بن الحسن الأشناني حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن حاتم بن عبيد الله العجل [العجلي] حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي قال: كنت أنا وأبو علي القوقساني في جماعة فيهم غلام خليل فذكروا فاطمة، فقال غلام خليل: حدثني حسين بن حاتم حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لله قلت يا رسول الله مالي أراك إذا قبلت فاطمة أدخلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلا؟ قال: نعم إن جبريل الروح الأمين نزل إلي بعنقود قطف من الجنة فأكلت وجامعت خديجة، فولدت فاطمة، فإذا اشتقت إلى الجنة قبلتها فهي حوراء إنسية لله. قال فقال عبد العزيز: لا إله إلا الله هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإسناد، والله لا كتبته إلا قائما على رجلي ولا كتبته إلا في ورقة تهامية بماء الذهب. قال فقام على رجليه وجاؤوه بورقة تهامية وبماء الذهب فكتب الحديث).

(٣) ورد وصفها صلوات الله وسلامه عليها بسيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء المؤمنين عند الخاصة والعامة فأما عند الإمامية أعزهم الله فهو مسلم به متواتر لا يقبل تأويلاً ولا تشكيكاً، وأما عند العامة فقد ورد هذا الوصف بطرق يصعب حصرها وفي مصادر يصعب إحصاؤها لكننا ←

وهذا البين والفرق فيما بينها صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا وبين باقي أفراد البشر نساءً ورجالاً لم يكن ليقتصر على تركيبتها المادية، بل شمل أيضا ما يتعلق بميولها النفسية وكمالاتها الروحية، فصارت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا لا تميل إلا للحق ولما فيه رضا لله سبحانه ورضا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا ترفض إلا ما فيه باطل وبعد عن الله سبحانه ومخالفة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حتى صار حبها ورضاها وبغضها وغضبها مقياسا لحب الله ورضاه وبغضه وغضبه، وقد أوضح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه الخصوصية لفاطمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا بقوله مخاطبا ابنته: (ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[1]، فمن أراد أن يستكشف رضا الله سبحانه وتعالى ورضا نبيه فلينظر إلى من رضيت عنه فاطمة ومن أراد أن ينظر إلى من غضب الله عليه ورسوله فلينظر إلى من غضبت عليه فاطمة لان فاطمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا كما كررنا ذلك سابقا مقياس درجة الرضا والحب الإلهي والغضب والبغض الإلهي، وكفى بها درجة يقصر دون نيلها جميع العالمين.

الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

والشيء الثاني الذي يحمله اسم فاطمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا بمجرد مروره على الأذهان، هو تلك الرحلة الجهادية الطويلة للسيدة الزهراء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا والتي بدأتها يوم ظهرت بوادر التغيير والتبديل في شريعة أبيها سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويوم تيقنت ان حدود الله وحرماته انتهكت في سقيفة بني ساعدة بإقصاء أوليائه عن مناصبهم التي نصبهم الله

→ نذكر على سبيل المثال كلاً من: البخاري في صحيحه ج٤ ص١٨٣ باب علامات النبوة في الإسلام، وص٢٠٩ باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وص٢١٩ من نفس الباب، ج٧ ص١٤٢ كتاب الاستئذان، وفي صحيح مسلم ج٧ ص١٤٣ وص ١٤٤ باب فضائل فاطمة بنت النبي، وفي المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥٦ في إذا سافر النبي كان آخر الناس عهدا به فاطمة، وغير ذلك مما لا يحصى عده.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج١ ص١٠٩ في ما اسند علي بن أبي طالب.

فيها واختارهم لها، فغضبت لله وحده فغضب الله لغضبها، ولم ترضَ إلى اليوم عمن غير وبدل، ومن بقاء غضبها نستكشف بقاء غضب الله سبحانه وعدم رضاه عن أولئك المبدلين المغيرين إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة.

فاسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وشخص فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان على الدوام سكينا يمزق شرعية المنتحلين لإمارة المسلمين، وعقبة كؤوداً تحول دون إضفاء الشرعية على سلب حقوق أهل البيت، وكم من مرة ومرة حاول أولئك المغضوب عليهم استرضاءها واستعطافها وكسب الشرعية من خلال التقرب إليها بعد غضبها لكنها صلوات الله وسلامه عليها أبت إلا الإغضاء عنهم والتنكر لأفعالهم وإفهام القريب والغريب والصديق والعدو ومن حضر عصرها ومن جاء بعد زمانها إلى يوم القيامة وبمختلف الطرق بأن غضبها وعدم رضاها مستمر على ما تم التعاقد عليه في السقيفة المشؤومة وعلى من قام بذلك كله.

واكبر ضربة وجهتها صلوات الله وسلامه عليها للغاصبين هي وصيتها بأن تدفن ليلا من دون أن يصلي عليها أو يحضر جنازتها احد ممن ظلمها وغصب حقها وحق أهل بيتها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى لا يتقول متقول ولا يدعي مدع أنّ فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قد رضيت عن المغضوب عليهم بدليل انهم صلوا على جنازتها وحضروا دفنها وتغسيلها، وليبقى قبرها المجهول يثير في قلوب من يريد الاستبصار والهداية التساؤل عن الأسباب والمبررات التي اخفت من اجلها السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قبرها الشريف ليصل من ثم إلى الحقيقة التي أرادت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إبقاءها حية شاهدة على ما وقع في ذلك العصر.

إذن فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن تلك اللبوة التي دافعت عن عرين

التوحيد والرسالة إلى أن استشهدت، وهو صلوات الله وسلامه عليه المذكر للأمة بشخص فاطمة، وصوت فاطمة، وثورة فاطمة، وغضب فاطمة، وهو الامتداد الذي اكتسب جل ما عنده من كمال ومكارم أمه فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

فلولاها لم يكن له نسب واتصال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يكن صلوات الله وسلامه عليه من الخمسة أصحاب الكساء المطهرين بنص الكتاب العزيز، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يرث منزلة الإمامة الإلهية، ولولا إمامته وتصديه لإحياء شريعة جده والحفاظ على مبادئ وقيم الإسلام لما تجرأ عليه آل أمية وأشياعهم.

ولو كان الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن هند آكلة الأكباد، أو ابن سمية وغيرهما من نساء الرذيلة، لصيروه قطب الوجود وكعبة النظار، لكنه ابن التي أذاقت الظالمين كؤوس السم الزعاف، وصار ذكرها يرعب أسماع الغاصبين لتراث الأنبياء ومنازل الأوصياء، فكرهوها وكرهوا أبناءها وقتلوها وقتلوا أبناءها، بل ونصبوا الحرب وأعلنوا الكره لكل ما يذكر بها وبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى انهم كرهوا النبتة التي كانت تحب أكلها صلوات الله وسلامه عليها فقد ورد عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ليس على وجه الأرض بقلة اشرف ولا انفع من الفرفخ، وهي بقلة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، ثم قال: لعن الله بني أمية هم سموها بقلة الحمقاء بغضا وعداوة لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها)[1].

فليس من الغريب بعد هذا التوضيح أن نقول بأن واحدة من أهم أسباب استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو كونه ابن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها سيدة نساء العالمين.

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٦ ص٣٦٧ باب الفرفخ الحديث رقم١، وراجع أيضا المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج٢ ص٥١٧ باب الفرفخ الحديث رقم ٧١٣.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

ولعل سبب اختيار الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه للقب (سيدة نساء العالمين) في فقرات الزيارة والسلام دون بقية ألقاب وأوصاف وأسماء السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هو لتبيان الفارق ما بين فريق الحق المتمثل بالحسين صلوات الله وسلامه عليه ومعسكره، وما بين فريق الباطل المتمثل بيزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومعسكرهم معسكر الشيطان وحزب إبليس.

فالقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن سيدة النساء، والقاتل هو ابن آكلة الأكباد، وابن مرجانة المعروف بولادته وولادة أبيه من الحرام، والقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن من عرفها القاصي والداني بتورم قدميها من طول الوقوف بين يدي الجبار حين مناجاتها وتبتلها وصلاتها، والقاتل الظالم هو ابن من عرفها القاصي والداني بالبغاء والزنا، حتى نصبت لطلابها رايات ترشد أهل الفجور إلى بيتها.

وليس أحد من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا وهو مشهور بنسبته إلى غير أبيه، وخذ على ذلك ابن مرجانة مثلا وقس عليه الباقين، ومن نسب منهم إلى أبيه ظاهرا فقد افتضح أمره وانكشف سر أمه بمشاركته بقتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه، لان الأحاديث الصحيحة صرحت وبشكل لا يقبل الشك، بأن قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء من الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يكونون إلا من ولادة غير شرعية، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (كان قاتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ولد زنا وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا) وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إن الله جعل قتل أولاد النبيين من الأمم الماضية على يدي أولاد الزنا)[1].

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١٦١ الباب (٢٥ ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليه السلام.

فالظليمة الظليمة من مقتل الشهداء الأخيار الأبرار من أبناء النبيين، وذرية سيدة نساء العالمين، بسيف الأشرار الفجار، ومن تربى في حجور الفسق والفجور والمجون، ورضع بغض الأنبياء والأوصياء وأبناؤهم من آكلات لحوم الشهداء.

ثم ليس تفسيرنا لعلة السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلقب ابن سيدة النساء على النحو السابق بعجيب أو مستغرب، لان من تتبع كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مناظراتهم ومحاوراتهم مع أعدائهم يجد أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا كثيرا ما يؤكدون على مسألة فارق النسب والحسب الذي ما بينهم وبين أعدائهم ومناوئيهم، ذلك النسب الطيب الطاهر الخالي من كل دنس ورجس في الجاهلية والإسلام، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة جدا، نختار منها ما أخرجه ابن شهر آشوب عن المنهال بن عمرو قال: (ان معاوية سأل الحسن أن يصعد المنبر وينتسب فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فسأبين له نفسي بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفا، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)[1].

ونظير هذه المحاورة قد جرت بين الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه ويزيد بن معاوية لعنه الله، فعن الشيخ الطبرسي رحمه الله قال: (قال يزيد: يا علي اصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر! فقال علي بن الحسين: ما أعرفني بما تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفا، أنا ابن محمد

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٨باب امامة أبي محمد الحسن بن علي.

المصطفى)[1]، قال العلامة المجلسي ﵀: (نقيات الجيوب: كناية عن عفتهن كما أن طهارة الذيل في عرف العجم كناية عنها)[2].

وهذا الوصف كما لا يخفى وان كان مدحا لأهل بيت العصمة والطهارة إلا انه في نفس الوقت تعريض صريح وواضح بأعدائهم وظالميهم وإشارة بعدم خلوص أنسابهم من الرجس والدنس.

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٣٩ احتجاج علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام على يزيد بن معاوية لما ادخل عليه.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٣ ص ٣٥٦ الخطبة التي خطبها عليه السلام في حضور معاوية عليه الهاوية.



السَّلامُ عَلَيْكَ يا ثارَ اللهِ وَابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه ثار الله

- **المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم**
- **المعنى الثاني: وقد يطلق الثار على الطلب بالدم**
- **المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذي لا يبقي شيئاً حتى يأخذ بثاره**

المبحث الثالث: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن ثار الله

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله فرجه يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور

- **المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال**
- **المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قتل حميمه وافرد**
- **المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه**



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ وَابْنَ ثَأْرِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مجموعة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتي من كلام.

المبحث الأول

إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ان وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بثار الله وابن ثاره، أو وصفه صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور هو مما تواتر استعماله على لسان الروايات والأدعية والزيارات المنقولة عن أهل بيت العصمة والطهارة واستغنى بشهرته عن إقامة البرهان، لكننا سنختار جملة من تلك الموارد التزاما منا بمنهج البحث:

فمن تلك الموارد ما في زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم عرفة: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله... السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور اشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة...)[1].

ومنها ما عن الحسن بن عطية عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتني به وشرفتني به... ثم تقول:... اشهد انك أمرت بالقسط ودعوت إليه وانك ثار الله في أرضه حتى يستثير لك من جميع خلقه)[2].

ومنها ما عن الحسن بن يونس قال كنت أنا ويونس بن ظبيان والفضيل بن عمرو بن سلمة السراج جلوسا عند أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكان المتكلم يونس بن ظبيان وكان أكبرنا سنا فقال له جعلت فداك إذا أردت زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه كيف اصنع وكيف أقول قال له: (اغتسل على شاطئ الفرات وتلبس ثيابك الطاهرة ثم امش حافيا فإنه في حرم من حرم الله تعالى وحرم رسول صلى الله عليه وآله وعليك بالتكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله كثيرا والصلاة على محمد وأهل بيته حتى تصير إلى باب الحاير ثم تقول: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته... السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض اشهد ان دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش...)[3].

وغير ذلك ما لا يمكن إحصاؤه في هذه العجالة.

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٤٦٣ الباب ١٨ زيارة أبي عبد الله عليه السلام في يوم عرفة.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٥٨ الباب ٧٩.

(٣) منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج ٢ ص ٨٩٢ ـ ٨٩٣.

المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله

وردت لكلمة (ثار) معانٍ عديدة في اللغة العربية نختار منها فيما يأتي ما يتناسب مع بقية ألفاظ الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم

قال الزبيدي في تاج العروس: (الثأر، بالهمز وتبدل همزته ألفا: الدم نفسه)[1].

فيصبح معنى قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَأْرِهِ) هو: (السلام عليك يا دم الله وابن دمه)، وهو إطلاق مجازي؛ لان الله سبحانه ليس بجسم مادي حتى يكون له دم، وأنى يكون له ذلك وقد وصف سبحانه نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]، وهذا الإطلاق شبيه بإطلاق (بيت الله) على الكعبة، و(شهر الله) على شهر رمضان، والقصد من هذه الإضافات (الدم، البيت، الشهر) ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى هو تشريفها وتكريمها وتنزيهها وإعلاء شأنها وتبيان منزلتها عند الله سبحانه[3]، قال الطريحي في مجمع البحرين: (إذا أضيف

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ١٣٨ فصل الثاء المثلثة مع الراء، أقول: وقد اعترض آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٣ ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ عند تفسيره للآيتين١٧٤ و١٧٥ من سورة النساء) بأن: (العرب لم تطلق كلمة الثأر أبدا لتعني بها الدم، بل اعتبرت الثأر دائما ثمنا للدم، ولذلك فإن معنى العبارة أن الله هو الذي يأخذ ثمن دم الحسين الشهيد، وأن هذا الأمر منوط به سبحانه وتعالى... كما أن الحسين هو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استشهد في سبيل الله، والله هو الذي يطالب ويأخذ ثمن دمه أيضا)، ويرد عليه حفظه الله بأن العرب قد استخدمت الثار بمعنى الدم والصحاح والمعاجم خير دليل على هذا الاستعمال.

(٢) سورة الشورى الآية ١١.

(٣) قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرك سفينة البحار ج١ ص ٥٠١ ـ٥٠٢:(ثأر: في ←

شيء إلى عظيم اكتسي عظما كبيت الله، فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه قيل: "لله أبوك" للمدح والتعجب، أي لله أبوك خالصا حيث أتى بمثلك)[1].

وهنالك معنى آخر غير التعظيم، فبالدم يحيا البدن ولولاه لمات، وبالحسين صلوات الله وسلامه عليه استعاد الدين حياته ولولاه لمات الإسلام واندثر فهو كالدم بالنسبة إليه.

ثم ان لإطلاق (دم الله) على الحسين صلوات الله وسلامه عليه علة واضحة وهي إثبات محبوبية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المسفوك بالنسبة إلى الله سبحانه، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله (ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرة دم في سبيل الله)[2] ودم الإمام الحسين وبلا أدنى ريب مشمول بهذا الحديث الشريف، لأنه من الدماء التي سقطت وأريقت لوجه الله سبحانه، بل هو من أعظمها وأطهرها وأكثرها خلوصا وقربة لله جل شأنه، فيكون وبلا أدنى ريب من أكثرها محبوبية ومقبولية له سبحانه.

فكأن الزائر لأبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعند مخاطبته للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ)، فانه يقصد: (السلام عليك يا أيها الدم المقدس المكرم المشرف من جهة الله سبحانه على كل الدماء كما شرف بيته وشهره على كل البيوت والشهور، والذي لولاه لمات دين الله واندثر التوحيد، فأنت روح الإسلام ودمه الذي لولاه لما بقي في جسد هذا الدين حياة).

ولعل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد من خلال هذا المعنى أن يشير إلى مسألة بالغة الأهمية، وهي: ان الذين تجرؤوا على سفك دم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه،

الزيارات: يا ثار الله وابن ثاره. والثار أي الدم إضافة تشريفية كما تقول: بيت الله وروح الله ووجه الله. وفي القاموس: الثأر: الدم والطلب به).

(١) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ١ ص ٢٨.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج٥ ص٥٣ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة الحديث رقم٣.

قد تجرؤوا على حرمة من حرم الله سبحانه، فهم كمن تجرأ واعتدى على بيت الله الحرام، أو شهر الله الحرام، أو شعائر الله وحدوده، وركائز الدين وأصوله، وإذا عرفنا ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أعظم وأشرف وأكرم على الله سبحانه من البيت الحرام والشهر الحرام، ومن جميع شعائر الله سبحانه وحدوده، فتصبح الجناية حينئذ عليه، وإهراق دمه الطاهر، وانتهاك حرمته، أعظم وأكبر وأشد عند الله سبحانه من انتهاك جميع حرمات الدين وشعائره وحدوده. وبناءً على هذا التوضيح يصبح قصد الزيارة من وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بـ(دم الله) هو تعظيم وتهويل ما اقترف بحقه من جرائم واعتداءات أدت بمجموعها إلى سفك دمه الطاهر بتلك الطريقة المريعة الرهيبة.

المعنى الثاني: وقد يطلق الثار على الطلب بالدم

قال الخليل الفراهيدي: (الثأر: الطلب بالدم. ثأر فلان لقتيله، أي: قتل قاتله)[1]، وقال ابن الأثير: (ثأر: في حديث محمد بن مسلمة يوم خيبر «أنا له يا رسول الله الموتور الثائر» أي طالب الثأر، وهو طالب الدم. يقال ثأرت القتيل، وثأرت به فأنا ثائر: أي قتلت قاتله)[2].

فيصبح معنى العبارة وفقا لما مر هو: (السلام عليك يا من سيطلب الله سبحانه بدمك، ويتولى القصاص من واترك، ويقتل كل من قتلك).

وتصبح قضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتله وانتهاك حرمته وفقا لهذا التفسير ليست قضية شخصية أو قبلية وقعت ما بين آل أمية وحزبهم حزب الشيطان

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ٢٣٦ باب الثلاثي المعتل من الثاء باب الثاء والراء و(و ا ي ء) معهما.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص ٢٠٤ باب الثاء مع الهمزة.

وبين آل علي وأنصارهم أنصار الإيمان، بل هي قضية كونية إلهية، لان الحرب التي راح ضحيتها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم تكن موجهة ضد شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بوصفه شخصا عاديا من سائر أفراد المجتمع الإسلامي، بل بوصفه السد المنيع المنصوب من قبل الله سبحانه والذي كان يحول دون عبث الأمويين واستهتارهم بالحرمات الإلهية والمقدرات الإسلامية، فلم يستطيعوا تجاوز هذا السد الإلهي ولا إسكاته إلا بقتله وسفك دمه الطاهر، لذلك تكفل الله سبحانه بأخذ ثاره، والاقتصاص من قتلته بنفسه، لأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استشهد في سبيله، فكان حقا على الله سبحانه أن يكون هو الضامن لدمه وحقه وثاره.

فكان الزائر حينما يسلم عليه بقوله: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) فانه يقصد: (السلام عليك يا من أعطى لله سبحانه حقه، وبذل غاية مجهوده في الدفاع عن حرماته، فضمن الله سبحانه له الأخذ بثاره ودمه والانتقام من قتلته).

المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذي لا يبقي شيئاً حتى يأخذ بثاره

قال الزبيدي: (ويقال للثائر أيضا: الثأر، وكل واحد من طالب ومطلوب ثأر صاحبه)[1]وقال الجوهري في الصحاح: (والثائر: الذي لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره)[2] وكذا قال ابن منظور في لسان العرب[3].

فيصبح بذلك معنى قول الزائر لإمامه (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) هو: (السلام عليك يا من سيثور الله سبحانه لأجل الأخذ بدمك وحقك والاقتصاص من قتلتك،

(١) تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ١٣٩ مادة ثأر.

(٢) الصحاح للجوهري ج٢ ص٦٠٣ فصل الثاء.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج٤ ص٩٧ فصل الثاء المثلثة.

حتى لو لم يبق في سبيل تحقيق هذا الأمر شيء من الأرض وأهلها)، وهو يدل على ان دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والأخذ بحقه أهم عند الله سبحانه من الأرض ومن عليها، ولو أن أهل الأرض كلهم اشتركوا في دمه ثم اقتص الله منهم جميعا ولم يترك على الأرض منهم دابة لما كان ذلك على الله بعزيز، لان الأرض وما فيها لا تساوي عند الله سبحانه دمعة من دموع الإمام الحسين التي ذرفها على أولاده وأصحابه ومصائب أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكيف بسفك دمه وإزهاق نفسه الشريفة، ورض صدره المقدس بحوافر الخيل وسنابكها.

ثم ان الثورة الإلهية التي ستكون سببا للأخذ بحق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المقدس إما أن تقع من الله سبحانه مباشرة، كما فعل سبحانه وانتقم من كل من شارك في تلك الحرب الخؤون، أو تقع على يد بعض عباده الذين اصطفاهم ووفقهم للثورة والأخذ بثارات الإمام السبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، منهم المختار الثقفي وغيره من الذين ثاروا وساموا قتلة الإمام الحسين سوء العذاب، ولكن الانتقام الحقيقي سيكون على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذي سيعيد بإذن الله جميع قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتلة سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويذيقهم أنواع العذاب وألوان الهوان، بل سيقتص حتى من ذراري قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضي بفعل آبائه، بل وسيقتص من كل من شايع وبايع وتابع ورضي بقتله من الأولين والآخرين، حتى لو نال واستوعب ذلك القصاص أكثر أهل الأرض، لان أهل الأرض جميعا لا يعدلون ذلك السهم المثلث الذي وقع في قلب الحسين صلوات الله وسلامه عليه، بل ولا قطرة دم سقطت من طفله الرضيع.

وأطلق الثار على معان أخرى لم نرَ لذكرها ضرورة هنا.

المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن ثار الله

أكدت الزيارات والأحاديث الشريفة على ان هنالك وجه شبه كبير ما بين كل من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وبين ابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، فجملة من الزيارات الشريفة صرحت بأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو ثار الله وابن ثاره ، أو قتيل الله وابن قتيله ، أو حجة الله وابن حجته ، أو انه صلوات الله وسلامه عليه ثائر الله وابن ثائره ، وغير ذلك من أوجه الشبه.

وهذا التشابه إن دل على شيء فانه يدل على أن هنالك وجه تشابه في الأهداف والحوافز والمنطلقات ، فكلاهما كان يبتغي وجه الله سبحانه في حركته ونهضته ، وكلاهما كان يهدف إلى إعلاء دين الله سبحانه وحفظ شريعته من أن تدنس أو تحرف أو ينتهكها المنتهكون.

وليس هذا التشابه بمنحصر فيهما صلوات الله وسلامه عليهما بل نراه مشتركا أيضا بين أعدائهما ، فأهداف قتلة هذين العظيمين واحدة وغاياتهم مشتركة ، فجميعهم قاتل في سبيل الدنيا والجاه والمنصب وليطفئوا نور الله بأفواههم وأيديهم ، فأهداف وغايات ونوايا أصحاب الجمل هي نفسها أهداف وغايات أصحاب النهروان من الخوارج ، وكلاهما نسخة عن أهداف وغايات معاوية بن أبي سفيان عليه وعليهم اللعنة ، وجميعهم يحمل نفس الحوافز والنزعات العصبية الجاهلية والأطماع الدنيوية التي كانت في نفوس وقلوب أولئك الطغاة الذين قتلوا الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في يوم عاشوراء الرهيب ، فالجميع وجوه متعددة لعملة واحدة ، لعنهم الله جميعا وحشرهم إلى نار جهنم وبئس المصير.

ونستطيع أيضا أن نجد وجها آخر من أوجه التشابه فيما بينهما صلوات الله وسلامه عليهما ، وذلك عن طريق التأمل في الظرف الزماني والموضوعي الذي قامت فيه كل من النهضتين

العلوية والحسينية، فالثورة العلوية جاءت لإصلاح المسير المعوج الذي ابتدأ منذ التحاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى وإلى أن وصل الاعوجاج الى أقصى غاياته في الأيام التي سبقت خلافته صلوات الله وسلامه عليه، حيث اتخذ من كان قبله من الحكام مال الله دولا، وعباده خولا، والصالحين حربا، والفاسقين حزبا، فجاءت الثورة العلوية لتعيد الروح إلى جسد الإسلام الذي بدأت تزهق روحه يوما بعد يوم، وما ردت فيه الحياة غضة طرية إلا على يد الإمام أمير المؤمنين والأوصياء من أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والأمر نفسه قد تكرر قبل ثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فالدين على يد معاوية وابنه يزيد قد تمزق وتفرق، وشاع الظلم، ونسي العدل، وتأمر الفساق على الأخيار، والمجرمين على الصلحاء، ولم ترجع للإسلام العزة والكرامة، ولا نهض الإسلام من كبوته إلا على يد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فالإمام الحسين ومن قبله أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما لهما من المنة والفضل على الإسلام والمسلمين ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، فلذا صارا ثار الله وقتيليه، وصار الله سبحانه متكفلا بدمائهما آخذا بثاريهما صلوات الله وسلامه عليهما.

ولم يشارك الإمامين أمير المؤمنين والحسين صلوات الله وسلامه عليهما في لقب (ثار الله) من سائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحسب ما تتبعت غير الإمام المهدي روحي فداه، فقد ورد وصفه بـ(ثار الله) في الزيارة التي رواها العلامة المجلسي عن السيد علي بن طاوس نور الله مرقده حيث قال: (إذا فرغت من زيارة العسكريين عليهما السلام فامض إلى السرداب المقدس وقف على بابه وقل: ... السلام عليك يا باب الله، السلام عليك يا ثار الله، السلام عليك يا محيي معالم الدين وأهله)[1].

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٩ ص ٨٣ ـ ٨٦ الباب السابع زيارة الإمام المستتر عن الأبصار الحاضر في قلوب الأخيار المنتظر في الليل والنهار الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليهما في السرداب وغيره.

وفي وصف الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بـ(ثار الله) دليل على ان ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه تحمل نفس الأهداف والحوافز والمنطلقات التي حملتها كل من الثورة العلوية والحسينية على حد سواء، وان ظروف وحيثيات ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ونهضته ستكون مشابهة لظروف وحيثيات الثورة الإصلاحية والتغييرية للإمام أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهما، لأن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وكما ورد في كثير من الروايات الشريفة سيخرج بعدما لا يبقى من الدين إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وبعد أن يكاد الإسلام تزهق روحه وتجتث جذوره، فيخرج ليعيد له الحياة ويحقق عدل الله سبحانه في الأرض، ويأخذ بحق الله سبحانه من رقاب المغيرين والمبدلين، كما اخذ أمير المؤمنين الحق واقتص بسيفه وسيوف أصحابه من الناكثين والقاسطين والمارقين، وكما اقتص جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من أولئك اللئام يوم عاشوراء.

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ذكر الميرزا محمد تقي الأصفهاني في كتابه القيم (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام) ان واحدة من فوائد الدعاء للإمام الثاني عشر صلوات الله وسلامه عليه بتعجيل الفرج والظهور هي الفوز بطلب اخذ الثأر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن نورد فيما يأتي نص كلماته مع مراعاة المهم منها وما يتعلق بموضوعنا:

قال رحمه الله: (ومما يحصل بالدعاء لتعجيل فرج مولانا صاحب الزمان عليه السلام وظهوره، الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الحسين الإمام المظلوم الغريب الشهيد عليه السلام: وهذا أمر لا يقدر على إحصاء ثوابه أحد إلا الله العزيز الحميد جل شأنه،

لأن عظمة شأن الثأر بقدر عظمة صاحبه، فكما لا يقدر أحد على الإحاطة بالشؤون الحسينية إلا الله عز وجل، كذلك لا يقدر غيره على إحصاء ثواب طلب ثأره.

فإنه الذي ورد في زيارته: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره» ولو لم يكن في الدعاء بتعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه سوى هذا الثواب، لكفى فضلا وشرفا وشأنا فكيف وفيه من الفضل ما لا يحصى، ومن الثواب ما لا يستقصى.

وأما حصول الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الشهيد عليه السلام بهذا الدعاء، فتقريره أن طلب ثأره عليه السلام وظيفة كل مؤمن ومؤمنة، لأنه والدهم الحقيقي، بمقتضى، ما قدمناه في الباب الثالث، من كون الإمام عليه السلام والدا حقيقيا، ويؤيده تفسير الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾[1] بالحسنين عليهما السلام كما في تفسير القمي[2] وغيره، ولذا يصح أن ينسب المؤمن ثأره عليه السلام إلى نفسه ويجعل كل أحد من المؤمنين نفسه ولي دمه عليه السلام، كما في زيارة عاشوراء: «وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام مهدي ظاهر ناطق منكم».

ووجه آخر مضاف إلى هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أمته بأمر الله عز وجل بالمودة في القربى، وقد تقدم أخبار عديدة دالة على كون المراد بالقربى الأئمة عليهم السلام، ولو حملنا القربى على مطلق الأقارب، أو الذرية نظرا إلى ظاهر اللفظ، فلا ريب أن الأئمة عليهم السلام أفضل أفرادهم، وأكمل مصاديقهم، ولا ريب أيضا في أن طلب ثارهم وحقوقهم من أظهر مصاديق المودة، وأجل أقسام إظهار المحبة.

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٥.

(٢) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص٢٩٧ سورة الأحقاف الجزء ٢٦.

إذا تقرر ما ذكرنا، فنقول: إن لطلب الثأر مراتب عديدة ودرجات أربع:

الأولى: أن يكون ولي الدم ذا قوة واستيلاء واستعلاء، وسلطنة فيأمر بعض عبيده بقتل قاتل المظلوم.

والثانية: أن يقتل هو قاتل المظلوم، وبهذين القسمين يطلب الله عز وجل ثأر مولانا الشهيد المظلوم فإنه تعالى ولي دمه في الحقيقة ولذا ورد في زيارات عديدة: «السلام عليك يا ثار الله»...

وكما يطلب القادر المنتقم جل شأنه ثأره بهذين القسمين يطلب القائم المنتظر ثأره أي ثأر جده الحسين بهذين القسمين أيضا. باعتبار آخر فإنه يقتل قتلة أجداده «عليهم السلام»، والراضين بفعلهم ويأمر شيعته وأنصاره بقتلهم أيضا.

الثالثة: أن يكون الطالب بالثار ضعيفا لا يقدر على ذلك إلا بالتظلم والاستعداء إلى سلطان مقتدر يأخذ بحقه من ظالمه فهذا أيضا نوع من طلب الثأر، كما هو واضح عند أولي الأبصار.

والرابعة: أن يكون بسبب ضعفه غير قادر على أخذ الثأر، إلا بالاستعانة إلى غيره من ذوي الاقتدار فيتعاونان على ذلك.

وبعبارة أخرى: إن الإعانة في تهيؤ أسباب أخذ الثأر قسم من أقسام الطلب والانتصار، وحيث إنا لا نقدر في زماننا هذا على طلب ثأر مولانا الحسين إلا بهذين القسمين، فاللازم علينا بمقتضى وظيفتنا الثابتة المبادرة إلى المطالبة بهذين النحوين وهما يحصلان بمسألة تعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان، من القادر المنان، والتظلم والتضرع إليه في هذا الشأن فإنه أقدر من كل سلطان والمنتقم من أهل البغي والعدوان، لأنا علمنا بالمتواتر من الأخبار أن القادر الجبار ادخر مولانا الغائب عن

الأبصار لطلب هذا الثار، فاللازم علينا في آناء الليل والنهار التظلم والتضرع إلى الله عز وجل في تعجيل ظهوره عليه السلام لأخذ الثار والانتقام من الجبابرة الكفار إذ ليس لنا سبيل في زمان غيبته عليه السلام إلى غير هذا القسم من طلب الثار...فالدعاء لذلك إعانة له عليه السلام في المبادرة إلى الانتصار وأخذ ثار الأئمة الأطهار من القتلة اللئام الفجار)[1] انتهى كلامه مختصرا رضي الله عنه وأرضاه، وإنما أوردناه طلبا للفائدة وتتميما للبحث.

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتور

جاءت لكلمة الوتر والموتور معانٍ متعددة في كتب اللغة نستعرض منها فيما يأتي ما ينسجم ويتناسب مع أجواء الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال

ربما أطلقت العرب الوتر على العدد وقصدت به الشيء الواحد الفرد الذي ليس بزوج، قال ابن منظور: (وتر: الوِتْر والوَتْر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد)[2].

وربما أطلقت العرب الوتر على من يتصف بصفة لا يشاركه احد غيره بها، كإطلاقهم الوتر على نبي الله آدم صلى الله عليه وسلم لأنه أول موجود بشري خلقه الله سبحانه، فلما خلقت حواء أم البشر شفع بها قال ابن منظور: (وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: الوتر آدم عليه السلام، والشفع شفع بزوجته)

(١) مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الأصفهاني: ج١، ص٤١٩ إلى ص ٤٢٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٢٧٣ فصل الواو، وراجع أيضا تاج العروس للزبيدي ج٧ ص٥٧٩ مادة وتر.

وكذا قال الزبيدي في تاج العروس[1].

والوتر صفة من صفات الله سبحانه (لأنه البائن من خلقه الموصوف بالوحدانية من كل وجه ولا نظير له في ذاته ولا سمي له في صفاته ولا شريك له في ملكه، فتعالى الله الملك الحق)[2].

فيتبين من مجموع ما مر ان من معاني الوتر هو الموجود المتفرد بصفة أو صفات لا يشاركه فيها أحد غيره. وهذا المعنى متحقق في شخص الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، والى هذا أشار العلامة المجلسي قدس الله روحه بقوله: (وتر الله أي الفرد المتفرد في الكمال من نوع البشر في عصره الشريف)[3].

ووجه تحقق هذا المعنى في شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: من حيث انه من الخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كانوا في عصر وجودهم الشريف أفضل أهل الأرض وأكملهم، والمتفردين بكل مراتب الكمال من سائر الأنام، فلما فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتحل من دار الفناء، وارتحلت من بعده ابنته الصديقة الشهيدة صلوات الله وسلامه عليها، والتحق بهما الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مغدورا مسلوب الحق، وبعد مدة ليست بالطويلة التحق بهما ابنهما الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه المسموم المهتضم، بقي الإمام السبط الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه بعد رحيل هؤلاء الأطهار وحيد أهل زمانه بالفضل، والمتفرد من دونهم بالكمال، فانطبق عليه لقب الوتر الذي بمعنى المتفرد في الكمال من نوع البشر. لذا كان فقده صلوات الله وسلامه عليه يوم عاشوراء فقدا لعامة أهل الكساء الأطهار، لان بركة وجوده المبارك كانت مذكرة بهم، وسادة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٤٦٢ باب الواو.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ١٥٤.

مسد غيبتهم وفقدهم، فلما فقد من الدنيا أثره، ورفع من بين العالمين شخصه، بانت وحشة فراقهم، ورفعت من بين العالمين ألطاف وجودهم.

وقد استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بهذا المعنى يوم عاشوراء، حينما خطب في جيش البغي والظلم بقوله: (فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي...)[1]، فبقوله هذا أرادصلوات الله وسلامه عليه من الأمة أن تعي وتفهم ان وجوده بين ظهرانيهم فرصة ونعمة لن تتكرر، وسترفع منهم إلى يوم القيامة فيما لو قوبلت بالجحود والنكران، وهو ما حدث بالفعل.

وكلام السيدة زينب العقيلة صلوات الله وسلامه عليها مع أخيها الحسين صلوات الله وسلامه عليه ليلة عاشوراء يدل دلالة واضحة على هذا المعنى، فحينما سمعت العقيلة زينب صلوات الله وسلامه عليها أخاها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يردد ليلة العاشر أبياتا من الشعر مشهورة ومذكورة في كتب المقاتل، علمت انه قد عزم على الموت، وان فقد هذا الموجود العظيم بات وشيكا، وان فرصة وجوده في الحياة الدنيا صارت قصيرة جدا، فأحست بعظم المصيبة، وبهول الخطب، فصاحت: (وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين)[2].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٩٧ ـ ٩٨خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

(٢) مشير الأحزان لابن نما الحلي ص ٣٥ المقصد الأول على سبيل التفصيل للأحوال السابقة لقتال آل الرسول.

فمـن كلامهـا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا نستكـشف ان أشـخاص أصـحاب الكـساء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وقيمهم وكمالاتهم كانت مجتمعة جملة وتفصيلا في الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وان فقده كان يمثل فقدا للكل ، كما ان الاعتداء عليه كان يمثل اعتداءً على جميع أولئك الأطهار.

ومن هنا أيضا نفهم سبب مخاطبة الزائر للشهداء الذين دافعوا عن الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يوم عاشوراء ونصروه وذبوا عنه بأرواحهم وأجسامهم بقول : (السلام عليكم يا أنصار رسول الله السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الزكي الناصح الولي السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله)[١]، فإن كلاً من النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والإمام أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ لم يكونوا بموجودين يوم عاشوراء بأشخاصهم وأبدانهم المادية حتى يتم نصرتهم من قبل أولئك الشهداء الكرام ، ولكن ولان شخص الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قد جمع كمالات بقية أصحاب الكساء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ عُدّت نصرته نصرة لهم والذب عنه ذباً عنهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ[٢].

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُه وأُفرد

قال الزبيدي في تاج العروس : (والموتور المفعول ، وتقول منه : وتره يتره ترة ووترا ، إذا قتل حميمه فأفرده منه)[٣] وهكذا كان حال الإمام الحسين بن علي

(١) المزار للشهيد الأول ص ١٢٩ زيارة الشهداء رضوان الله عليهم.

(٢) توجد معانٍ أخرى لهذا المقطع من زيارة الشهداء ليس هاهنا محل تبيانها ، وانما اقتصرنا على هذا المعنى لموافقته مع ما نحن فيه.

(٣) تاج العروس للزبيدي ج ٧ ص ٥٨٣ مادة وتر.

صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فقد قتل أولاده وفلذات أكباده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمومته وأصحابه بتلك الصورة المريعة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا أبدا، وأعداء الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ما استطاعوا أن يقتلوه ويصلوا إليه إلا بعد أن افردوه ووتروه، وهي لأصحابه ولأهل بيته فضيلة ليست كمثلها فضيلة، إذ ان وجودهم كان مانعا عن قتله، وبذلهم لمهجهم كان دافعا لوصول شتى أنواع الأذى إلى شخصه المبارك فجزاهم الله خيرا عن إمامهم وعن أهل بيت نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

قال الجوهري في الصحاح: (والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه)(١)، وقال ابن منظور: (والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وترا وترة)(٢).

والإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لم يُدرك دم أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أولئك الأجلاف الطغام اللئام، والى اليوم ما زال صوته صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يدوي ويتردد في آذان الزمان، وهو يستغيث ولا يغاث، ويستجير ولا يجار، ويستنصر ولا ينصر، رافعا صوته قائلا:

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

هل من موحد يخاف الله فينا.

هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا.

هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا.

(١) الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٨٤٣ فصل الواو.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٦ فصل الواو.

هل من راحم يرحم آل الرسول المختار.

هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار.

هل من مجير لأبناء البتول.

هل من ذاب يذب عن حرم الرسول.

لكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يجد جوابا لكل استغاثاته إلا صرخات خرجت من حناجر النسوة الثواكل، ولم يُغَثْ بغير دموع تفجرت بها عيون أيتامه وأيتام البقية من أهل بيته الذين تقدموه بالشهادة، فهو الموتور الوحيد الخائف الطريد الذي فاقت وحدته كل وحدة وعظمت غربته على كل غربة.

فسلام عليك أبا الشهداء (سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب)[1].

(١) المزار لمحمد بن جعفر المشهدي: ص٥٠٠ ـ ٥٠١.



السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِك

السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِك

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة معانٍ جليلة نستعرض بعض ما يتيسر لنا منها، وهي كما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

اشتهر في نصوص زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان هنالك أرواحا تحل وتزور وتنيخ بقبره الشريف وضريحه المنيف، حتى بلغت من الشهرة مبلغا استغنت به عن استقصاء جميع مواردها في متون تلك الزيارات ولكننا سنذكر للقارئ الكريم فيما يأتي جملة منها حبا للفائدة والتزاما منا بمنهج البحث الذي ألزمنا به أنفسنا في بداية هذا الكتاب.

أخرج جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثني أبي عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن الحسن بن

محمد بن عبد الكريم أبو علي، عن المفضل بن عمر، عن جابر الجعفي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يوم وبعض يوم آخر، قال: فتزوره، فقال: نعم، فقال: ألا أبشرك ألا أفرحك ببعض ثوابه، قلت: بلى جعلت فداك، قال: فقال لي: إن الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتباشر به أهل السماء، فإذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي قبر الحسين عليه السلام. يا مفضل إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليهما السلام فقف بالباب وقل هذه الكلمات، فان لك بكل كلمة كفلا من رحمة الله، فقلت: ما هي جعلت فداك، قال: تقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله.... السلام على الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، السلام على ملائكة الله المحدقين بك)[1].

وعنه قدس الله روحه أيضا قال: (حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعا، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك وقل حين تغتسل: اللهم طهرني وطهر قلبي، واشرح لي صدري... فإذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل: الله أكبر الله أكبر ثلاثين مرة، وتقول: لا إله إلا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه... السلام عليكم يا ملائكة الله

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

ويا زوار قبر أبي عبد الله عليه السلام... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك)[1].

وعن السيد ابن طاوس قدس الله روحه قال: (... بإسنادنا إلى عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا الحسن بن علي الكوفي، عن الحسن بن محمد الحضرمي، عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على مولاي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يوم عاشوراء وهو متغير اللون ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ، فقلت له: يا سيدي مما بكاؤك، لا أبكى الله عينيك، فقال لي: أما علمت أن في مثل هذا اليوم أصيب الحسين عليه السلام... فان في ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل الرسول عليه وعليهم السلام، وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعا يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم. قال: ثم بكا بكاء شديدا حتى اخضلت لحيته بالدموع... يا عبد الله بن سنان أفضل ما تأتي به هذا اليوم ان تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها... وتحول وجهك نحو قبر أبي عبد الله عليه السلام وتمثل بين يديك مصرعه، وتفرغ ذهنك وجميع بدنك وتجمع له عقلك، ثم تلعن قاتله ألف مرة يكتب لك بكل لعنة ألف حسنة، ويمحى عنك ألف سيئة، ويرفع لك ألف درجة في الجنة...فإذا فرغت من ذلك وقفت في موضعك الذي صليت فيه وقلت سبعين مرة: اللهم عذب الذين حاربوا رسلك وشاقوك وعبدوا غيرك واستحلوا محارمك، والعن القادة والأتباع... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت في الله معك، وشرت نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك، السلام على الملائكة المحدقين بك)[2].

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٩٣ ـ ٤٠٢.

(٢) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ٦٥ ـ ٧٠.

وعن الإمام الصادق ﷺ انه علم أبا حمزة الثمالي زيارة جاء فيها: (...السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك السلام على ملائكة الله المحدقين بك السلام على ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله... السلام على ملائكة الله المقربين السلام على ملائكة الله المنزلين السلام على ملائكة الله المسومين السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحاير بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحاير يعملون ولأمر الله مسلمون... وتقول يا أبا عبد الله يا حسين ابن رسول الله جئتك مستشفعا بك إلى الله اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفى)[1].

وفي هذا المقدار كفاية لإثبات ان من الأرواح ما هو زائر لقبر الإمام الحسين ﷺ ومنها ما هو مقيم أو حاف أو محدق أو عامل أو صارخ أو غير ذلك مما ستتعرف عليه في بحث لاحق إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

أولا: السَّلامُ عَلَيْكَ

مرت معاني السلام مفصلا في شرح الفقرة الأولى من هذه الزيارة الشريفة، وأما الضمير في (عليك) فانه عائد إلى الإمام أبي عبد الله الحسين ﷺ.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٢ ص ٤٧٧ ـ ٤٨٦.

ثانيا: وَعَلَى الأَرْوَاحِ

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على (عليك) ومعنى العبارة (والسلام على الأرواح التي حلت بفنائك) والأرواح جمع لكلمة روح، والروح مما لا يعلم حقيقتها وجوهرها إلا الله سبحانه، وقد حجب عن الناس الإلمام بتعريفها والاطلاع على كنهها قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] فليس لنا ولا لأحد من العالمين الوصول إلى تعريف جامع مانع للروح، وكل ما قيل في تعريفها فهو إما ذكر للوازمها، أو تعداد لآثارها، أو تبيان لمراتبها الوجودية من حيث القوة والضعف في التجرد، وأما الإحاطة بكامل حقيقتها وكنه جوهرها فهو مما حجب عن العالمين خبره ولم نكلف بالبحث عنه، فيكون العدول عن الخوض في تفاصيل ذلك أولى للمؤمن.

ولكنها من حيث الإطلاق اللغوي أو الشرعي فقد أطلقت على حقائق خارجية شتى منها:

١: الإنسان

الذي يتكون من حيث الخلقة من جسد وروح يتقوم بها ذلك الجسد، وتنبعث بفضلها فيه الحياة، وقيل ان الروح هي النفس[2]، قال أبو بكر بن الأنباري: (الروح والنفس واحد غير ان الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب)[3].

وقد أطلق القرآن الكريم اسم الروح على نبي الله عيسى بن مريم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٢) راجع تاج العروس للزبيدي ج٤ ص٥٧ مادة روح.

(٣) تاج العروس للزبيدي ج٤ ص٥٧ مادة روح.

في قولـه تعـالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1]، وأطلق القرآن الكريم الروح على سائر البشر وفي طليعتهم نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾[2].

والإنسان وان كان في وجوده مركباً من جسد وروح إلا ان العرف لا يطلق عليه روحا إلا بعد موته، وفي الحديث: (أرواح المؤمنين على صورة أبدانهم لو رأيته لقلت فلان وفلان)، أما قبل موته فيمكن تسميته روحا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل[3].

٢: الملائكة

وسميت الملائكة روحا أو روحانيين بسبب من انهم خلقوا من روح مجردة عن الجسد المادي، قال ابن منظور: (والروحاني من الخلق: نحو الملائكة ممن خلق الله روحا بغير جسد)[4].

والملائكة وان كانوا كلهم بحسب التحقيق أرواحا مجردة، إلا ان الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أطلقت لفظ (الروح) أو (روح) على فئة خاصة من الملائكة، منهم جبرائيل الأمين في قوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[5] وقوله سبحانه ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[6].

---

(١) سورة النساء الآية ١٧١.

(٢) سورة الحجر الآية ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج٢ ص٢٤٠ باب الراء.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٤٦٣ مادة روح.

(٥) سورة الشعراء الآية رقم ١٩٣.

(٦) سورة مريم الآية رقم ١٧.

وأطلق القرآن الروح في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] وأراد به صنفاً من الملائكة أعظم من جبرائيل وميكائيل، فعن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده)[2].

٣: الجن

والجن كالملائكة أرواح مجردة ولكنها وبحسب الآيات القرآنية مقرونة بجسم لطيف أوضحه القرآن بقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[3]، فالفارق بين نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه وإبليس لعنه الله هو في مادة الجسد فآدم من تراب أو طين وإبليس من نار، والتفصيل في هذا ليس محل بحثه هاهنا.

ثالثا: الَّتِي حلَّتْ بِفِنَائِكَ

و (حَلَّتْ) بمعنى نزلت في فنائك وأصلها كما قال ابن منظور من: (حلل: حل بالمكان يحل حلولا ومحلا وحلا وحللا...وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال... وحله واحتل به واحتله: نزل به)[4].

(١) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٢٧٣ باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام.

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٢.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ١٦٣ فصل الحاء المهملة.

وقال الزبيدي: (وحللت: نزلت، من حل الأحمال عند النزول، ثم جرد استعماله للنزول، فقيل: حل حلولا: نزل)[1].

أما الفناء فهي المساحة الفارغة المحيطة بالقبر الشريف، قال الفراهيدي: (والفِناء: سعة أمام الدار، وجمعه: الأفنية)[2]، وقال الجوهري: (وفِناء الدار: ما امتد من جوانبها، والجمع أفنية)[3] وقال الشيخ الطريحي: («فِناء الكعبة» بالمد: سعة أمامها. وقيل: ما امتد من جوانبها دورا وهو حريمها خراج المملوك منها، ومثله فِناء الدار، والجمع «أفنية»)[4].

رابعا: وأناخت برحلك[5]

أناخت مأخوذة من الـ(نوخ: أنخت البعير فاستناخ ونوخته فتنوخ وأناخ الإبل: أبركها فبركت، واستناخت: بركت... والمناخ: الموضع الذي تناخ فيه الإبل. والنوخة: الإقامة)[6].

فشبهت الزيارة حلول الأرواح بفناء الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه بإناخة الإبل وبروكها على الأرض، لان الإبل إذا ما بركت واستقر جسمها على الأرض صارت من كثرة ثباتها واستقرارها كالشيء اللاصق بالأرض، كذلك تلك

(١) تاج العروس للزبيدي ج ١٤ ص ١٥٩ مادة حلل.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ٣٧٦ أبواب الثلاثي الصحيح من النون أبواب الثلاثي المعتل من النون باب النون والفاء و (واي ء) معهما.

(٣) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٤٥٧.

(٤) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٣ ص ٤٣٢.

(٥) هذه العبارة غير موجودة في الرواية التي اعتمدناها لزيارة عاشوراء وإنما أوردناها وشرحناها طلبا للفائدة.

(٦) لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ٦٥ فصل الواو.

الأرواح التي استقرت وحلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهي من شدة ملازمتها ومكوثها وبقائها بذلك الفناء صارت كالشيء اللاصق الذي لا يقبل الانفكاك والانفصال.

والرحل كما عرفه الفراهيدي بقوله: (ورحل الرجل: منزله ومسكنه)[1]، وقال الجوهري في الصحاح: (الرحل: مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث)[2]، وقال ابن منظور: (قال الأزهري: فقد صح أن الرحل والرحالة من مراكب الرجال ومسكنه وبيته. ويقال: دخلت على الرجل رحله أي منزله... وانتهينا إلى رحالنا أي منازلنا. والرحل: مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث)[3].

ولا يخفى ان المراد بالرحل في الزيارة هو مسكن ومثوى جسد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومحل دفنه وموضع قبره وقبور أصحابه وأهل بيته وقبر أخيه العباس صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائد تكراره

بعد أن بدأت الزيارة الشريفة بالسلام على الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم تحولت بعد ذلك إلى تبيان أهم الأسباب التي أدت إلى مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالتوضيح الذي قدمناه، عادت في هذه الفقرة لتبيان حقيقة جديدة تتمثل في تبيان الأهمية الكونية التي يتمتع بها موضع قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جاوره من الأرض التي طابت وطهرت وبوركت ببركة حلول

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٣ ص ٢٠٨.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٧٠٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٢٧٥.

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بها وتشريفه لها، بحيث صار قبره الشريف وروضته المنيفة وما يحوطها مركز اهتمام الخالق الجبار سبحانه وتعالى ومحط نزول أنبيائه ومهبط ملائكته وسكان سماواته مما يجعل هذه الترعة التي هي من ترع الجنة محور الوجود ومركز اهتمام عالم الإمكان، وهذه الحقيقة ستتضح جليا في المبحث الرابع الذي سيلي هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

وبما ان السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سيتكرر ذكره مرات عديدة في فقرات هذه الزيارة المنيفة أحببنا أن نوضح بعض فوائد هذا التكرار، ونبين ان هذا التكرار لم يأتِ إلا لهدف شريف ومهم، وانه ليس تكرارا ساذجا لا طائل منه حاشا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن يصدر عنهم ما هو لغو لا طائل منه ولا فائدة، وهذه الفائدة في التكرار لا يمكن أن تعلم ويحاط بأهميتها ما لم نتعرف على الفوائد الجليلة والعظيمة للسلام، والتي تكفلت الروايات الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيانها وإيضاحها بأقوال وتصريحات لا تحصى على هذه العجالة نذكر منها ما يأتي:

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام)[1].

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلِّم

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أفش السلام يكثر خير بيتك)[2].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٣ ص١١ أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودي والنصراني والمشرك.

(٢) ميزان الحكمة لمحمد الريشهري ج ٢ ص ١٣٤٨.

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات

قال الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه: (السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد)[1].

الفائدة الرابعة: ان المسلِّم يحظى برد من الملائكة

فعن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وكنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة وذلك لتقية علينا فيها شديدة فقال لي أبو عبد الله يا إسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لإخوانك تمر بهم ولا تسلم عليهم فقلت له ذلك لتقية كنت فيها فقال ليس عليك في التقية ترك السلام وإنما عليك في التقية الإذاعة، إن المؤمن ليمر بالمؤمنين فيسلم عليهم فترد الملائكة سلام عليك ورحمة الله وبركاته)[2].

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه

ان الزائر لقبر إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه يحظى برد السلام من الإمام المسلَّم عليه نفسه، وذلك لأن سلام الزائر على إمامه مستحب، ولكن رد هذا السلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه واجب كما قال الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (السلام تطوع والرد فريضة)[3] وحاشى الإمام أن يخل بواجب ويضيع فريضة.

فمن أراد أن يكلمه إمامه المعصوم وان يرد عليه الجواب فليسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه، وأفضل أنواع السلام هو ما جاء على لسان الزيارات الشريفة ومنها هذه الزيارة الجليلة القدر العظيمة الفائدة.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٣ ص١١ أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودي والنصراني والمشرك.
(٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي - ج ١٥ - ص ٥٨٥
(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٦٤٤.

الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلِّم

ان الحضور عند الإمام والتعلق بتربته ومخاطبته بالسلام يحدث في النفس تأثيرا روحانيا غيبيا يتكامل من خلاله الإنسان الزائر مستمدا ذلك كله من إمامه المعصوم، وهذه الحقيقة قد اقر بها الموافق والمخالف، قال فخر الدين الرازي: (إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضى بقضاء الله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرفة والآثار العلوية الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله)[1].

فالزائر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ولروضته التي هي ترعة من ترع الجنة يحظى بوقوفه وسلامه على إمامه صلوات الله وسلامه عليه بهذه الزيارة العظيمة بكل هذه الفوائد والألطاف الإلهية، وواحدة من علل التكرار للسلام في الزيارة تكرار لكل ذلك الثواب وزيادة لجميع تلك الألطاف التي يحاط بها الشخص المسلِّم.

(١) المطالب العالية للفخر الرازي الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى، وراجع الفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٥ ص ٦٢٢.

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة

لا يخفى ان الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة استعمل في لفظ الأرواح الألف واللام، ومعلوم ان الجمع المحلى بالألف واللام يدل على العموم، فتدخل وبناءً على هذا العموم مصاديق متعددة كثيرة، وقد خص الإمام صلوات الله وسلامه عليه بالذكر مصداقين من مصاديق ذلك العام وهما كل من:

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه

والحلول لفظ مطلق غير مقيد بالحلول الدائم، فيشمل كلاً من الحلول الدائم والمؤقت، لان الذي يحل بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وينزل بجواره يوما أو ساعة من النهار يصح أن يقال حل فيه لمدة يوم أو ساعة، كما يصح أن يقال للحاج الذي يقف بعرفة لساعة من الزمن أو اقل انه وقف يوم عرفات، إذ ان مسمى الوقوف يكفي في صحة إطلاق الوصف عليه[1].

وهذا الوصف بهذا التوضيح يشمل كل الشهداء السعداء الذين بذلوا مهجهم دون سيدهم وإمامهم الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذلك يشمل أبناء الحسين وبقية أهل بيته وأخاه أبا الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

---

(١) ويشهد لهذا المعنى أيضا ما أخرجه الشيخ الكليني قدس الله روحه في (الكافي ج ٨ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ نصائح لقمان لابنه في آداب السفر) عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم في أمرك وأمورهم وأكثر التبسم في وجوههم... وإذا أردت النزول فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشبا وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وإذا أردت قضاء حاجة فابعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصل ركعتين وودع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها فإن لكل بقعة أهلا من الملائكة...) ومحل الشاهد في قوله صلوات الله وسلامه عليه (وودع الأرض التي حللت بها) ففيها دليل على ان الحلول لا يستلزم الاستقرار والبقاء الطويل الأمد، فيصدق على المكث والنزول بمكان لمدّة محدودة كما يصدق على النزول والمكث الطويل.

لان الجميع حال بفناء إمامه ومقيم بضيافة مولاه.

وكذلك يشمل زوار قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة والمؤمنين الذين يستأذنون الله سبحانه بزيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيمكثون ويحلون بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمه من الزمان ما شاء لهم الله سبحانه ان يحلوا ويمكثوا، وقد تحدثت الروايات الشريفة عن هؤلاء الزوار الكرام بصورة مفصلة وأحاديث كثيرة نختار منها فيما يأتي عشر روايات:

الرواية الأولى: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قبر الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما عشرون ذراعا في عشرين ذراعا مكسرا روضة من رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد)[1].

الرواية الثانية: عن داود الرقي، قال: (سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: ما خلق الله خلقا أكثر من الملائكة، وانه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل ان تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون الف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس)[2].

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

الرواية الثالثة: عن الفضل بن يحيى، عن أبيه، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (زوروا كربلاء ولا تقطعوه، فان خير أولاد الأنبياء ضمنته، ألا وان الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل ان يسكنه جدي الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل وميكائيل يزورانه، فاجتهد يا يحيى أن لا تفقد من ذلك الموطن)(١).

الرواية الرابعة: عن يونس، عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، قال: (من زار قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد حج واعتمر، قال: قلت: يطرح عنه حجة الإسلام، قال: لا، هي حجة الضعيف حتى يقوى ويحج إلى بيت الله الحرام، أما علمت أن البيت يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم الليل صعدوا ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح، وان الحسين صلوات الله وسلامه عليه لأكرم على الله من البيت، وانه في وقت كل صلاة لينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر لا تقع عليهم النوبة إلى يوم القيامة)(٢).

الرواية الخامسة: عن أبان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (ان الله وكل بقبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر)(٣).

الرواية السادسة: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: وكّل الله تعالى بالحسين صلوات الله وسلامه عليه سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم شعثا غبرا

(١) كامل الزيارات: ص٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ص١٧٥.

منذ يوم قتل إلى ما شاء الله ـ يعني بذلك قيام القائم صلوات الله وسلامه عليه ـ)[1].

الرواية السابعة: عن عبد الملك بن مقرن، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا زرتم أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فالزموا الصمت إلا من خير، وان ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس وحتى ينور الفجر، ثم يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء، فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، فإنما شغلهم بكم إذا نطقتم.

قلت: جعلت فداك وما الذي يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر، قال: أهل الحائر يسألون الحفظة، لان أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد.

قلت: فما ترى يسألونهم عنه؟ قال: انهم يمرون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء، فربما وافقوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وعنده فاطمة والحسن والحسين والأئمة، من مضى منهم، فيسألونهم عن أشياء وعمن حضر منكم الحائر ويقولون: بشروهم بدعائكم، فتقول الحفظة: كيف نبشرهم وهم لا يسمعون كلامنا، فيقولون لهم: باركوا عليهم وادعوا لهم عنا، فهي البشارة منا، فإذا انصرفوا فحفوهم بأجنحتكم، حتى يحسوا مكانكم، وانا نستودعهم الذي لا تضيع ودائعه.

ولو يعلموا ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لاقتتلوا على زيارته بالسيوف، ولباعوا أموالهم في إتيانه، وان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكروبيين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وانها لتشهق شهقة، فلا تبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها، وما تسكن

(١) كامل الزيارات جعفر بن محمد بن قولويه ص١٧٣.

حتى يأتيها النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا بنية قد أبكيت أهل السماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفي حتى يقدسوا، فان الله بالغ أمره، وانها لتنظر إلى من حضر منكم، فتسأل الله لهم من كل خير، ولا تزهدوا في إتيانه، فإن الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى)[1].

الرواية الثامنة: عن عبد الله بن حماد البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: (في قربكم لفضيلة ما أوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وأن لها لأهلا خاصة قد سموا لها وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، إلا ما كان من صنع الله لهم، وسعادة حباهم بها ورحمة ورأفة وتقدم.

قلت: جعلت فداك وما هذا الذي وصفت ولم تسمه؟ قال: زيارة جدي الحسين عليه السلام، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه في أرض فلاة... قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا... فقال عليه السلام: هل تدري ما فضل من أتاه، وماله عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا، فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ماله عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء، ولقد حدثني أبي عليه السلام: أنه لم يخل مكانه منذ قتل من مصل يصلي عليه من الملائكة، أو من الجن، أو من الإنس، أو من الوحش، وما من شيء إلا وهو يغبط زائره ويتمسح به، ويرجو في النظر إليه الخير لنظره إلى قبره)[2].

(١) كامل الزيارات ص١٧٧.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج ١٠ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

الرواية التاسعة: عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله ﷺ: (كأني والله بالملائكة قد زاحموا المؤمنين على قبر الحسين ﷺ، قال، قلت: فيتراؤون؟ قال: هيهات هيهات، قد لزموا والله المؤمنين، حتى أنهم ليمسحون وجوههم بأيديهم، قال، وينزل الله على زوار الحسين ﷺ غدوة وعشية من طعام الجنة، وخدامهم الملائكة، لا يسأل الله عبد حاجة من حوائج الدنيا و الآخرة إلا أعطاها إياه، قال، قلت: هذه والله الكرامة، قال: يا مفضل أزيدك؟ قلت: نعم سيدي، قال: كأني بسرير من نور قد وضع، وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر، وكأني بالحسين بن علي ﷺ جالس على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأني بالمؤمنين يزورونه، ويسلمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم: أوليائي سلوني فطالما أوذيتم، وذللتم، واضطهدتم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذا والله الكرامة التي لا انقضاء لها، ولا منتهاها شيء)[١].

الرواية العاشرة: وفي الزيارة ورد: (السلام عليك أيها الإمام الهادي الزكي وعلى أرواح حلت بفنائك وأقامت في جوارك ووفدت مع زوارك السلام عليك مني ما بقيت وبقي الليل والنهار فلقد عظمت بك الرزية)[٢].

فالإمام الحسين ﷺ كما مر في هذه الروايات العشر يزوره كل نبي وكل ملك مقرب كما في الرواية الأولى، ويزوره ملائكة الليل وملائكة النهار كما في الرواية الثانية، ويزوره جبرائيل وميكائيل كل ليلة كما في الرواية الثالثة، وينزل عليه في كل وقت صلاة سبعون ألف ملك لا تصلهم نوبة زيارته ﷺ مرة ثانية إلى

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٩٨ ص٧٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٢ ص ٤١٨.

يوم القيامة كما في الرواية الرابعة، وأربعة آلاف ملك يبكونه ﷺ إلى وقت الزوال وأربعة آلاف آخرون يبكونه من الزوال إلى الفجر كما في الرواية الخامسة، وسبعة آلاف ملك مهمتهم الصلاة على الإمام الحسين ﷺ حتى يقوم القائم كما في الرواية السادسة، ويزوره ملائكة الليل والنهار من الحفظة كما في الرواية السابعة، ولا يخلو مرقده الشريف منذ قتل إلى يوم القيامة من مصل يصلي عليه من الملائكة أو الجن أو الإنس أو الوحوش كما في الرواية الثامنة، ويزوره المؤمنون ويسلمون عليه كما في الرواية التاسعة، وتزوره بعض الملائكة الذين يفدون عليه مع زواره من الأحياء كما في الرواية العاشرة ولعلهم الكرام الكاتبون الموكلون بكل إنسان مكلف، ولعلهم صنف آخر قد حجب عنا خبرهم.

فالإمام الباقر ﷺ في هذا الفقرة من زيارة عاشوراء يغتنم الفرصة ليسلم على من هو موجود في تلك الساعة من أرواح الأنبياء والرسل والأوصياء والملائكة والمؤمنين من الجن والإنس ممن يكون حلولهم ومكوثهم في حرم الحسين مؤقتا غير دائم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ

وهي التي استقرت إلى جواره من غير مفارقة، حتى صارت من شدة ملازمتها ومكوثها وبقائها بذلك الفناء كالشيء اللاصق الذي لا يقبل الانفكاك والانفصال. وقد تحدثت متون الزيارات الشريفة للإمام الحسين ﷺ عن عدة أصناف منهم، فمنهم الشهداء الذين قدموا أنفسهم قرابين لنيل مرضاة الله سبحانه وتعالى ورضا إمامهم ﷺ، وقد تمت الإشارة إليهم في زيارة أخرى بالقول: (السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت في الله معك، وشرت

نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك[1]، السلام على الملائكة المحدقين بك)[2].

وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورون في هذه الزيارة الأخرى: (السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين وأناخت برحله. أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة و أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين)[3].

ومنهم الملائكة المذكورون بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا المشهد بإذن الله مقيمون)[4].

ومنهم الملائكة المذكورين بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحاير بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحاير يعملون ولأمر الله مسلمون...اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفى)[5].

ولعل هنالك ما لا يحصيه إلا الله من أصناف الملائكة من الذين حجب عنا العلم بهم أو لم نستوفِهم إحصاءً في بحثنا هذا الذي جاء على عجالة، فجميع هؤلاء الأطهار يشملهم خطاب (وأناخت برحله) فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) المقصود من هذه العبارة هم الشهداء السعداء من أصحاب الحسين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم الذين جاهدوا في الله معه، وشروا أنفسهم فيه ابتغاء مرضاة الله.

(٢) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ٦٥ ـ ٧٠.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٤) المزار للشيخ المفيد ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٥) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٢ ص ٤٧٧ ـ ٤٨٦.



عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللهِ أَبداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

١: عليكم مني جميعا ٢: سلام الله

٣: أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

أولا: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

ثانيا: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

ثالثا: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت عليهم السلام في جميع العوالم

ألف: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأشباح والأنوار

باء: سلامتهم عليهم السلام في عالم الطينة

جيم: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأظلة

دال: سلامتهم في عالم الذر

هاء: سلامتهم في عالم الأصلاب

رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

باء: ان معرفتهم عليهم السلام توجب مضاعفة الحسنات

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقي في درجاتها

عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتي من الكلام بحسب ما تتيحه لنا المكنة والتوفيق:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

توجيه السلام من قبل الله سبحانه وتعالى للإمام أبي عبد الله الحسين مما اشتهر على لسان الروايات الشريفة والزيارات التي وردت عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حق الإمام الشهيد وأهل بيته وأصحابه الذين بذلوا مهجهم دونه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونحن نورد فيما يأتي جملة من تلك الموارد:

فعن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثني محمد بن جعفر الرزاز

الكوفي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسن بن عطية، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: إذا دخلت الحائر فقل: اللهم إن هذا مقام أكرمتني به وشرفتني به، اللهم فأعطني فيه رغبتي على حقيقة إيماني بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله، وسلام ملائكته، فيما تروح وتغتدي به الرائحات الطاهرات لك وعليك)[1].

ونقل العلامة المجلسي زيارة أخرى جاء فيها: (تقف على باب قبته الشريفة وتقول: اللهم صل على محمد وآل محمد وأعطني في هذا المقام رغبتي على حقيقة إيماني بك وبرسولك وبولاة أمرك، الحرم حرم الله وحرم رسوله و حرمك يا مولاي... وصلوات الله وبركاته وتحياته عليك وعلى آبائك الطيبين المنتجبين...سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن سيد العالمين، وعلى المستشهدين معك سلاما متصلا ما اتصل الليل والنهار)[2].

وعن الشهيد الأول في كتابه المزار قال: (دعاء آخر يستحب أن يدعى به عقيب صلاة الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام. يا الله يا الله يا الله يا مجيب دعوة المضطرين ويا كاشف كرب المكروبين ويا غياث المستغيثين ويا صريخ المستصرخين... يا أمير المؤمنين ويا أبا عبد الله عليهما مني سلام الله أبدا ما بقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد من زيارتكما ولا فرق الله بيني وبينكما)[3].

وقد تركنا ذكر المزيد من الموارد والشواهد خوف الإطالة والخروج عن المقصود.

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٥٨.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٣) المزار للشهيد الأول ص ٥٥ ـ ٥٩.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

١: عليكم مني جميعا

ضمير الجمع في **(عليكم)** عائد إلى من مر ذكره في الفقرة السابقة، وهم كل من شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وأناخت برحله الطاهر، فيكون قصد الإمام ان هؤلاء جميعا وبلا استثناء عليهم مني سلام الله أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار.

و**(مني)** قد يقصد بها الزائر نفسه فتكون الجملة بذلك إنشائية، ويكون الزائر طالبا من الله سبحانه توجيه السلام لشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وللأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

وقد يكون الضمير راجعا إلى الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه الذي خرجت هذه الزيارة على لسانه، وتكون الجملة بذلك إخبارية، وتكون مخبرة عن وقوع هذا السلام من الله فيما سبق، أو انه قد وقع وما زال مستمرا ما بقي الليل والنهار.

و**(جميعا)** لفظ دال على الشمول، وفيه إشارة إلى أن سلام الله الموجه في الزيارة شامل للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وجميع الأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

٢: سلام الله

سيأتي لاحقا بحث مفصل حول معنى سلام الله سبحانه ومراتب تحققه بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأناخت برحله.

٣: أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار

والأبد لفظ يدل على طول المدة وامتداد زمن الفعل، قال الجوهري: («أبد»: الأبد: الدهر، والجمع آباد وأبود... والأبد أيضا: الدائم)[١]. وقال الزبيدي في تاج العروس: (الأبد، محركة: الدهر مطلقا، وقيل: هو الدهر الطويل الذي ليس بمحدود. ج آباد وأبود... والأبد: الدائم... والأبد القديم الأزلي... قال الراغب في المفردات: الأبد، بالتحريك، عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال زمان كذا، ولا يقال أبد كذا)[٢].

فيصبح معنى العبارة (عليكم مني جميعا سلام الله دائما ممتدا ما امتد بقائي وما دام لليل والنهار وجود).

وفي ذلك إشارة إلى أن الزائر في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة يريد أن يمتد سلامه وسلام الله سبحانه على الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعلى الأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله لأبعد مدّة زمنية ممكنة، والتي أشار إلى ثلاثة منها وهي:

ألف: تمام مدة حياة الزائر وهي التي عبرت عنها الفقرة بلفظ(أبدا ما بقيت).

باء: تمام ما يتبقى من عمر الدنيا، وهو ما عبرت عنه الفقرة بـ (وبقي الليل والنهار).

جيم: تمام مدة بقائه في البرزخ والقبر، إذ ان عالم القبر والبرزخ مشمول أيضا بنظام الليل والنهار، إما بنفس النظام الموجود في عالم الدنيا، أو بنظام يتناسب وذلك العالم، وفي قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا

(١) الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٤٣٩ فصل الألف.

(٢) تاج العروس للزبيدي ج ٤ ص ٣٢٧ فصل الهمزة مع الدال المهملة.

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[١] إشارة واضحة إلى حقيقة ان للبرزخ ليلاً ونهاراً وبكرة وعشيا، فعن علي بن إبراهيم القمي قدس الله روحه في تفسير هذه الآية قال: (حدثني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن أحمد عن يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة عن رجل عن أبي عبد الله صلوات الله عليه: ... قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة والدليل على ذلك قوله: بكرة وعشيا فالبكرة والعشي لا تكون في الآخرة في جنات الخلد وإنما يكون الغدو والعشي في جنات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر)[٢].

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

اختلفت الأقوال في تفسير وتبيان معنى دقيق ومتفق عليه للسلام الإلهي، فمنهم من ذهب إلى ان السلام من الله سبحانه بمعنى هبة السلامة منه لعباده، وفي هذا الصدد يقول الشيخ مكارم الشيرازي: (وفي آية أخرى إشارة واضحة إلى أن السلام هو التحية حيث تقول: فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ويمكن الاستدلال من هذه الآية على أن عبارة «السلام عليكم» هي في الأصل «سلام الله عليكم» أي ليهبك الله السلامة والأمن)[٣].

وذهب بعضهم إلى أن (سلام الله) يعني (أمان الله) قال علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله تعالى ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[٤]: (السلام منه تعالى يعني الأمان)[٥].

---

(١) سورة مريم الآية رقم ٦١ ـ ٦٢.

(٢) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٥٢ تفسير سورة مريم.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٤) سورة يس الآية رقم ٥٨.

(٥) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص٢١٦ الجزء ٢٣.

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (سلام الله هو الرحمة والسلام من الآفات في الدنيا والمكاره في الآخرة)[1].

وقال السيد فاخر الموسوي: (إن الله يبعث بالسلام لكل إنسان مؤمن حاملا أنواعا من السلامة له في الحياة الدنيا وفي الآخرة مصاحبة له ما دام مصاحبا لمقتضاها وهو الهدى والإيمان قال تعالى: «والسلام على من اتبع الهدى»...)[2].

وقال في مكان آخر: (إن في حياة الإنسان وانتقاله من عالم إلى عالم آخر ثلاثة أيام صعبة: يوم يضع قدمه في هذه الدنيا: «يوم ولد» ويوم موته وانتقاله إلى عالم البرزخ: «ويوم يموت» ويوم بعثه في العالم الآخر الغريب عنه: «ويوم يبعث حيا»، ولما كان من الطبيعي أن تكون هذه الأيام مرافقة للاضطرابات والقلق فإن الله تعالى يكتنف خاصة عباده بسلامة، وعافية ويجعل هؤلاء في ظل حمايته، ومنعته في هذه المراحل المتلاطمة الثلاثة، فيحتاج حينئذ إلى فيض السلامة والهدوء والطمأنينة)[3].

وهذه الأقوال وان كانت جميعها تندرج تحت عنوان السلام والتي أخذت بمجموعها من المعنى اللغوي لكلمة السلام[4]، أو مشتقة من اسم السلام الذي هو احد الأسماء الإلهية الحسنى، وهي صحيحة إلى حد ما، إلا أنها تبقى قاصرة عن تبيان المعنى الحقيقي لسلام الله سبحانه على الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن لنا فيما يأتي وبالاستفادة من الجمع ما بين المعنى اللغوي والدليل

(١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ١١ ص ١٠٩.

(٢) التجلي الأعظم للسيد فاخر الموسوي ص١٢٦ معنى السلام على وجه العموم.

(٣) المصدر السابق ص١٢٧ معنى السلام في اشد حالات الإنسان.

(٤) قال ابن منظور في (لسان العرب ج١٢ ص٢٩٠ - ٢٩١) (والسلام: السلامة. والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء...والسلام في الأصل: السلامة، يقال: سلم يسلم سلاما وسلامة، ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات).

الروائي ان نخرج بمعنى جديد لحقيقة السلام الإلهي، يجمع ما بين كل تلك المعاني السابقة وما بين الحقائق الروائية التي بينها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم وهذا المعنى سنتدرج في بيانه ليسهل على القارئ الكريم فهمه واستيعابه.

أولا: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

السلام اسم سمى الله به نفسه في محكم كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، وعن النبي. انه قال: (السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب)[2]، وعن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (سلم عمار على رسول الله. وهو في الصلاة فرد عليه ثم قال أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه إن السلام اسم من أسماء الله تعالى)[3].

ويمكن أن ننتزع من هذا الاسم المبارك معنيين اثنين وباعتبارين:

المعنى الأول

أن يكون السلام وصفاً لذاته المقدسة ويقصد به (سلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء)[4]، قال ابن منظور: (والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء، حكاه ابن قتيبة، وقيل: معناه أنه سلم

(١) سورة الحشر الآية رقم ٢٣.

(٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٤٥٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج١ ص٣٦٨ التسليم على المصلي وجوابه.

(٤) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين احمد بن فارس زكريا ج٣ ص٩٠ باب السين واللام وما يثلثهما مادة سلم.

مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، أنه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى، وهو على كل شيء قدير)[١].

المعنى الثاني

أن يكون السلام وصفاً لأفعاله سبحانه، بوصفه مصدر السلام بكل ما للسلام من معنى، ومفيض السلامة، ومانح السلامة لعباده ومخلوقاته، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[٢].

والى كلا القسمين يشير الدعاء الذي ورد بصيغ وروايات متعددة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والقائل: (اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام)[٣].

ثانيا: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

لم يجعل الله سبحانه ألطافه وعطاياه ومواهبه في دار الدنيا خاصة بالمؤمنين دون غيرهم، ولا بالأولياء عمن سواهم، بل كان فيض عطائه ورحمته شاملا لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، ومن يسأله من عباده ومن لم يسأله منهم، صغيرهم وكبيرهم، أبرارهم وفجارهم، وهي ما يطلق عليها في علم العقائد بالرحمة العامة، أو اللطف العام، وهي التي تمت إليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[٤]، وأشير إليها في الدعاء المشهور: (يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٢٩٠.

(٢) سورة هود الآية رقم ٤٨.

(٣) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٣٢٢ صلاة الهدية.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٦.

كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة، أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدني من فضلك يا كريم)[1].

ولكن هنالك رحمة أخرى ولطف ثانٍ أطلق عليه اسم الرحمة الخاصة أو اللطف الخاص، وهي الرحمة التي كتبها الله سبحانه لعباده المؤمنين المخلصين، فمن عدله سبحانه وحكمته انه لم يساوِ في مواهبه وعطاياه ورحمته بين المؤمن وغيره، وبين من جحد وكفر وتكبر عن عبادته وبين من آمن وأجاب واقر بوحدانيته وأطاعه في أوامره ونواهيه وتكاليفه، لا في تساوي كلا الصنفين ظلم للمطيع وإجحاف في حق المؤمن تعالى الله عن هذا الظلم علوا كبيرا، لذلك وتحقيقا للعدل خص الله سبحانه المؤمنين به بمزيد ألطاف ونعم اجتباهم وخصهم بها، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه العزيز، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[3].

ومن عدله سبحانه أيضا انه لم يساوِ في رحمته ولطفه وعطاياه بين المؤمنين أنفسهم، لأنهم ليسوا على مستوى واحد من الإيمان والإخلاص والعبادة والطهارة والكمال، فلابد والحال هذه ان تكون مراتب فيضه ودرجات رحمته متناسبة مع درجات أولئك المؤمنين، فكلما كان إيمان احدهم وإخلاصه وكماله اشد كانت

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ٢١١

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٣.

الرحمة به أكبر واللطف عليه أعظم، وهذه الحقيقة هي من الحقائق القرآنية التي تحدثت عنها الآيات المباركة بما لا يدع للباحث أي شك في ذلك، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، فمع ان الله سبحانه في هذه الآية قد وعد كل أولئك الحسنى إلا أن أجر المجاهدين على غيرهم من المؤمنين القاعدين يبقى عظيما.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، فتفضيل الأكمل على غيره بالألطاف والنعم والأجر والكرامة هو من السنن الإلهية وقوانين عالم الإمكان ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3].

ثم لكون النبي الأكرم. وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أفضل المؤمنين، وسادة المتقين، وهم أكمل من أوجده الله سبحانه منذ أن خلق آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى آخر يوم من أيام الدنيا، فمن العدل والطبيعي أن يميزهم الله سبحانه وتعالى بألطاف وخصائص لا يشاركهم فيها أحد من الإنس والجان حتى أولو العزم من الرسل والأنبياء، بل وحتى الملائكة المقربون الكرام فضلا عن غيرهم من سائر الأنام.

فينبغي وفقا لما مر ان يكون نصيبهم من الرحمة الإلهية أعظم من كل نصيب، ويكون اختصاصهم باللطف الإلهي اكبر من جميع اختصاصات باقي العالمين،

(١) سورة النساء الآية رقم ٩٥.

(٢) سورة الزمر الآية رقم ٩.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٦٢.

بوصفهم الأكمل والأفضل، ومن النعم التي اختصهم الله بها دون العالمين هي نعمة السلام والسلامة التي رافقتهم في جميع العوالم التي سبقت عالم الدنيا وفي عالم الدنيا وما بعده من العوالم كما سنتعرض إلى تفصيل هذا الأمر فيما يأتي من الكلام.

ثالثا: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم

ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار

إنّ القرآن الكريم والروايات الشريفة أوضحت وبشكل لا يقبل الشك ان عالم الدنيا ليس هو العالم الوحيد الذي كان للإنسان فيه وجود وتحقق، فقد سبقت هذا العالم المادي عوالم أخرى، كما ان هنالك عوالم أخرى تأتي من بعده، وواحد من تلك العوالم التي سبقت عالم الدنيا هو عالم الأنوار والأظلة، والذي كان قبل أن يكون زمان أو مكان أو ارض أو سماء، وقبل أن يخلق ملك أو انس أو جان، وقد صرحت الروايات المستفيضة على ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أفيض عليه وعليهم الوجود والتحقق في ذلك العالم، وان هذا العالم قد انحصر فيهم ولم يشاركهم فيه احد من الخلق، فسلمهم الله سبحانه من ان يشاركهم في فضلهم هذا مشارك، وسلمهم من أن ينال مرتبتهم هذه نائل، وسلمهم من أن يطمع في كمالهم طامع من الأولين والآخرين، فالسلامة لهم والسلام عليهم متحقق لهم في هذا العالم بهذا المعنى.

واليك بعض الأخبار والأقوال التي تحدثت وأثبتت وجود ذلك العالم وبينت اختصاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتفردهم بالوجود فيه:

فعن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: (إن الله خلق محمدا وعليا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحا في ضياء نوره

يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

وعن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحه و نقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا[2])[3].

وعن معاذ بن جبل: (ان رسول الله قال: إن الله عز وجل خلقني وعليا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده قلت: على أي مثال؟ قال أشباح نور...)[4].

قال السيد الخميني قدس الله روحه: (فان للإمام عليه السلام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا أن لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة

(١) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٥٣١، باب فيما جاء في الإثني عشر والنص عليهم السلام، الحديث رقم ٦.

(٢) ولعل المقصود بقوله صلى الله عليه وآله: ثم أنهى علم ذلك إلينا، هو شبيه قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤٤١ باب بلد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته الحديث رقم ٧.

(٤) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ الباب ١٥٦ العلة التي من اجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن عليهما السلام.

عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنوارا، فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله..)[١].

وقد يكون السلام عليهم صلوات الله عليهم أجمعين من قبل الله سبحانه في هذا العالم هو تطهيرهم وتسليمهم من كل رجس حتى قبل ان يخلق الرجس ليكون تطهيرهم دفعا لا رفعا، كما نبه عليه السيد علي عاشور بقوله: (زمان إذهاب الرجس هو قبل الزمان والمكان، في عالم الأظلة وهم حول العرش يسبحون الله ويقدسونه، فمنذ ذلك الحين تعلقت إرادة الله بإذهاب الرجس عنهم وعدم إمكان حلوله في ساحتهم عليهم السلام. وبعبارة علمية موجزة: إرادة الله عز وجل في مورد دفع الرجس عن أهل البيت عليهم السلام، وليست في مورد رفع الرجس عنهم. والدفع معناه منع المعاصي عن الحلول في ساحة آل محمد عليهم السلام، وتحويطهم بسور نوراني المقتضي لعدم وجوده سابقا)[٢].

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر، وقد تركنا من الأحاديث وأقوال العلماء والمفكرين ما يملأ الخافقين، وعليه فليس لمؤمن مقر بسر آل محمد أن ينكر هذا العالم أو تنفر نفسه عن الإقرار بتفردهم واختصاصهم بالوجود فيه، وان لا يسلك في اعتقاداته سبيل من شدته الدنيا وحبس عقله في سجنها، فأنكر كل ما لا يراه ويسمعه أو يشمه ويتذوقه[٣].

---

(١) الحكومة الإسلامية للسيد روح الله الخميني ص٥٢.

(٢) طهارة آل محمد عليهم السلام للسيد علي عاشور ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) الإنسان ابن هذه الدنيا المحدودة الضيقة، فلا غرو أن يكون فكر اكبر أهلها محدودا بحدود المادة ومقتصراً على هذا العالم الضيق الذي هو أدنى العوالم وأضيقها واقلها شأنا، لذى نرى أكثرهم معرضين أو متهاونين أو منكرين للمطالب الدينية الدقيقة، والحقائق الغيبية الرفيعة التي أخبرت بوقوعها الشريعة المقدسة، وصرح بإمكانها بل وحدوثها الأنبياء العظام والأوصياء الكرام ←

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة[1]

الآيات القرآنية المباركة جاءت صريحة في تبيان أن أصل المادة التي تكون منها الإنسان وخلق هي الطين كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾[2]، وكما في قوله تعالى أيضا: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[3]، وقد تكفلت الروايات الشريفة في توضيح وتفصيل هذا الخلق، وتبيان أن حكمة الله سبحانه تعلقت بإيجاد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من طينة مميزة عن سائر أفراد البشر، وان طينتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يشاركهم فيها أحد حتى الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم خلق أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم، وخلق أعداءهم من طينة أخرى وسيأتي تفصيل الكلام عنها عند استعراضنا لبعض روايات الطينة.

فيكون معنى السلام في مرحلة عالم الطينة هو ان الله سبحانه بحكمته وقدرته سلمهم من ان تتكدر طهارة طينتهم بخبث وظلمانية طينة أعدائهم وشانئيهم فلذا خلقهم من طينة طاهرة طيبة اصطفاها لهم ليكون فيها مستقر أنوارهم التي اصطفيت من قبل في عالم الأنوار والأشباح، وكذلك سلمهم وعصمهم من ان يشاركهم بهذه المزية أحد من العالمين.

واليك بعض الروايات الشريفة التي توضح بعض تفاصيل عالم الطينة:

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وليس لإنكارهم ذاك مبرر سوى ان تلك الحقائق لا تتناسب وذوقهم المادي ومقاييسهم الدنيوية الضيقة.

(١) قال الجوهري في الصحاح (ج ٦ ص ٢١٥٩)، وابن منظور في لسان العرب (ج ١٣ ص ٢٧٠) (والطينة: الخلقة والجبلة. يقال: فلان من الطينة الأولى).

(٢) سورة السجدة الآية رقم ٧.

(٣) سورة المؤمنون الآية رقم ١٢.

فعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا و أبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار)[1].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[2]، وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾[3])[4].

وقد ورد في الزيارة ما يؤيد هذا المعنى فقد أخرج ابن قولويه قدس الله روحه في كامل الزيارات: (ثم تأتي قبر الحسين عليه السلام فتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله...أشهد أنكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على من يبقى ومن تحت الثرى.. أشهد أن أرواحكم وطينتكم طينة

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٨٩.

(٢) سورة المطففين الآية رقم ١٨ ـ ٢١.

(٣) سورة المطففين الآية رقم ٧ ـ ٩.

(٤) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٠.

طيبة، طابت وطهرت هي بعضها من بعض...)[1].

وهذا الاختصاص والاصطفاء لطينة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم أو لطينة أعداء أهل البيت ومن سار على نهجهم لا يستلزم الجبر أو نسبة الظلم لذات الباري جل وعلا وقد فصل علماؤنا الأعلام القول في توجيه ذلك بعبارات شتى وأدلة عدة اخترنا منها ما يأتي:

منها ما ذكره المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه بقوله: (لا يقال هذا الحديث ومثله يرفع الاختيار ويوجب الجبر لأنا نقول: ـ والله أعلم ـ ان الله جل شأنه لما خلق الأرواح كلها قابلة للخير والشر، وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان، وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر، باختيارهما، وأمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيجيء، ووقع معلومه مطابقا لعلمه، خلق للأول[2] مسكنا وهو البدن من طينة عليين، وخلق للآخر[3] مسكنا من طينة سجين، كما خلق للمؤمن جنة وللكافر نارا، وذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه، ويعود كل جزء إلى كله، وكل فرع إلى أصله، ومن ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للإيمان والكفر، ومسبب عن العمل دون العكس، فلا يستلزم الجبر ولا ينافي الاختيار، ألا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالا من وجه وانفصالا من وجه آخر، لأن المؤمنين من طينة النبيين، وخلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجتهم وشرفهم، فوضع كلا في درجته، وانك إذا قررت لعبدك المطيع بيتا شريفا، ولعبدك العاصي بيتا وضيعا، صح ذلك عقلا وشرعا، ولا يصفك عاقل بالظلم والجور، إذ الظلم وضع

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) وهو الذي ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان).

(٣) وهو الذي ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر).

الشيء في غير موضعه، فهو إنما يلزم لو انعكس الأمر، أو وقع التساوي، وبما قررنا تبين فساد توهم أن الإيمان والفضل والكمال وأضدادها تابعة لطهارة الطينة وصفاتها، وخباثة الطينة وظلمتها، وهذا التوهم يوجب الجبر وبطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نعوذ بالله منه)[1].

وقال السيد نعمة الله الجزائري: (إن الأرواح لما خلقت قبل الأشباح وورد عليها قلم التكليف في عالم الأظلة، وكانوا بين مطيع وعاص، صارت كل روح من الأرواح مستعدة لان تركب مع قالب يناسبها في الاستعداد والطاعة، فدخلت روح المؤمن في طينة من عليين، وروح الكافر في سبخة من سجين. وأنت إذا أحطت علما بما ألقيناه إليك من هذا الكلام يسهل عليك الجواب عن كثير من الشبه والاعتراضات الواردة فيما يناسب هذا المقام...)[2].

ثم ان زيارة عاشوراء ذكرت في الفقرة التي نحن بصدد شرحها ان سلام الله سبحانه متوجه أيضا للشهداء الكرام الذين استشهدوا بين يدي الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء لانها قالت (عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) وهذا السلام والسلامة من الله سبحانه في عالم الطينة مثلما شمل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك شمل الشهداء الذين استشهدوا دون الحسين ونصرته؛ إذ خلق أرواحهم من فاضل طينة أبدان أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبهذا اللطف وفقوا لمحبتهم ونصرتهم والدفاع عنهم والقتل في سبيلهم، فسلمهم الله سبحانه من ان يكونوا من طينة أعدائهم فيسلبوا توفيق النصرة وحلاوة المحبة التي دفعتهم للجود بالنفس الذي هو غاية الجود.

---

(١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٨ ص ٥ ـ ٦.

(٢) نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ج ١ شرح ص ٥٤٢.

جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة

الظاهر من الروايات الشريفة ان عالم الأظلة يقع في مرتبة متأخرة عن عالم الطينة، فبنو آدم بعد ان وضعهم الله سبحانه وتعالى في قوالب تتناسب وما سيختارونه في عالم الدنيا، فوضع من سيختار الطيب والخير في طينة طيبة، ومن سيختار الشر والظلمة في طينة خبيثة ظلمانية، بعثهم بعد ذلك في عالم خاص أسمته الروايات الشريفة بعالم الأظلة، وكلفهم وامتحنهم بما يتناسب وذلك العالم، فمنهم من نجح في ذلك التكليف، وهم من صيرت أرواحهم في طينة طيبة، ومنهم من أخفق، وهم من صيرت أرواحهم في طينة خبيثة، فعن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (إن الله خلق، فخلق ما أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال. فقلت: وأي شيء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء، ثم بعث الله فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1]، ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقر بعضهم وأنكر بعضهم، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾[2])[3].

وفي تفسير العياشي عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: (إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٨٧.

(٢) سورة يونس الآية رقم ٧٤.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٤٣٦ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية الحديث رقم ٤، وراجع علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص١١٨ الباب ٩٧ علة المعرفة والجحود.

في الأظلة، وجحده من جحد به يومئذ، فقال: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾[1])[2].

وعن أبي بكر الحضرمي، عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له، فأقروا بطاعتهم وولايتهم)[3].

ووقوع التكليف في ذلك العالم مما صرح بحدوثه الأجلاء من علمائنا الأعلام رضوان الله تعالى عليهم تبعا لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإقرارا بهذه الروايات المتقدمة وغيرها، منهم المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه حيث قال: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وهو ما وقع قبل التكليف في دار الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب متعدد، الأول كان في عالم الأرواح الصرفة، الثاني كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين أخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يمينا وشمالا، وكل من أطاع في هذه التكاليف الثلاثة فهو يطيع في تكليف الدنيا، كل من عصى فيها فهو يعصي هنا، وتكليف خامس يقع في القيامة وهو مختص بالأطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبي وهم لا يعقلون وغيرهم ممن ذكر في محله)[4].

وقال الفاضل الأسترآبادي قدس الله روحه: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وقع مرتين مرة في عالم المجرد الصرف ومرة في عالم الذر، بأن تعلقت الأرواح فيه بجسد صغير مثل النمل ولما لم يكن تصل أذهان أكثر الناس إلى إدراك الجوهر المجرد عبروا عليهم السلام عن المجردات بالظلال لتفهيم الناس، وقصدهم من ذلك أن

(١) سورة يونس الآية رقم ٧٤.

(٢) تفسير العياشي للعياشي ج ٢ ص ١٢٦.

(٣) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٩٣ باب ٨ ما خص الله به الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله من ولاية الأنبياء لهم في الميثاق وغيره وما اعلموا من ذلك، الحديث رقم ٧.

(٤) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٨ ص ١٥.

موجودات ذلك العالم مجردة عن الكثافة الجسمانية كما أن الظل مجرد عنها فهي شيء وليست كالأشياء المحسوسة الكثيفة وهذا نظير قولهم عليهم السلام في معرفة الله تعالى: شيء بخلاف الأشياء الممكنة)[1].

فيكون سلام الله سبحانه وتعالى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذا العالم هو تسليمهم من أن يكونوا سببا لضلال الناس كما كان أعداؤهم سببا لذلك، وسلمهم من أن يلحق بمرتبتهم لاحق ويطمع في إدراك منازلهم طامع، حتى صار الخلق كلهم دون أدنى مراتبهم، وحتى صارت نبوة الأنبياء وإيمان من آمن من أممهم مشروطة بالإقرار بولايتهم ومحبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك يمكن لنا ان نفهم سلام الله سبحانه للشهداء من أصحاب الحسين بمعنى تسليم الله سبحانه لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من إتباع الظالمين، وتسليمهم من إنكار دعوة الأنبياء وعدم الإقرار بولاية النبي الأعظم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوفيقهم للإتباع بعد أن عرف الله سبحانه منهم الصدق والإخلاص في الدفاع والنصرة وبذل الروح في سبيل إمامهم وسيدهم الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما.

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الذر

وردت الإشارة إلى هذا العالم في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[2] وقد تكفلت الروايات الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيان بعض

(١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٧ ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٢.

تفاصيل ذلك العالم وكشف جزء من أسراره، وفيما يأتي بعض تلك الأخبار مع بعض الأقوال لعلماء الطائفة الأعلام رضوان الله تعالى عليهم:

فعن الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: (سألت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ قال ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف، سيذكرونه يوما ما، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه)(١).

وعن أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم إلى آخر الآية قال: (أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه ثم قال الست بربكم قالوا بلى وان هذا محمد رسولي وعلى أمير المؤمنين خليفتي وأميني)(٢).

وعن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام: (أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل)(٣).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال: جعل

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ١ ص ٢٤١.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٩١.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ١٠.

فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعني في الميثاق)[١].

عن داود الرقي عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ثم قال لهم من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قيل لبني آدم أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا نعم ربنا أقررنا، فقال الله جل جلاله للملائكة اشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود، الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق)[٢].

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)[٣].

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (والحق أن الإخراج والإشهاد والإقرار واخذ الميثاق بالمعاني المذكورة كلها واقعة، لأنه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله

---

(١) المصدر السابق ص١٢ باب كيف أجابوا وهم ذر الحديث رقم ١.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١١٨.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ١٦٨.

«ألست بربكم» وأجابوا ببلى حقيقة ولا بعد فيه، نظرا إلى قدرته القاهرة، وأنه تعالى جعل فيهم قوة يقدرون بها على المعرفة والتوحيد والنظر في آياته...ثم ان بعضهم بعد الوجود العيني نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية)[1].

وقال الحر العاملي قدس الله روحه: (وروى الصدوق في كتبه هذه الأحاديث وأمثالها وكذا الصفار، والبرقي، والحميري، وغيرهم. أقول: والأحاديث في ذلك كثيرة جدا قد تجاوزت حد التواتر تزيد على ألف حديث موجودة في جميع كتب الحديث وربما ينكرها بعض المتكلمين من أصحابنا لدليل ضعيف ظني غير تام يظهر من الأحاديث جوابه)[2].

فتحصّل مما سبق ان عالم الذر هو: العالم الذي أخرج الله سبحانه من ظهر أبينا آدم صلوات الله وسلامه عليه ذريته إلى يوم القيامة، وجعل فيهم من العقل والإدراك ما لو سألهم لأجابوه، فعرفهم نفسه وسأل منهم الإقرار بوحدانيته، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول من أجاب ببلى، ثم تبعه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ثم بقية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فحملهم علمه وكلف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة بقبول رسالته وولايته واوجب عليهم مودته ومعرفته، فأجابوه سبحانه بالرضا والقبول، وكلف بقية الخلق بذلك، فأقرّ بعضهم بلسانه وآمن بما اقر قلبه، والبعض الآخر أقرّ بلسانه ولم يؤمن بها قلبه، وكل من أقرّ بلسانه وقلبه في ذلك العالم فانه في هذا العالم يوفق لولايتهم ومحبتهم واتباعهم، وأما من لم يؤمن بها بقلبه ولم يعقد عليها ضميره، فإنه في هذا العالم مخالف لهم ولولايتهم.

(١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٨ ص ١٨.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي ج ١ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

ويمكن أن نفهم السلام والسلامة من قبل الله سبحانه في عالم الذر لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين بمعنى ان الله سبحانه قد منّ عليهم فجعلهم من أهل الإجابة بل من أول من أجاب واقر لله بالوحدانية والهيمنة، وحفظهم من نسيان ذكره وسددهم من التلكؤ والتباطؤ في الإقرار والشهادة، وعصمهم من الإنكار أو الإقرار باللسان دون القلب.

ويكون معنى سلام الله سبحانه على الشهداء من أصحاب الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين هو تسليمهم من إنكار ما عرض عليهم من الإقرار بوجود الله سبحانه ووحدانيته، والإيمان برسالة النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وقبول ولايته وولاية أهل بيته صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين ومودتهم ونصرتهم، وتسليمهم من الإقرار اللساني دون القلبي.

هاء: سلامتهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين في عالم الأصلاب

ان أول منازل الإنسان ومراحل وجوده في هذا العالم هو منزل الأصلاب، ورعاية الله سبحانه وسلامته مثلما شملت أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين قبل عالم الدنيا، كذلك شملتهم في هذا العالم، فمنذ أن خلق الله سبحانه أبانا آدم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْه أودع في صلبه جميع ذريته إلى يوم القيامة، ثم فرق الله سبحانه تلك الذرية في أصلاب أولاده، وفرق ما في صلب أولاده في صلب أولادهم وهكذا إلى يوم القيامة، فوضع سبحانه من يشاء في صلب من يشاء من عباده، وأخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، وانزل الخبيث من ظهر الطيب، والطيب من ظهر الخبيث، كل ذلك ليبلي بعض عباده ببعض، فيجزي المطيع الصابر، ويعذب الجاحد الكافر.

وكان من حكمته سبحانه ولطفه ورحمته أن اختار واصطفى بعض العباد من أولاد نبي الله آدم عليه السلام وميزهم بفضيلة النقل من صلب طاهر إلى صلب آخر طاهر أو أطهر، ومن رحم طاهر إلى رحم طاهر أو أطهر، فسلمهم في تقلبهم في عالم الأصلاب من دناءة الآباء والأمهات، وعصمهم من كل دنس ورجس يمكن أن يشوب ذلك العالم، وكان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مقدمة هؤلاء الذين سلمهم الله سبحانه وعصمهم ونقلهم من صلب شامخ إلى رحم طاهر، لم تنجسهم الجاهلية الأولى بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، واليك بعض النصوص وأقوال بعض العلماء الأعلام التي تثبت حقيقة ما ذكرنا بلا أدنى شك وشبهة:

منها ما ورد في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك أيها البشير النذير، السلام عليك أيها السراج المنير السلام عليك أيها السفير بين الله وبين خلقه، اشهد يا رسول الله انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها)[1].

وعن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انه قال: (فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر. تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام. كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف. حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا. من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر. نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى. سراج لمع

---

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ١٢٩ فصل ١٢ فيما نذكره من زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم من بعيد المكان وزيارة مولانا علي صلوات الله وسلامه عليه عند ضريحه الشريف.

ضوؤه. وشهاب سطع نوره)[1].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدا وعليا. فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام)[2].

وجاء في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (السلام عليك يا أبا عبد الله إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله...كنت نورا في الأصلاب الشامخة، ونورا في ظلمات الأرض، ونورا في الهواء، ونورا في السماوات العلى، كنت فيها نورا ساطعا لا يطفى، وأنت الناطق بالهدى)[3].

وفي زيارة أخرى: (يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين)[4].

وعن علي بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال: (سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧ ص٦٢ من خطبة له عليه السلام يصف فيها حال الأنبياء.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٤٠٢ ـ ٢٠٣.

(٤) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٧٢١.

يلتق لي أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري، ورقى بي إلى سمائه، وشق لي اسما من أسمائه الحسنى، أمتي الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد)[1].

فتبين من كافة أجزاء هذا البحث أن سلام الله سبحانه وتعالى قد رافق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كافة عوالم وجودهم ومراحل تقلبهم، وقد تركنا الخوض في عوالم أخرى كسلامتهم في عالم البرزخ والقيامة والجنة وغيرها خوف الإطالة على القارئ العزيز.

رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث

لا يخفى ان البحث في مراتب الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضلهم واصطفائهم في عوالم ما قبل عالم الحياة الدنيا هو من المباحث التي قلما يتم التعرض لها في الكتب الحديثة، وانها ولشديد الأسف من المباحث التي تم هجرانها من قبل الباحثين المعاصرين، لذا صارت غريبة على الفهم العامي، وأصبح من يتكلم بهذه المباحث الشريفة والحقائق المنيفة يتكلم بشيء غير مسموع لعامة الناس ولا مستساغ عند أكثرهم، مع ان هذه المباحث هي مما أشار إليها القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة، وتناولتها الأحاديث الشريفة عن النبي الأعظم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتفصيل قلما حظيت به الكثير من المواضيع العقائدية أو الغيبية الأخرى.

وهو أيضا مما فصل العلماء الأعلام القول به قديما، فعقدوا له فصولا وأبوابا في كتب الرواية والحديث، ويندر أن ترى في أصول كتب السابقين من الأعلام

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٢٣.

رضوان الله تعالى عليهم تجاهلاً لهذه المباحث الشريفة(١).

فهذا التجاهل من الكتّاب والمفكرين المعاصرين لهذه الحقائق القرآنية والروائية أقل ما يمكن ان يقال عنه هو تجاهل وتنكر واضح لحقيقة من حقائق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإغضاء للطرف عن مقام من مقاماتهم ومنزلة من منازلهم التي أنزلهم الله سبحانه فيها، هذا إن لم نقل انه مشاركة من قبلهم مع من أشارت إليه الزيارة بقولها: (ولَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا) لان ترك مثل هذه المباحث السامية إلى أن تندثر يعد مشاركة ولو من حيث لا يقصد في ذلك المخطط السام الذي كان ولا يزال قائما لهدم مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودفعهم عن تلك المراتب التي هي حقهم الطبيعي الممنوح من قبل الله سبحانه.

ولزيادة الفائدة وتنوير الأذهان الغافلة والقلوب الشاكة أردنا اختتام هذا

---

(١) فراجع على سبيل المثال كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتاب الصفوة والنور والرحمة باب ما خلق الله المؤمن من نوره، وباب خلق المؤمن من عليين، وباب خلق المؤمن من طينة الأنبياء، وباب خلق المؤمن من طينة الجنان، وباب خلق المؤمن من طينة مخزونة، وباب الميثاق، وباب اختلاط الطينتين، وباب خلق المؤمن، وراجع أيضا كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار في الباب التاسع باب خلق أبدان الأئمة وقلوبهم، والباب العاشر في خلق أبدان الأئمة وفي خلق أرواحهم وشيعتهم، وأورد الكثير من هذه الأحاديث في الباب الثاني عشر أيضا، وكذلك في الباب السادس عشر، وراجع أيضا كتاب الكافي للشيخ الكليني ج١ باب خلق أبدان الائمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، وباب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب وغيره، وفي ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب طينة المؤمن والكافر، والباب الذي يأتي هذا الباب ، وكذلك الباب الذي يأتي هذين البابين، وراجع أيضا علل الشرائع للشيخ الصدوق الباب الأول العلة التي من اجلها سميت السماء والدنيا والآخرة وآدم وحواء، والباب ٧٧ العلة من خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن، والباب ٩٦ علة الطبائع والشهوات، والباب٩٧ علة المعرفة والجحود، والباب ٢٤٠ العلة التي من اجلها قد يرتكب المؤمن المحارم ويعمل الكافر الحسنات، وغير ذلك الكثير الكثير.

المبحث ببعض الفوائد المختصرة توضح وبشكل جلي فائدة الخوض في مثل هذه الأبحاث، وذلك لان كثيرا من الجاهلين يأنفون من الخوض في مثل هذه الحقائق ومعرفة وسماع مثل هذه المناقب بحجة أن لا فائدة ترجى من الخوض فيها والبحث عنها، وهذا كله من تسويلات الشيطان الرجيم الذي يريد أن يحرم ابن آدم من المعرفة التي بها يتكامل إيمانه ويتعاظم أجر أعماله كما سنعرف ذلك فيما يأتي:

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن علي عن الحسين بن سعيد عن علي بن الصلت عن الحكم وإسماعيل عن بريد قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وعد الله ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله)[1].

وعن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا فجعلنا خزانه في سماواته وأرضه ولولانا ما عرف الله)[2].

عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و [لا] يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا)[3].

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عز

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٨٤.

(٢) المصدر السابق ص١٢٥.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٨١.

وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه)[1].

وقال المولى المازندراني في شرح هذا الحديث الأخير ما نصه: (قوله: «الأوصياء هم أبواب الله تعالى» أي أبواب جنته أو أبواب علمه كما قال «أنا مدينة العلم وعلي بابها، والبيوت إنما تؤتى من أبوابها» ومراده أن من طلب العلم والحكمة وأسرار الشريعة والتقرب إلى الله فليرجع إلى الأوصياء وليأت البيوت من أبوابها وليتق الله فان من أتاه من غير بابها سمي سارقا.

قوله: «ولولاهم ما عرف الله» لأن عظمته أرفع من أن يصل إليه كل طالب، ورفعته أجل من أن ينظر إليه كل شاهد وغائب، وصراطه أدق من أن يتطرق إليه قدم الأوهام، وشرعه أشرف من أن يقبل مخترعات الأفهام، فلولا هداية الأوصياء وإرشاد الأولياء لبقوا متحيرين في تيه الجهالة وراقدين في مرقد الضلالة كما ترى من أعرض عن التوسل بهدايتهم والتمسك بذيل عصمتهم فإن بعضهم يقول بالتجسيم وبعضهم يقول بالتصوير وبعضهم يقول بالتحديد وبعضهم يقول بالتخطيط وبعضهم يقول إنه محل للصفات وبعضهم يقول بأنه قابل للحركة والانتقال إلى غير ذلك من المذاهب الباطلة وبالله العصمة والتوفيق)[2].

وجاء عن بعض المحققين ما يؤيد هذه الروايات الشريفة حيث قال: (...كل حكمة وعلم من الحق صدرت فمن طريقهم إلى الخلق وصلت، وكل رحمة من الله انتشرت فبهم انتشرت، وكل عناية منه على الخلائق وقعت فبسببهم تحققت، لأنهم عيبة علمه، ومعدن حكمته، وسبب خيره، ووسائط فيضه، ويده الباسطة، وعينه

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٩٣.

(٢) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٥ ص ١٧٥.

الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق، والمخلوقون من نوره، والمؤيدون بروحه وبهم يقضي في الخلق قضيته، وإليهم تهبط في مقادير أموره إرادته. بلى، بلى، أيها السالك سبيل الحكمة والطالب بالعرفان طريق السعادة، إليهم، إليهم فإن عندهم الحكمة، وباتباعهم تحصل السعادة، وبهم عرف الله وبهم عبد الله)[1].

وقال العلامة المجلسي: (بيان: قوله: وبنا عبد الله، أي نحن علمنا الناس طريق عبادة الله، أو نحن عبدنا الله حق عبادته بحسب الإمكان، أو بولايتنا عبد الله فإنها أعظم العبادات، أو بولايتنا صحت العبادات فإنها من أعظم شرائطها. قوله: ولولانا ما عرف الله، أي لم يعرفه غيرنا، أو نحن عرفناه الناس، أو بجلالتنا وعلمنا وفضلنا عرفوا جلالة قدر الله وعظم شأنه)[2].

وقال السيد علي خان المدني الشيرازي: (وفي استعارة لفظ الباب إشعار بأنه لا مدخل يتوصل به إليه سبحانه سوى من جعله بابا للوصول إليه إذ لا يدخل إلى الدار ولا يتوصل إليها إلا من بابها، فمن ظن أنه يتوصل إليه سبحانه من غير هذه الأبواب فقد ظن باطلا وأخطأ سهمه الثغرة وضل سواء السبيل)[3].

إذن فعبادة الله حق عبادته ومعرفته تعالى حق معرفته لا تتأتى لأحد من العالمين إلا عن طريق القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الباب الذي يدخل منه إلى التوحيد الصادق غير المشوب بالباطل، ولأنهم الوجهة الصحيحة التي يتوجه إليها طالبو الهداية إلى الله سبحانه ودينه وأحكامه، وان من اخذ بيد غيرهم، واتخذ غير

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ص ٥ كلمات حول الكتاب.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٦ ص ٢٤٧.

(٣) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام للسيد علي خان المدني الشيرازي ج ٧ شرح ص ٢٥.

وجهتهم، ضل سواء السبيل.

وهذا القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يتم من دون معرفتهم، لان السائر على الطريق من دون معرفة بالطريق لا يزيده كثرة المسير إلا جهلا وتخبطا، بل وربما يحيد عن الطريق وتزل قدمه وينجرف في غير طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من دون أن يعرف، كما حصل للكثيرين، وذلك لان أهل البيت هم بوصلة الهداية الإلهية فمن لا يعرف البوصلة كيف له أن يسير سيرا مستقيما سليما.

أما السائر على طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عارفا بحقهم وكمالاتهم ومراتب فضائلهم ومنازلهم التي اصطفاهم الله سبحانه ووضعهم فيها لا يزيده كثرة المسير إلا ترقيا في سلم الكمالات، وبصيرة بكل ما يحيط بدرب غيرهم من الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[(١)].

وما ورد على لسان الروايات من التعبير عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالأسماء الحسنى دال على هذه الحقيقة فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(٢)] قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا)[(٣)] ومعلوم ان معرفة الصفات الإلهية واجبة على كل مكلف فكذلك معرفتهم، ومعرفة الصفات الإلهية يتوقف عليها معرفة الله سبحانه حق معرفته، وكذلك هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم مرآة الصفات الإلهية، بل هم تجسيد لها في عالم الإمكان.

---

(١) سورة النور الآية رقم ٤٠.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات

عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما قال: (نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة)[1] فإذا عرفنا أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ميزان الله سبحانه وتعالى في الأرض، وهم أسماؤه الحسنى، فيكون قانون إعطائهم للمعروف على قدر المعرفة هو قانوناً الهياً ومنهجاً ربانياً يتعامل به الله سبحانه مع عباده كما يتعامل به أولياؤه مع بقية خلقه، فيكون المؤمن الأكثر معرفة بالله وصفاته وبأهل البيت وصفاتهم ومنازلهم وفضائلهم هو الأحق بزيادة المعروف، وواحدة من وجوه المعروف هي الثواب الذي يجزى به المؤمن العارف، والعكس بالعكس.

واختلاف الدرجات في العطاء والثواب والجزاء الإلهي من مؤمن لآخر هو حقيقة قرآنية أوضحتها نصوص الكتاب العزيز منها قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[2].

وواحدة من أهم أسباب التفضيل ورفع الدرجات هي الإيمان والعلم كما قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[3]، وأشرف العلوم على الإطلاق هو علم التوحيد ومعرفة الخالق جل وعلا، وقد علمت ان هذا العلم لا يأتي بنتائجه الرفيعة العظيمة من دون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن أهم مقدمات الوصول إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي معرفتهم ومعرفة منازلهم وفضائلهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، حتى يُخرج الإنسان هؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن حدي الغلو والتقصير.

---

(١) نهج السعادة للشيخ المحمودي ج٨ ص٢٨٦.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم٢٤.

(٣) سورة المجادلة الآية رقم ١١.

وبناءً على ما تقدم يصبح العلم والمعرفة بمنازل ومراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقدمة لكل خير، وفاتحة لكل فضل، وزيادة لكل كمال، وبه يرفع الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات درجات كل بحسب سعة معرفته وشدة يقينه وإيمانه وتسليمه بتلك المنازل والصفات.

وقد جاء تصديق كل ذلك على لسان الروايات الشريفة، نختار منها ما يتناسب مع المقام، فمنها ما عن المفضل أنه دخل على مولانا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أجمعين فقال له: (يا مفضل هل عرفت محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السنام الأعلى. قال: قلت: عرفني ذلك يا سيدي. قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز وجل وذرأه وبرأه وأنهم كلمة التقوى وخزان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلا علموها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك. فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت. قال: نعم يا مفضل، نعم يا مكرم، نعم يا محبور، نعم يا طيب، طبت وطابت لك الجنة، ولكل مؤمن بها)[1].

وروى البزنطي قال: (قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام بخطه: أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة متقبلة كلها، قال ــ يعني البزنطي ــ: قلت لأبي جعفر ألف حجة؟ قال: أي والله وألف ألف حجة لمن يزوره عارفا)[2]، وفيه دلالة قطعية على ان المعرفة تضاعف الحسنات وتجعل الحجة بألف

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٧ ص ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) الدروس للشهيد الأول ج ٢ ص ١٤ كتاب المزار ثواب زيارة النبي والأئمة عليهم السلام.

حجة، وترفع الدرجات بألف مثلها، وكلما ازداد المؤمن بأئمته معرفة ازداد كمالا وتألقت درجاته في جنات النعيم، والعكس صحيح فكلما ازداد الإنسان عن أهل البيت بعدا ولفضائلهم إنكارا ولأشخاصهم المقدسة حربا ازداد من الله بعدا، وتسافل منزله ومأواه ومستقره في جهنم ودركاتها.

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقي في درجاتها

دلت الآثار المستفيضة على أن معرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب دخول الجنة، وان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على النحو اللائق بهم يجر على المؤمن الخير الوافر الكثير، وواحدة من أهم هذه الخيرات والنعم هو تغيير الشقاوة والذنوب إلى غفران وسعادة، فعن جعفر بن محمد بن قولويه عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائرا عارفا بحقه غير مستكبر ولا مستنكف، قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل)[1].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن قوله وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان في الجنة ومن أنكرناه في النار)[2].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في الجنة ثلاث درجات، وفي النار ثلاث دركات، فأعلى درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه ويده، وفي الدرجة الثانية من أحبنا

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٠٧ الباب ٦٧ في ان زيارة الحسين عليه السلام تعدل عتق الرقاب.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٥١٩.

بقلبه ونصرنا بلسانه، وفي الدرجة الثالثة من أحبنا بقلبه، وفي أسفل درك من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه و يده، وفي الدرك الثانية من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه، وفي الدرك الثالثة من النار من أبغضنا بقلبه)[1].

وقد عد الشيخ الصدوق كون المعرفة شرطاً لدخول الجنة من اعتقادات الإمامية حيث قال في باب الاعتقاد في الأعراف: (اعتقادنا في الأعراف أنه سور بين الجنة والنار، عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم والرجال هم النبي وأوصياؤه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه)[2].

فإذا ثبت ان دخول الجنة لا يكون إلا بمعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان معرفة حقهم توجب مضاعفة ثواب الأعمال فتصير زيارة واحدة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تعدل عند الله ثواب ألف حجة وألف عمرة، وتغير مصير الإنسان وقدره من شقي إلى سعيد، فمن الطبيعي بعد هذا التوضيح ان تصبح درجات المؤمنين في الجنة متفاوتة بتفاوت معرفتهم بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومتغايرة بتغاير سعة تلك المعرفة ورسوخها في القلب والعقل، وذلك لبداهة ان درجات المعرفة تختلف من مؤمن إلى آخر، فيجب ووفقا للعدل الإلهي أن تتغاير درجاتهم بتغاير معرفتهم، وتتفاوت منازلهم بتفاوت إحاطتهم بأسرار مقامات ومنازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فليس من يعرف الاسم والكنية كمن يعرف منازلهم ومراتبهم وشؤونهم وأسرارهم، وليست معرفة أحد عوام هذه الأمة كمعرفة سلمان الفارسي أو غيره من أعاظم وأجلاء أصحاب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن العدل إذن أن

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ١ ص ١٥٣.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ٧٠.

تختلف الدرجات باختلاف مراتب المعرفة، ومن العدل أيضا أن يتعاظم الثواب ويزيد الأجر باختلاف العقول والمدارك التي تؤدي إلى زيادة المعرفة، ومن الظلم ان يتساوى العالم والجاهل، ومن الظلم أن يشترك سلمان العارف بأهل البيت حق معرفتهم مع إنسان لا يفقه من أهل البيت إلا أسماءهم ولا يقر لهم بمنزلة إلا بان زيارتهم تقضي له الحاجات.

نسأل الله سبحانه وتعالى زيادة معرفتهم وقوة اليقين بمراتبهم وشدة البصيرة بمنازلهم والارتفاع في درجات الجنان ببركة رضاهم ورضا الله سبحانه وتعالى انه أرحم الراحمين.



يا أَبا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ

٢: لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

٣: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ

٤: بِكَ عَلَيْنَا

٥: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء

مصيبة الإمام الحسين ,وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء



يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ

وفي هذه الفقرة المباركة من الزيارة عدة من المباحث نستعرضها فيما يأتي من الكلام:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

ورد في متون الزيارات الشريفة وجملة من روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وصف مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمصيبة العظيمة والرزية الجليلة ونحن فيما يأتي نختار جملة من تلك الموارد، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاقتصار على بعضها وعدم استقصاء كل ما ذكر في متون الزيارات الشريفة، ومن هذه الموارد ما يأتي:

منها ما رواه الشيخ الطوسي قدس الله روحه عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال عن أبيه عن جده صفوان قال: (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه، فقال: يا صفوان: صم ثلاثة أيام قبل خروجك واغتسل في اليوم الثالث...ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس، وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة

الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله...بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض...)[1].

ومنها ما ذكره محمد بن المشهدي قدس الله روحه في كتابه المزار حيث قال: (زيارة أبي عبد الله عليه السلام في يوم عرفة ومن لم يمكنه حضور الموقف للحج وقدر على إتيان قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة فليحضر... ثم انكب على القبر وقبله وقل: بابي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض...)[2].

ومنها ما ذكره السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال: (إذا كنت بمشهد الحسين عليه السلام في يوم عرفة، فاغتسل غسل الزيارة والبس أطهر ثيابك وطهر عقلك وقلبك مما يقتضي الإبعاد بعقابك و عتابك، لتكون طاهرا من الأدناس، فيصح لك أن تقف بباب طاهر من الأرجاس، واقصد مقدس حضرته وقف على باب حرمه وكبر الله تعالى وقل: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا... السلام عليك يا صريع العبرة الساكبة، وقرين المصيبة الراتبة، لعن الله أمة استحلت منك المحارم، فقتلت صلى الله عليك مقهورا، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله بك موتورا، وأصبح دين الله لفقدك مهجورا... بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية، وجلت المصيبة بك علينا، وعلى جميع أهل السماوات والأرض)[3].

وستأتي أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى.

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٧١٧ ـ ٧٢١.

(٢) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤، وكذلك راجع كتاب المزار للشهيد الأول ص ١٢٥ـ ١٢٦.

(٣) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٢ ص ٦٢ ـ ٦٤ فصل ١٨: فيما نذكره من لفظ الزيارة المختصة بالحسين عليه السلام يوم عرفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ

قد ذكرنا في الفقرة الأولى من فقرات هذه الزيارة الشريفة تفصيل الكلام عن سبب إطلاق كنية أبي عبد الله في هذه الزيارة دون غيرها من الكنى، وعن المداليل التي يحتويها هذا الإطلاق فراجع.

٢: لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

لقد: قد وردت معانٍ عدة للحرف (قد) فصلها صاحب كتاب الجنى الداني في حروف المعاني[١] وغيره، والظاهر ان (قد) هنا بمعنى التحقق وهي شبيهة بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [٢] أي ان الفلاح واقع ومتحقق للمؤمنين، فيكون معنى هذه الفقرة من الزيارة (ان عظم الرزية وجلل المصيبة بالحسين صلوات الله وسلامه عليه واقع ومتحقق علينا وعلى جميع أهل الإسلام).

عظمت: بمعنى كبرت واشتدت وفظعت، قال الفراهيدي: (والعظم: مصدر الشيء العظيم...وسمعت خبرا فأعظمته أي: عظم في عيني. ورأيت شيئا فاستعظمته...والعظم: جل الشيء وأكثره...والعظيمة: الملمة النازلة الفظيعة)[٣].

وقال الجوهري: (عظم الشيء عظما: كبر، فهو عظيم. والعظام بالضم مثله... والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة)[٤].

---

(١) راجع الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرواريد ص٢٥٣ ـ ٢٥٩.

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ١.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٢ ص ٩١ ـ ٩٢.

(٤) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨.

وقال ابن منظور: (والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة والملمة إذا أعضلت)[1].

الرزية: وهي المصيبة بفقد خيار الأعزة، قال ابن منظور: (والرزء: المصيبة...والمرزئة والرزيئة: المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا. وقد رزأته رزيئة أي أصابته مصيبة. وقد أصابه رزء عظيم...والرزء: المصيبة بفقد الأعزة)[2].

قال الفراهيدي: (وقوم مرزؤون، وهم الذين تصيبهم الرزايا في أموالهم وخيارهم)[3].

وربما كان معنى الرزية هي الفجيعة الموجعة، لان الفجيعة هي: (الرزية. وقد فجعته المصيبة، أي أوجعته. وكذلك التفجيع. ونزلت بفلان فاجعة. وتفجعت له، أي توجعت)[4].

وقال ابن منظور: (الفجيعة: الرزية الموجعة بما يكرم...وفجعته المصيبة أي أوجعته. والفواجع: المصائب المؤلمة التي تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم)[5]

٣: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَة

جلت: الجلل والجليل وصف يوصف به الأمر العظيم، قال ابن منظور: (والجليل: من صفات الله تقدس وتعالى، وقد يوصف به الأمر العظيم... والجلل:

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٤١١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٨٦.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٤) الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٢٥٦.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ٢٤٥.

الأمر العظيم)[1].

المصيبة: وهي كما عبر عنها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (مصيبة، ومصوبة، ومصابة، والجمع مصائب، ومصاوب. وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان)[2]، وكذا قال ابن منظور[3]، والشيخ الطريحي[4].

أو هي النائبة لأنهم عرفوا النائبة بقولهم: (والنائبة، المصيبة، واحدة نوائب الدهر)[5].

أو هي النكبة لأنهم عرفوا النكبة بقولهم: (والنكبة: المصيبة من مصائب الدهر، وإحدى نكباته، نعوذ بالله منها)[6].

أو أن المصيبة مرادفة للرزية وقد تقدم إن إحدى تعاريف الرزية هي المصيبة.

٤: بكَ عَلَيْنَا

بك: (الباء) حرف استعمل في معانٍ شتى[7]، وقد استعمل هنا بمعنى السببية أو التعليل، قال ابن مالك: (هي التي تصلح غالبا في موضعها اللام)[8] وهو شبيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾[9] أي بسبب

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١١، ص١١٦ ـ ١١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ٥٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٥٣٦.

(٤) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٢ ص ٦٤٢.

(٥) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٢٩.

(٦) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٧٧٢ ـ ٧٧٣.

(٧) راجع الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرواريد ص٣٦ ـ ٥٦.

(٨) المصدر السابق ص٣٩.

(٩) سورة البقرة الآية رقم ٥٤.

إتخاذكم العجل.

و(الكاف) ضمير متصل يرجع إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيكون المعنى هو (ان علة عظمة الرزية وسبب جلالة المصيبة علينا هو أنت يا أبا عبد الله) أو (لك وبسببك يا أبا عبد الله عظمت علينا الرزية وجلت المصيبة).

علينا: وضمير الجمع (نا) إما يقصد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه منه نفسه المقدسة، لأنه هو من أخرج هذه الزيارة الشريفة للوجود، أو المقصود منها جميع الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه مع شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما، لان الزيارة منقولة كما عرفنا في بداية الكتاب عن الإمام الباقر عن آبائه عن جبرائيل عن الله سبحانه، أو يكون المقصود كل من تقدم إضافة إلى شيعتهم وأصحابهم والزائرين لقبره صلوات الله وسلامه عليه، لان الجميع يصدق عليه أن الرزية عمته والمصيبة قد شملته.

٥: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ

وعلى جميع: جميع بمعنى كل، فتقول جاءوا جميعا، أي كلهم، وجميع أهل الإسلام أي كلهم.

أهل الإسلام: الأفراد المنتمون إلى دين الإسلام أو من يدين من الناس بدين الإسلام.

قال الفراهيدي: (وأهل الإسلام من يدين به)[1] وهو المعنى الظاهري، وستأتي معانٍ أخرى في بحث سنفرده لها.

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٤ ص٨٩ باب الهاء واللام.

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

ذكرت الزيارة الشريفة ان مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورزيته قد عظمت وجلت على جميع أهل الإسلام، ويمكن لنا وبملاحظة الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن نجد ثلاث مراتب، أو ثلاثة مصاديق لأهل الإسلام ومن خلال معرفة هذه المراتب الثلاث نستطيع ان نعرف مع أي من تلك الأقسام ينسجم كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه ومع أي منها لا ينسجم، وبعبارة أخرى إننا وبمعرفتنا لتلك الأقسام الثلاثة نستطيع أن نحدد وبدقة مراد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ومقصده من قوله(يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ) وهذه المراتب الثلاث هي:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

وركيزة هذه المرتبة شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله، وتشمل كلاً من:

ألف: من يتشهد الشهادتين بلسانه من دون الإيمان والإقرار القلبي بها وبلوازمها، ويدخل في هذا القسم المنافقون وكثير من التيارات السياسية والعلمانية وغيرهم، ممن يتخذ الإسلام شعارا يتصيد به السذج والمغفلين.

باء: من تشهّد الشهادتين بلسانه واعتقدها بقلبه، ولكن من دون الإقرار اللساني أو القلبي بمبدأ ولاية وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذ ان ولايتهم وإمامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  ركيزة مهمة لا تقل أهمية عن الركيزتين السابقتين ـ التوحيد والنبوة ـ.

جيم: من يتشهد بالشهادتين بلسانه ويعتقدها بقلبه، ويشهد للائمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالولاية والإمامة بلسانه دون الاعتقاد بها أو بلوازمها في قلبه، فمثل هذا الصنف من الناس إن وجد فهو وان كان محسوبا على أهل الإيمان في الظاهر إلا انه عند الله يعامل معاملة القسم الثاني من أقسام أهل الإسلام الظاهري، فلا ينتفع بولايته ولا يترقى مثل ما يترقى غيره من أتباع الأئمة عليهم السلام وأوليائهم.

وبهذه المرتبة الظاهرية من الإسلام حقنت الدماء وأديت الأمانات وصحت المناكح والعقود وبقية التعاملات الدنيوية الظاهرية، فعن القاسم شريك المفضل قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يقول: (الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان)[1].

وقد فسر الإمام الصادق معنى أهل الإسلام في قوله المنقول عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن محمد القاساني عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسئل عن قسم بيت المال فقال: أهل الإسلام هم أبناء الإسلام أسوي بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله أجملهم كبني رجل واحد لا نفضل أحدا منهم...)[2].

إذن فجميعهم سواء من حيث التعامل الدنيوي الظاهري ولهم حقوقهم كاملة في دار الدنيا، والفرق ما بينهم وبين القسم اللاحق هو في ثوابهم عند الله سبحانه، فمنازل الآخرة كما ثبت في محله مشروطة بالإيمان بولاية وإمامة الأئمة الأطهار، ومن لم يأت بالشرط لا ينال المشروط الذي هو الثواب والجنة.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٢٥، ح٦.

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦ ص ١٤٦باب كيفية قسمة الغنائم.

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

وهذه المرتبة أخص من السابقة حيث اخذ فيها إضافة إلى شرط الشهادتين بالربوبية والنبوة شرط ثالث هو شرط الإقرار اللساني والقلبي بإمامة وولاية الأئمة الطاهرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمكن أن يدخل تحت هذه المرتبة كل من:

ألف: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة بلسانه وقلبه ولكنه لا يعتقد بإمامة جميع الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كالزيدية الذين لا يعتقدون إلا بإمامة أربعة من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وينكرون إمامة الباقين، وكمثل الواقفية الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، وكبعض الذين يعتقدون بإمامة أحد عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينكرون إمامة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرهم، وبالجملة فهذه المرتبة شاملة لكل من يعتقد بإمامة وولاية أهل البيت ولكنه ينكر إمامة واحد أو أكثر من الأئمة الإثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الصنف من المسلمين وان اقروا بالإمامة لسانا وقلبا ولكنهم يلحقون بأصحاب المرتبة الأولى، ولا يدخلون في أهل الإيمان بالمعنى الأخص إلا من حيث الظاهر، وإلا فواقعهم عند الله سبحانه مشابه لواقع من آمن بالتوحيد وبالنبوة وأنكر الإمامة، لان الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صرحت وبشكل واضح أن من أنكر واحدا من الأئمة الإثني عشر، كان كمن أنكرهم جميعا، وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة نختار منها على عجالة ما يأتي:

منها ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه في (كمال الدين وتمام النعمة) قال: (حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن

علي عليهما السلام يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إن المقر بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا. أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل)[1].

وعن الشيخ الكليني في (الكافي) عن: (الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن صفوان، عن ابن مسكان قال: سألت الشيخ[2]، عن الأئمة عليه السلام قال: من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات)[3].

وقد نقل العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) اتفاق الإمامية على هذا الأمر: (وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب المسائل: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار)[4].

باء: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة لجميع الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قلبا ولسانا، وينقاد لهم روحا وعقلا وعملا، ويقبل عنهم ولا يرد عليهم، ويعترف لهم بالفضل وعلو المنزلة والرفعة على جميع البشر باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ويقر لهم بجميع منازلهم التي أثبتها الله سبحانه لهم وأثبتوها هم لأنفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤٠٩.

(٢) المقصود بالشيخ هنا هو الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٧٣.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٨ ص ٣٦٦.

وبهذه المرتبة تقبل العبادات ويتضاعف الأجر، وهي المرتبة الكاملة والنعمة التامة، التي قصدها سبحانه بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1]، فبالولاية لآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم غدير خم كمل الدين وبالانقياد إليهم تمت النعمة، وكل من جاء يوم القيامة بغير هذه النعمة، فقد جاء بإسلام ناقص مبتور لا يقبل منه.

وقد وردت الأخبار المستفيضة والتي نصت بما لا يقبل الشك على أن الولاية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ركيزة الإسلام المهمة ودعامته التي يتقوم بها، وان من ضيعها لم يصب الإسلام الحقيقي، ومن هذه الأخبار ما يأتي:

فعن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ)[2].

وعن زرارة، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن)[3].

وعن أبان عن فضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير)[4].

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام حديث رقم ٣.

(٣) المصدر السابق الحديث رقم ٥.

(٤) المصدر السابق الحديث رقم ٨.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبوابا أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيها بعيدا. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده واستكمل ما وعده.

إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢)، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره، فقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٣) تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز

(١) سورة طه الآية رقم ٨٢.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٧٢.

(٣) سورة فاطر الآية رقم ٢٤.

وجل يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ اتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقى واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم)[2].

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لا يخفى ان الإسلام هو الدين الرسمي الذي شرعه الله سبحانه لسائر البشرية، واليه دعا الأنبياء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من لدن نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وما إرسال الرسل، وبعثهم الواحد تلو الآخر، إلا ليكمل بعضهم بعضا، ويتمم بعضهم شريعة بعض، وليبلغوا بأجمعهم شريعة واحدة ودينا محددا اسمه عند الله سبحانه الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

فيمكن على وفق هذه النظرة القرآنية عدّ جميع الأنبياء والرسل والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أهل الإسلام، واليه يشير حديث المفضل مع الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حين سأله المفضل قائلا: (يا سيدي والدين الذي أتى به آدم ونوح،

(١) سورة الحج الآية رقم ٤٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص١٨١ ـ ١٨٣ باب معرفة الإمام والرد إليه الحديث رقم ٦.

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٩.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ٨٥.

وإبراهيم وموسى، وعيسى ومحمد هو الإسلام، قال: نعم يا مفضل هو الإسلام لا غير، قلت فنجده في كتاب الله، قال: نعم من أوله إلى آخره وهذه الآية منه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وقوله عز وجل: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ وفي قصة إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ وقوله في قصة فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وفي قصة سليمان وبلقيس قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقول عيسى للحواريين: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وقوله في قصة لوط: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ولوط قبل إبراهيم، وقوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ...)[1].

فيتبين من خلال هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ان جميع الأنبياء وأوصيائهم وأممهم كانوا يعتقدون ويدينون بدين الإسلام، بل ويقرون بنبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة الأئمة الإثني عشر من بعده، كما قد ثبت في بحث سابق ان ولايتهم وإمامتهم عرضت على الأنبياء في هذا العالم وفي عوالم سابقة، وما نبئ نبي أو أرسل رسول إلا بعد الاعتراف بنبوة نبينا الأعظم وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعليه فيمكن دخولهم بهذا الاعتبار في المرتبة الثانية التي مرت آنفا.

---

(١) الهداية الكبرى للحسن بن حمدان الخصيبي ص٣٩٤ باب الرابع عشر باب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

بعد أن عرفنا ان للمسلمين ثلاث مراتب صار حقا علينا ان نعرف أي المراتب هي المقصودة من قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه : (عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ)، ولا نجد صعوبة في استبعاد أهل المرتبة الأولى[1] من هذه المقولة الشريفة، وهذا الاستبعاد إن لم يشمل جميع أفراد هذه المرتبة، فهو شامل للغالبية العظمى منهم، ولنا على هذا الاستبعاد عدة أدلة وشواهد، منها:

الشاهد الأول

قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه : (وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده)[2] فإن من تعظم عليه مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتشتد عليه رزيته لابد ان يكون عارفا بمقام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وحائزا على المعرفة الحقيقية بشخصه المقدس ومقاماته ومنازل كرامته ومؤهلاته التي منحها له الله سبحانه وتعالى، وهو غير متحقق في أهل هذه المرتبة، لان أفرادها مترددون ما بين صنفين:

الصنف الأول: من لا يعترف للحسين صلوات الله وسلامه عليه بفضل مطلقا، كما لم يكونوا يعترفون بفضل أخيه الحسن وأبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وجده النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهم أهل الإسلام اللساني ممن لم يدخل الإسلام في قلبه، وهؤلاء وان تغيرت أعيانهم في كل عصر ومصر، إلا أن صفاتهم تبقى متشابهة على الدوام،

---

(١) مرتبة الإسلام الظاهري.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ ص١٥٦.

فهم وان شهدوا لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة، وهم وان أبدوا الأسى والحزن على قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا ان هذه الأمور تبقى موصوفة بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[1]، وتبقى عقائدهم اللسانية داخلة في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2]، ومن يكون حاله ما ذكرنا لا يمكن أن تكون مصيبة الحسين عليه عظيمة ورزيته بالنسبة إليه جليلة.

الصنف الثاني: وهم الذين يقرون بالشهادتين ويقرون بلوازمها ولكنهم وبسبب الخلفية العقائدية التي تربوا عليها وتبنوها يعدّون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شأنه شأن غيره من سائر الناس، بل ويعدّون مصيبته من حيث الأهمية أقل بكثير من مصائب كثير من الصحابة، كما سيأتي الإشارة إلى بعض الشواهد الموضحة لهذه الحقيقة لاحقا، فمن لم يعظم عنده قدر الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا يصح أن يقال عنه بأنه قد أصيب وفجع وعظمت وجلت عليه رزية قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم وان ابدوا التأثر والاهتمام بمقتله إلا أن هذا الاهتمام والتأثر لا يصل بهم إلى مرتبة من عظمت عنده المصيبة وجلت لديه الرزية، لان مصيبة غيره عندهم أعظم ورزايا من هم دونه عندهم أجل وأكبر.

الشاهد الثاني

إن من يريد أن يتعرف على معتقدات فرقة ما أو ديانة ما لابد عليه أن يرجع إلى ما كتبه علماء ومفكر وتلك الفرق ومثقفوها، ونحن لو رجعنا إلى علماء ومفكري ومثقفي الطائفة الأولى ممن لا يقر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم بالإمامة والولاية،

---

(١) سورة الفتح الآية رقم ١١.

(٢) سورة المنافقون الآية رقم ١.

وسألناهم عن حسن ومشروعية أن يحزن الإنسان على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ويظهر عظيم رزيته وفداحة مصيبته، لأجابوك بما صرح به ابن كثير بقوله: (ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلعاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطمن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، على الحسين ابن علي، فلا جزاه الله خيرا، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء)[1].

وقال في موضع آخر: (وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم)[2]، ومن هذا النص يظهر ان انزعاج ابن كثير هو لأجل مساس هذه المراسم الشريفة في إقامة العزاء على سيد الشهداء بأرباب نعمته من بني أمية الشجرة الملعونة وقتلة أولاد الأنبياء.

وقال في مكان ثالث: (ولكنه لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

مأتما كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتما، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتما، ورسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتما يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك)[1].

وصرح ابن تيمية وبكل وقاحة ان الشيطان قد استغل مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واستشهاده، ليحدث البدع الشيطانية، ومن بدعه بزعم ابن تيمية إظهار الحزن والبكاء وقراءة مصيبته وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء، فقال هذا المخذول: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضي إلى ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب. وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٢١.

واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياح للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله... وأما ما ذكره من سبي نسائه والذراري، والدوران بهم في البلاد، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم سبي بني هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا، وفي الجملة، فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبي عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحة في بيته و أكرمهم وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة)[1].

وقد نقل الشيخ الأميني في سفره القيم الغدير عن الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان[2]: (قال في عقد الدرر واللآلئ ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه، فقد تشبه بالروافض، خصوصا إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين، وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض. وقال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى)[3].

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج٤ ص٥٥٤ دار النشر مؤسسة قرطبة، سنة النشر ١٤٠٦ رقم الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

(٢) ج٤ ص١٤٢كما في الغدير.

(٣) الغدير للشيخ الأميني ج ١٠ ص ٢١١.

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي ـ ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على السلطان ـ أهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بأن لا يفعلوا شيئا من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح وتغليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئا من ذلك ولله الحمد. وقد كان هذا الرجل من أهل السنة)[1].

وقال الذهبي: (أحداث سنة إحدى ستين وثلاثمائة أقامت الشيعة بدعة عاشورا ببغداد)[2].

وقال الذهبي أيضا: (حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فمن الحوادث فيها أن أبا الحسن علي بن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها، فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء، ومن تعليق المسوح، كان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة)[3].

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة...وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلعاء في يوم عاشوراء، من تعليق المسوح، وتغليق الأسواق، والنوح والبكاء في الأزقة، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة)[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٣٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٦ ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق ج ٢٧ ص ١٢.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٣٥.

فهل يبقى شك بعد كل هذا في عدم شمول قول الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ) لهؤلاء الذين يعلنون ويتجاهرون بأن إقامة المآتم وإظهار الحزن على مصيبة سيد الشهداء ورزيته بدعة شنعاء وحادثة صلعاء تستحق وبلا خوف من الله سبحانه أن يخرج عليهم أتباعهم بالحديد ليقتلوهم شر قتلة، فانا لله وإنا إليه راجعون.

أما أصحاب المرتبة الثانية وهم من جمع بين ركيزتي التوحيد والنبوة وبين ركيزة الولاية والإمامة، فلا شك في دخولهم في قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ) فقد شهد القاصي والداني والمخالف قبل الموالف بأنهم بالغوا وحق لهم أن يبالغوا في إظهار عظيم مصيبة إمامهم المظلوم صلوات الله وسلامه عليه وجلل مصابه ومصاب أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحملوا في سبيل إظهار ذلك شتى ألوان القهر والاضطهاد ومختلف أنواع القتل والتعذيب والى اليوم.

وكيف لا يكون مصاب إمامهم عندهم جللا ومصيبته لديهم عظيمة، وهم من خلق من فاضل طينتهم وعرفوه وأهل بيته والأئمة من ولده حق معرفته ومعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما أصحاب المرتبة الثالثة من النبيين والمرسلين وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد وردت الأحاديث المستفيضة التي توجب الاطمئنان بأن الله سبحانه وتعالى قد عرض عليهم ما سيجري على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما ستفعله به أمة جده ممن تسربلت بالإسلام وكررت الشهادتين باللسان دون الجنان، وأظهر هؤلاء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شديد الحزن وعظيم

الوجد والتأثر، فكانت مصيبته صلوات الله وسلامه عليه عليهم عظيمة، ورزيته في نفوسهم جليلة، فلا شك في شمولهم بقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ).

وقد أخرج الشيخ عبد الله البحراني في كتابه العوالم أخبارا يطول الوقوف عندها وذكرها في مثل هذا الاختصار، فمن يرد التفصيل فليرجع إلى الكتاب المومأ إليه.

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء

قلنا ان ضمير الجمع في كلمة (علينا) في قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا) قد يكون مرجعه إلى سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بإضافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهو افتراض منطقي بعد أن مرت علينا كلمة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده)[1] ولا أحد من الأولين والآخرين يعرف قيمة وقدر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقدر أولئك الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتصبح رزيته عليهم أعظم من كل الرزايا، ومصيبتهم به اجل من كل المصائب، ومن تتبع أقوال وأفعال الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم يجد عظمة المصيبة وحجم هول الرزية واضحا في أقوالهم وأفعالهم وانفعالاتهم، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما بين باك عليه لدرجة تقرح الجفون وبين معول كالثاكل لا يتهأ بطعام أو شراب قبل أن يمزجه بدموع عينيه أو دم جفونه، وفيما يأتي جملة من كلماتهم وبعض من أفعالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تبين وبوضوح ما قدمناه وأوضحنا معالمه:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ ص١٥٦.

منها: ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه بسنده عن: (سليمان بن عبد الله الخزاز الكوفي قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟، فقال: إن يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة.

فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟، فقال: بلى ان علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن

والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في آن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء، يوم بركة فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وانه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه حكم الله مما بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام يا بن عم وان ذلك لأقل ضررا على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا زعموا ان الحسين عليه السلام لم يقتل وانه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم فلا لائمة إذن على بني أمية ولا عتب على زعمهم، يا بن عم من زعم أن الحسين عليه السلام لم يقتل فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وعليا وكذب من بعده الأئمة عليهم السلام في أخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه...)[1].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائما نهاره وقائما ليله فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول: قتل ابن رسول الله جائعا قتل ابن رسول الله عطشانا فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل)[1].

وحدث مولى للإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه أن الإمام (برز يوما إلى الصحراء قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة لا إله إلا الله حقا حقا لا إله إلا الله تعبدا ورقا لا إله إلا الله إيمانا وصدقا ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه. فقلت: يا سيدي ما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل: فقال لي ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيا ابن نبي كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله سبحانه واحدا منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعا مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي)[2].

وكان صلوات الله وسلامه عليه: (إذا أخذ إناء بشرب الماء بكى حتى يملأها دمعا فقيل له في ذلك فقال وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقا للسباع والوحوش وقيل له إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا فقال نفسي قتلتها وعليها أبكي)[3].

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص١٢١.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص١٢٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٠٣ باب إمامة علي بن الحسين، وفي البحار ج٤٦ ص١٠٩ نقلا عن حلية الأولياء ج٣ ص١٣٨.

دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلا وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام. ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام منه فإذا كان يوم العاشر كان ذلك يوم مصيبته وحزنه وبكائه).

وعن الريان بن شبيب قال: (دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب، إن كنت باكيا لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله...يا ابن شبيب، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وأفرح لفرحنا، وعليك بولايتنا...)[1].

وفي الزيارة التي خرجت عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه: (...السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص١٩٢ حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب... فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلا: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك. فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها، والجنان وخزانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها، والبحار وحيتانها، ومكة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام...)[1].

ولو سردنا كل كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومواقفهم ودعوتهم للشعراء وإقامة مجالس العزاء في بيوتهم الطاهرة وشديد بكائهم وعظيم جزعهم لطال بنا المقام، فنكتفي بما أوردنا ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما خصص لجمع هذه الأخبار المفجعة المؤلمة من كتب الأعلام رضوان الله تعالى عليهم.

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٥٠٠ ـ ٥٠٦.



وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

١: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ

٢: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام

أولا: تصريح السيدة زينب ببكاء السماء دما يوم عاشوراء

ثانيا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين ﵇ في كتب الإمامية

ثالثا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين ﵇ في كتب أهل السنة

رابعا: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكي الحيوانات والجمادات؟

أولا: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

ثانيا: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي. وكراماته

ثالثا: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

رابعا: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي

خامسا: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب



وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

قد مر إثبات صدور هذه الفقرة في أثناء إثبات صدور الفقرة السابقة من هذه الزيارة الشريفة لذلك لم نرَ من الضروري التكرار لان فيما مر كفاية لمتدبر.

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

١: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ

تقدم في شرح الفقرة السابقة من الزيارة معنى (جلت) و(عظمت) و(مصيبتك) وبقي هنا أن نعرف معنى:

السماوات: وهي جمع سماء والسماء كما عرفها الفراهيدي: (سقف كل شيء، وكل بيت)[1].

وقال الجوهري: (السماء يذكر ويؤنث أيضا، ويجمع على أسمية وسماوات. والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء)[2].

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ٣١٩.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٣٨١ ـ ٢٣٨٢ مادة سما.

وقال ابن منظور: (وسماء كل شيء: أعلاه، مذكر. والسماء: سقف كل شيء وكل بيت. والسماوات السبع سماء، والسماوات السبع: أطباق الأرضين، وتجمع سما وسموات. وقال الزجاج: السماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو. وكل سقف فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب السماء لأنها عالية، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء. والسماء التي تظل الأرض أنثى عند العرب لأنها جمع سماءة)[1].

وأما المعنى الشرعي للسماء فهو وان كان مبهما وخافيا في كثير من تفاصيله فلا يعلم ما فيها، ومن فيها، ولا من أي شيء هي، ولا ما هي ماهيتها، ومن بالتحديد سكانها وعمارها، إلا ان الآيات الشريفة، ذكرت على سبيل الإيجاز والإشارة عدة من الحقائق المهمة، والتي ترسم صورة إجمالية عن السماء وحقيقتها، وبالمقدار الذي يحتاجه الإنسان، وتركت الباقي مبهما، لعدم حاجة عالم التكليف إليه، إذ لو علم الله سبحانه ان للتفصيل أهمية يمكن أن تنفع الإنسان في عالم تكليفه وتكامله وترقيه، لتفضل عليه بإطلاعه عليه، واليك فيما يأتي جملة من تلك الحقائق القرآنية:

فهي كالأرض من جهة أنها كانت عدماً ثم أوجدها الله سبحانه ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

وإنها كالأرض منقادة لإرادة الله وسلطانه هي ومن فيها كما قال تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[4].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١١٧.

(٣) سورة المائدة الآية رقم ١٢٠.

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٣.

وإنها ببديع صنعها وكثرة أسرارها جعلها الله سبحانه وتعالى آية تدل على بديع صنعه وترشد إلى وجوده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١)، وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٢).

وانها سبع سماوات يعلو بعضها على بعض كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

وانها مخلوقة هي والأرض في ستة أيام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤).

٢: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

على جميع: بينا في شرح الفقرة السابقة من الزيارة ان (جميع) بمعنى (كل).

أهل السماوات: وهم سكان السماوات بحسب الظاهر، فيشمل الملائكة وبقية أصناف الروحانيين، وأرواح الأنبياء والأوصياء، وأرواح المؤمنين، وما لم يصلنا خبره ولم نحط به علما من خلق الله وإبداعه.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم١٩١.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٢٩.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٥٤.

ولا يشترط ان يكون الموجود السماوي موجودا في السماء حتى يقال له بأنه من أهل السماء، فلو كان الموجود أصله وعالمه هو السماء لكنه مأمور بالمكث في الأرض لحكمة إلهية، فهذا المكث في الأرض لا يخرجه عن كونه من أهل السماء، كالملائكة الموكلين بعمارة الأرض أو المكلفين بكتابة أعمال العباد أو الماكثين والحافين والمحدقين والعاملين في حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهؤلاء وغيرهم لا يخرجهم مكثهم في الأرض عن كونهم من أهل السماء فيكونون مشمولين بهذه الفقرة من الزيارة.

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام

لم تقتصر مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على من تقدم ذكرهم في الفقرة السابقة من البشر، بل تعدى اثر مصيبته وجلل رزيته إلى سائر أجزاء الوجود، وتأثر الكون برمته، ومن يتتبع الروايات والنصوص التاريخية التي ذكرت هذا التفاعل الكوني مع مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يجد ان بعد عظيم مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وجليل رزيته أصبح هنالك تغيير كوني واضح وقد امتد هذا التغيير إلى يومنا الحاضر وسيستمر إلى يوم القيامة ليحكي للأجيال عظيم ما وقع وجليل ما ارتكب، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أولا: تصريح السيدة زينب ببكاء السماء دما يوم عاشوراء

ان أول من أشار وبكل صراحة إلى تفاعل السماء مع مصيبة سيد الشهداء بالبكاء عليه دما هي السيدة زينب العقيلة بنت علي صلوات الله وسلامه عليه، فقد جهرت بهذه الحقيقة في خطبتها التي ألقتها في الكوفة بعد أن أحضرهم إلى الكوفة عدو الله عبيد الله بن زياد لعنه الله، فعن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير قال: (قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهما السلام

بالنسوة من كربلاء ومعهم الأجناد محيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدبن...قال: ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكتت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل... ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[١] ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعجبتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى...)[٢]، وفي كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي أنها صلوات الله وسلامه عليها قالت: (...أفعجبتم ان تمطر السماء دما...)[٣].

وفي قولها صلوات الله وسلامه عليها هذا عدة ملاحظات يجب التنبيه عليها:

الملاحظة الأولى: ان في قولها هذا تصريحاً واضحاً بوقوع تفاعل كوني لم يكن معهود الوقوع من قبل، وهذا التفاعل الكوني الجديد هو ما عبرت عنه صلوات الله وسلامه عليها بقولها: (أفعجبتم أن قطرت السماء دما).

الملاحظة الثانية: ان هذا الحدث الكوني قد استغربه الناس عامة وتعجبوا من وقوعه وحصوله، وما تعجب الناس هذا الحدث الكوني إلا لغرابته وعدم إلفته، إذ لو كان معهودا لديهم ومعروفا وقوعه في زمانهم أو الأزمنة القريبة عليهم لما لزم من وقوعه أي تعجب.

---

(١) سورة مريم الآية رقم ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ص ٣٢١ ـ ٣٢٣، وراجع أيضا بلاغات النساء لابن طيفور ص ٢٤.

(٣) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٣١.

الملاحظة الثالثة: عدم رد الناس عليها صلوات الله وسلامه عليها ومخالفة قولها أو محاولة تكذيبها حاشاها من كل زلل، دليل آخر على وقوع مثل هذا الحدث الكوني المهم، إذ لو كان كلامها صلوات الله وسلامه عليها غير مطابق للواقع لوجدت العشرات من أتباع ابن زياد لا يتوانون في الوقوف بوجه مقالتها وتكذيبها علانية، لمحاولة سلب شرعية أقوالها وليحولوا بينها وبين تأثيرها في الناس.

الملاحظة الرابعة: في قولها صلوات الله وسلامه عليها: (ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم «لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا» ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعجبتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى) ثلاثة مداليل مهمة:

ألف: أرادت الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها من خلال كلماتها هذه تبيان سبب وقوع هذه الحادثة الكونية الغريبة، فسفك هذه الأمة لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الذي سبب هذا التغير الكوني الرهيب.

باء: أرادت صلوات الله وسلامه عليها أن تظهر منزلة وعظمة دم الإمام الحسين عليه السلام من خلال تأكيدها على ان الدم الذي جرى في يوم عاشوراء، والكبد الذي اصطلى من العطش ومن السهام وطعنات السيوف والرماح هو دم رسول الله وكبده قبل أن يكون دم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكبده، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما هو ثابت في أحاديث جميع فرق المسلمين بضعة من رسول الله وجزء لا يتجزأ منه وكيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وآله القائل (حسين مني وأنا من حسين)[1].

جيم: إن بكاء السماء دما يحمل في طياته معنيين فهو غضب إلهي على كل من

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١١٦، ومسند أحمد بن حنبل ج٤ ص١٧٢.

اشترك وساهم وأعان ورضي بإراقة دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفري كبده الشريف، وهو حزن للسماء وسكانها ومن فيها على ما ارتكب في حق ولي الله الأعظم من الجرائم والجرائر التي يندى لها جبين الأحرار.

ثانيا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية

منها ما عن الشيخ الطوسي في أماليه قال: (حدثني بذلك محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي صلوات الله عليهما: ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج علي ابن الحسين عليهما السلام بالنسوة، ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء)[1].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها)[2].

وعن يونس وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر قالوا: (سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما مضى الحسين بن علي عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان)[3].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ١٦٥ الباب ٢٦ بكاء جميع ما خلق الله على الحسين بن علي عليهما السلام الحديث رقم ١.

(٣) المصدر السابق ص١٦٦ الحديث رقم ٦.

منها ما روي عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه حين رجوعه إلى المدينة بعد رحلة السبي حينما اجتمع له الناس فخطبهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون...)[1].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى)[2]وسيأتي ذكر للمزيد لاحقا.

ثالثا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة

قال عبد الكريم الرافعي: (اشتهر أن قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كان يوم عاشوراء وروى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل الحسين رضي الله عنه كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي)[3] أي ظننا انها القيامة.

وقال محيي الدين النووي في روضة الطالبين: (فقد صح أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله، وروى الزبير بن بكار في الأنساب: أنه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول. وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أن قتل الحسين رضي الله عنه كان يوم عاشوراء. وروى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٩١ المقصد الثالث من الأمور اللاحقة لقتله وشرح سبي ذريته وأهله.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١٦٦ الباب ٢٦ بكاء جميع من خلق الله على الحسين بن علي عليهما السلام.

(٣) فتح العزيز لعبد الكريم الرافعي ج ٥ ص ٨٣ ـ ٨٤.

الحسين، كسفت الشمس)[1].

وقال محمد بن احمد الشربيني: (وقد صح أن الشمس كسفت يوم مات سيدنا إبراهيم ابن النبي.، وفي أنساب الزبير بن بكار أنه مات عاشر ربيع الأول، وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أنها كسفت يوم قتل الحسين، وأنه قتل يوم عاشوراء)[2].

وقال الدسوقي: (إن الرافعي نقل أن الشمس كسفت يوم مات الحسين وكان يوم عاشوراء، وورد أنها كسفت يوم مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكان موته في العاشر من الشهر عند الأكثر)[3].

وقال البيهقي: (وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبأ عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني أبو الأسود النضر بن عبد الجبار أنبأ ابن لهيعة عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي)[4].

وعن الهيثمي في مجمع الزوائد قال: (وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي. رواه الطبراني وإسناده حسن)[5].

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام

---

(١) روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج ١ ص ٥٩٨.

(٢) مغني المحتاج لمحمد بن أحمد الشربيني ج ١ ص ٣٢٠.

(٣) حاشية الدسوقي للدسوقي ج ١ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٣٧.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٩٧.

والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله. وقيل: إنه لم يقلب حجر ببيت المقدس يومئذ إلاّ وجد تحته دم عبيط، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلّم رجل في الحسين بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره)[1] قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)[2].

وأخرج الطبراني بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال: (ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم، رضي الله عنه)[3] قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)[4].

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (وعن الزهري قال: قال لي عبد الملك أي واحد أنت إن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط فقال لي عبد الملك إني وإياك في هذا الحديث لقرينان. رواه الطبراني ورجاله ثقات)[5].

وعن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن علي بن محمد عن علي بن مدرك عن جده الأسود بن قيس قال: (احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى ذلك في آفاق السماء كأنها الدم قال فحدثت بذلك شريكا فقال لي سألت من

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٠، ترجمة يزيد بن معاوية، دار الكتاب العربي.
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦ باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام.
(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١٣ ذكر مولده وصفته.
(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦ باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام.
(٥) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٩٦.

الأسود قلت هو جدي أبو أمي قال أما والله إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرما للضيف)[1].

وقال الزرندي الحنفي: (ونقل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب التبصرة عن ابن سيرين قال: لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة في السماء. وقال أبو سعيد ما رفع حجر في الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دما بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت. وقال سليم القاضي لما قتل الحسين مطرنا دما. وقال السدي: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل على غضبه وهو إمارة الشخص، الحق سبحانه وتعالى ليس بجسم فأظهر تأثير عظمته على من قتل الحسين بحمرة الأفق وذلك دليل على عظيم الجناية. وقال أيضا: لما أسر العباس يوم بدر سمع النبي أنينه فما نام تلك الليلة، وكيف لو سمع أنين الحسين. وقال: لما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي: غيب وجهك عني فاني لا أحب من قتل الأحبة، قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين، أو أمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال)[2].

وقد تركنا ذكر واستقصاء كل ما ذكر للاختصار ومن يشأ فليرجع إلى الكتب التي ذكرت هذه الوقائع العظام والحوادث الجسام وهي بحمد الله كثيرة[3] وجميعها شاهد ناطق بصحة ما جاء في زيارة عاشوراء.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٤ ص ٢٢٧.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٣) راجع على سبيل المثال: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٤ ص ٢٢٥ ـ ٢٣٠، وتهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣١٢ ـ ٣١٦، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣٥٣ ـ ٣٦٣، وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٩٠ وما بعدها.

رابعا: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

لقد أعمت العصبية بصيرة ابن كثير الدمشقي الأموي، وابن تيمية الحراني فكذبا جميع ما تم تصحيحه من قبل علماء العامة قبل الخاصة، ولكنهم ولله الحمد لم يقدموا دليلا واحدا على رفضهم واستنكارهم لبكاء السماء دما وغيرها من الحوادث الاليمة المفجعة واكتفوا بكلمات التشنيع والقدح والذم للشيعة ولمن يقول بقولهم، وهو دليل على ضعف حجتهم ومستوى أخلاقهم ومكانتهم العلمية والفكرية، لان العالم يواجه الحجة بالحجة والجاهل المتعصب يرد الحجة بالنباح والصياح والسب والشتم، وهذا هو ما صدر من ابن كثير وابن تيمية، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر الى قول ابن كثير حيث يقول: (... إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء. وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمر وزنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة، وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه)[1].

وقال في موضع آخر: (وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ، وهو ضعيف، وتغيير آفاق السماء، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحال رمادا، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال)[1].

وقال في موضع ثالث: (وقد ذكر الطبراني ههنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا، وأمطرت السماء دما أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة: عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء)[2].

وقال ابن تيمية: (إن كثيرا مما روي في ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دما، ومثل كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وكذلك قول القائل: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط هو أيضا كذب بين)[3].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢١٩.

(٣) منهاج السنة النبوية ج٤ ص٥٦٠.

أقول:

بل الكذب البين هو تكذيب ابن كثير وابن تيمية لتلك النصوص الصحيحة، وما مر من تصحيح علماء السنة لتلك النصوص المثبتة لوقوع البكاء من السماء على مصيبة سيد الشهداء وغيرها من الانفعالات الكونية حجة عليهما، ومن عرف منهج وأسلوب وحقد كل من ابن كثير وابن تيمية لا يستغرب عليهما إنكارهما لمثل هذه الحقائق الواضحة الناصعة، فالحديث الكذب بالنسبة لهما كل ما تقول به الشيعة الإمامية أو يؤيد أفكارهم ومتبنياتهم، حتى لو كان ذلك الحديث بحسب الموازين الرجالية صحيحا ورجاله ثقات، وأما الحديث الصحيح برأيهما فهو كل حديث يقدح بالشيعة ويؤدي إلى مس كرامتهم وعقائدهم حتى وان كان هذا الحديث ساقطاً من حيث الاعتبار السندي والرجالي.

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكي الحيوانات والجمادات؟

جاءت الروايات ناطقة وموضحة بأن الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أثر مقتله في سائر أجزاء الكون إنسها وجنها سمائها وأرضها وكل ما فيهما من الحجر والمدر والحيوان والشجر، وقد مرت نصوص تشير إلى هذا المعنى بوضوح.

وليس لأحد يؤمن بآيات القرآن وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الاعتراض على بكاء الوحوش والحيتان والطير، أو السماوات وكواكبها، أو الأرض وأشجارها، أو البحار وأمواجها، لان القرآن الكريم وأحاديث النبي وأقوال علماء المسلمين بجميع طوائفهم، صرحت بوقوع هذه الأشياء أو قريب منها، وفيما يأتي جملة من تلك الموارد:

أولا: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

قال الله سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

قال السيد المرتضى في توضيح هاتين الآيتين: (إن في الناس من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يكون الهدهد وما أشبهه من البهائم كامل العقل، وهو على ما هو عليه من الهيئة والبنية، وعد ذلك في جملة المستحيل، وهذا ليس بصحيح ولا دلالة عقلية تدل على ذلك. ومن أين لنا أن بنية قلب الهدهد وما جرى مجراه لا تحتمل العلوم التي هي كمال العقل، وإذا كان العقل من قبل العلوم والاعتقادات، وقلب البهيمة يحتمل الاعتقادات لا محالة، بل كثيرا من العلوم وإن لم يكن تلك العلوم عقلا. فأي فرق بين العلم الذي هو عقل، وبين العلم الذي ليس بعقل في احتمال القلب له؟ وما احتمل الجنس الذي هو الاعتقاد، لا بد أن يكون محتملا للنوع الذي هو العلوم)(٣).

---

(١) سورة النمل الآية رقم ١٧ ـ ١٩.

(٢) سورة النمل الآية رقم ٢٠ ـ ٢٤.

(٣) رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج ١ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

وقال ابن قتيبة: (قال أبو محمد ونحن نقول إن المعتقد أن الهوام والسباع والطير لا يجوز عليها عصيان ولا طاعة مخالف لكتاب الله عز وجل وأنبيائه ورسله وكتب الله المتقدمة؛ لان الله تعالى قد أخبرنا عن نبيه سليمان عليه السلام أنه تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، أي بعذر بين وحجة في غيبته وتخلفه ولا يجوز أن يعذبه إلا على ذنب ومعصية والذنوب والمعاصي تسمى فسوقا وما جاز أن يسمى عاصيا جاز أن يسمى فاسقا، ثم حكى الله تعالى عن الهدهد بعد أن اعتذر إلى سليمان فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم... وهذا لو كان من أقاويل الحكماء بل لو كان من كلام الأنبياء لكان كلاما حسنا وعظة بليغة وحجة بينة فكيف لا يجوز على هذا مطيع وعاص وفاسق ومهتد وقد حكى الله تعالى أيضا عن النمل ما حكاه في هذه السورة، فقال: وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، فجعلها تنطق كما ينطق الناس وقال حتى أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل، الآية، فجعلها تنطق كما ينطق الناس، وقال وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال يا جبال أوبي معه والطير، أي سبّحي...)[1].

أقول: وتحذير النملة لباقي النمل من جيش نبي الله سليمان صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وأمرها لهن بدخول مساكنهن، ومعرفتها بأن هذا الذي أمامها هو نبي الله سليمان صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وان أولئك الذين خلفه هم جيشه وأفراد جنوده، فيه دلالة قاطعة على أنّ لها مستوى من الإدراك والعقل، وان كان ليس بمستوى العقل والإدراك الذي منحه الله سبحانه للإنسان، بل وربما كان فهمها وعقلها وإدراكها لبعض

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٢٩ ـ ١٣٣.

الحقائق الكونية يفوق ويعلو على فهم وإدراك وعقل كثير من جهال البشر.

وليست النملة بأعجب حالا من الهدهد في قصة سليمان السابقة الذكر، والذي كان يدرك المدينة التي كان فيها ويعرف اسمها حيث قال﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، ويعلم أن لهذه المدينة ملكة لا ملكا، وانها محاطة بشتى أنواع النعم والقوة والمنعة وان لها عرشاً عظيماً ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، وانها وأهل تلك المدينة يعبدون ويسجدون لغير الله سبحانه وبالتحديد للشمس ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقد تعجب لفعلهم هذا، لأنه يخالف قانون الفطرة، وان هذا الانحراف عن فطرة التوحيد وعبادة الله سبحانه سببه الشيطان فهو الذي زين ذلك إليهم فصدهم بتزيينه هذا عن السبيل فصاروا باتباعه لا يهتدون، ثم يتساءل مستفهما ومستنكرا لفعلهم بقوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] فهل يصح كل تلك الأقوال والأفعال والاعتقادات إلا ممن له مرتبة من الكمال والعقل والإدراك والفهم، تفوق مرتبة من يسجد للشمس من دون الله سبحانه.

ثم انظر إلى أسلوب وطريقة كلام نبي الله سليمان معه من خلال قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2] فهل يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب من لا يعقل شيئا، وليس له إدراك وفهم.

ثم هل يصح من نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم وهو الحكيم والمعصوم أن يرسل بيد الهدهد كتابا إلى تلك الملكة وقومها قائلا له: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[3] ويحمله من المضامين أشدها أهمية: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ

(١) سورة النمل الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة النمل الآية رقم ٢٧.

(٣) سورة النمل الآية رقم ٢٨

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1]، لو لم يكن صلى الله عليه وآله يعترف مسبقا بعقل ذلك الحيوان وإدراكه وفهمه.

وبالجملة لا يصح بعد كل هذا التوضيح أن ينكر بعض من لا يتحمل عقله ولا تطمئن نفسه إلى هذه الحقائق القرآنية شعور وإدراك الحيوانات وان لها مرتبة من الكمال والتعقل تتناسب وعالمها وليس بالضرورة ان تكون بمستوى عقل وفهم وإدراك الإنسان السوي، لكنها أو بعضها ربما تحمل من الإدراك والتعقل ما يتصاغر أمامه عقل وإدراك وشعور كثير من جهلة أبناء آدم.

اذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟

وربما يحلو للبعض القول بأن لو كان للحيوان أو الشجر أو غيرهما من باقي الموجودات الأخرى عقل وإدراك لكلفوا بتكاليفنا، وأمروا ونهوا وأثيبوا وعوقبوا مثلنا.

ويجاب عن هذا الإشكال: بأن مشكلة كثير من الناس هي انه يقيس كل الأشياء على نفسه فإذا ما قال الله سبحانه مثلا يد الله فوق أيديهم تصور أن لله سبحانه يداً ووجهاً ورجلاً وغير ذلك من التجسيم الذي أساسه قصور العقل وقلة الفهم، وكذلك حينما يقال أن للحيوان حظّاً ونصيباً من التعقل والإدراك تتناسب وعالمه فانه يقيس ذلك على نفسه ويتصور ان الحيوان له قدرة عقلية مثل قدرة الإنسان العقلية في ضرب الأعداد مثلا وتقسيمها وإخراج جذور الأرقام ووضع الخرائط الهندسية وإجراء البحوث العلمية المعقدة وغير ذلك، غافلا عن ان هذا

(١) سورة النمل الآية رقم ٣٠ ـ ٣١.

المستوى الرفيع من العقل إنما خص الله سبحانه به الإنسان دون غيره وعلى هذا المستوى العقلي اجري التكليف، والحيوان اقل من مستواه العقلي بكثير قطعا، فلذلك لم يكلف بتكاليفنا، أو انه قد كلف ولكن بتكاليف تتناسب ومرتبته الكمالية، ألا ترى أن كل شيء في الوجود يسبح لله سبحانه قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1] ولعل هذا التسبيح هو إشارة إلى نوع من أنواع التكليف قد خفي علينا خبره وتفصيل حاله، ولعل الآية بصدد تبيان أن الوجود كله مأمور بالطاعة والانقياد لله سبحانه، ولكل فرد من أفراده تكليفه الخاص به ولكن لا تفقهون تكليفهم.

وكذلك الحال بشان إثابتها أو عقابها فانه قد ورد في الأثر ان الحيوانات تحشر قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[2] وتعرض للحساب حتى يقتص الله للجماء من القرناء[3] ثم يقول لها كوني ترابا فترجع ترابا، وهذا المستوى من الإثابة أو العقاب إنما يتناسب ومستواها ومرتبتها الكمالية.

وعلى هذا الأمر نقيس بقية أجزاء الكون، من الأرض والحجر والشجر وغير ذلك، فان للكل إدراكاً يتناسب ومراتبها الكمالية، وقد ورد في الأثر ان كل ما في الكون يشهد للإنسان بالخير يوم القيامة، وكذلك يشهد عليه إن قد أساء وأذنب عليها أو بقربها، فالأرض تشهد له بالطاعة، وبقاع الأرض يفتخر بعضها على بعض لان مؤمنا قد صلى عليها، فهل يصح أن يشهد من لا يدرك، أم هل يتفاخر من لا يعقل، وسيأتي ذكر الجذع الذي كان يخطب عنده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٤٤.

(٢) سورة التكوير الآية رقم ٥.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧ ص٩٢ الباب الخامس صفحة المحشر.

بني له ﷺ المنبر تركه فصار الجذع يئن ويصرخ كما يصرخ الصبي وما هدأ إلا حين احتضنه النبي الأعظم ﷺ، ولا ننسى قبل كل ذلك قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]، فالتسبيح لا يصدر إلا ممن له إدراك، ولو لم يكن المسبح مدركا للشيء المسبح له او المسبح به لصار فعلا لغويا لا يستحق من الباري الذكر في محكم كتابه العزيز، ولكن كما كررنا مرارا المشكلة في الإنسان انه ينكر كل ما لا يدركه بحواسه، لذلك اخبر القرآن بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) كي لا يكون عدم إدراكنا لهذه الحقائق دليلاً على إنكارها وقد جاء التصريح بها في القرآن الذي فيه تبيان كل شيء.

ثانيا: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي. وكراماته

قال الحلبي في السيرة الحلبية عند استعراضه لمعاجز النبي الأعظم. وكراماته والتي اخترنا منها ما يتناسب والمقام الذي نحن فيه: (ومنها شهادة الشجرة له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت إلى منبتها[2].[3]

ومنها مجيء الشجرة إليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لتظله وتسلم عليه فقد

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٤٤.

(٢) أورد هذا الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد في ج٨ ص٢٩٢ وقال: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)، ورواه ابن حبان في كتابه صحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٣٦ في شهادة الشجر للمصطفى.

(٣) أقول: وقد اجتمعت كلمة المسلمين على قبول شهادة العاقل المدرك لألفاظ الشهادة العالم بموضوعها، وقبول النبي. بشهادة الشجرة ودعوتها للشهادة له بالنبوة دليل على ان لها مستوى من التعقل والإدراك يؤهلها لتلك الشهادة.

جاء أنه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم نام أي في الشمس فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه لما استيقظ ذكر له ذلك فقال هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم علي فأذن لها[1].[2]

ومنها حنين الجذع إليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كما تقدم[3].[4]

---

(١) راجع أيضا تهذيب الكمال للمزي ج١ ص٢٣٧، والوافي بالوفيات للصفدي ج١ ص٨٢، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٦٠ في ذكر نبذة من معجزاته عليه السلام.

(٢) وفي هذا المقطع عدة من المعاني الدالة على المطلوب، منها ان الشجرة كانت تدرك أن هذا النائم هو رسول الله.، وتدرك انه. نائم في الشمس، وتدرك ان الشمس تؤذيه، وتدرك ان أغصانها يمكن ان تريح النبي. فيما لو صارت حائلا ما بين الشمس وبينه.، وتدرك انها لكي تتحول من مكانها وتتحرك عن موضعها لابد ان تستأذن الله سبحانه لعلمها ان الله سبحانه وحده من يملك هذه القدرة، فاخبرونا يا أولي الألباب أليس العقل والإدراك إلا هذا.

(٣) أخرج البخاري في ج٤ ص١٧٣: (حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان حدثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء قال سمعت نافعا عن ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه) وقد أخرج أيضا في نفس الصفحة قوله (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فاجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه تأن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها) وقال في ص١٧٣ ـ١٧٤ من نفس هذا الجزء: (عن يحيى بن سعيد قال أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس ابن مالك انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت).

(٤) أقول وليس فراق النبي. لجذع الشجرة بأعظم من قتل ابنه فإذا كان الجذع قد حن وصاح كالصبي لمجرد فراق النبي له. أفلا يحق للأرض والسماء والبحار والأشجار أن تبكي الحسين وتحن عليه وتبكي لعظيم رزيته وجليل مصيبته وفادح ما نزل به فلماذا جوزتم تلك واستعظمتم هذه مع ان مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورزيته ومحنته أعظم وأدهى وأمر.

ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قلة العلف وكثرة العمل[1].

ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها[2].[3]

ومنها سجود البعير له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الذي استصعب على أهله وصار كالكلب لا يقدر أحد أن يقرب إليه[4].

---

(١) قد رويت روايات كثيرة في شكاية الحيوانات لرسول الله. أيام كان في المدينة منها ما أخرجه احمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ١٧٠ ـ ١٧١ قال: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي... وكنت عنده جالسا ذات يوم إذ جاءه جمل يخبب حتى صوب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال ويحك أنظر لمن هذا الجمل ان له لشأنا قال فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال ما شأن جملك هذا فقال وما شأنه قال لا أدري والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه قال فلا تفعل هبه لي أو بعنيه فقال بل هو لك يا رسول الله قال فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص٦: (رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح).

(٢) راجع مسند أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود الطيالسي ص٤٤، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٥٠، وفي الأدب المفرد للبخاري ص٨٨ عدم تكرار (رده رده رحمة لها).

(٣) وفيه كما لا يخفى إشارة واضحة إلى معرفة هذا الطائر بشخص النبي. وكذلك معرفته بتأثيره في أصحابه وان لا احد يستطيع أن يرجع إليها فراخها أو بيضها غيره. وهل يكون العقل والإدراك إلا هذا.

(٤) نقل احمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٣١٠عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلاّ شدّ عليه قال فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء حتى أتى الحائط ←

ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم في بعض حوائط الأنصار(١).

ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادعاه ففي المعجم الكبير للطبراني(٢) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فبصرنا بأعرابي آخذاً بخطام بعيره حتى

→

فدعا البعير فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هاتوا خطاما فخطمه ودفعه إلى صاحبه قال ثم التفت إلى الناس قال إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص٧: (رواه احمد ورجاله ثقات).

أقول: ولا يخفى ما في هذا الحديث من الإشارات المهمة الدالة على المطلوب والتي منها ان كل الموجودات تعرف النبي. وانه رسول الله وهو موافق لما روي عند الإمامية بان الولاية للرسول والإمام عرضت على كل شيء وعليه فإذا كانت الموجودات تعرف النبي. فإنها تعرف الإمام كذلك، وإذا كانت تسجد للنبي. فإنها كذلك للإمام ولمعرفتها بمنزلة النبي والإمام تأثرت حين استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

(١) راجع إمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٢٤٧ رابع وسبعون سجود الغنم له. قال: (وأما سجود الغنم له، فخرج أبو نعيم من حديث جعفر بن محمد الفريابي قال: أخبرنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا عباد بن يوسف الكندي، أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر في رجال من الأنصار، وفي الحائط غنم فسجدن له، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم ، فقال: إنه لا ينبغي من أمتي أن يسجد أحد لأحد، لو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. وراجع أيضا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص٣١٢ فصل في الآيات في ضروب الحيوانات، وراجع أيضا كتاب سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج٩ ص٥٦١ جماع أبواب معجزاته. الباب الخامس في سجود الغنم له.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٥ ص١٤١ويوجد اختلاف في بعض ألفاظ الرواية فيما بين رواية الحلبي هنا وبين ما هو موجود في معجم الطبراني فتنبه.

وقف على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وجاء رجل آخر كأنه حرسي فقال الحرسي يا رسول الله هذا الأعرابي سرق سرب البعير[1] فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هدأ البعير اقبل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال للرجل انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على الأعرابي فقال أي شيء قلت حين جئت لي قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقي صلاة وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إن الله عز وجل أبداها لي والبعير ينطق بعذرك وإن الملائكة قد سدوا الأفق.

ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلطفت بالشهادتين فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول الله خلصني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال لها صيد قوم وربيطة قوم ثم استحلفها أن ترجع فحلفت له فحلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها[2].

---

(١) في المعجم الكبير للطبراني هكذا: (يا رسول الله هذا الغلام سرق البعير).

(٢) راجع فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٥ ص٤٠١ حرف اللام، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٥٠، وراجع أيضا سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج١٢ ص٤٠٦ الباب الرابع في ذكر من توسل به..

ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالرسالة[1])[2].

فليس على من نقل هذه الوقائع وأمثالها وما لم نذكره أكثر وأكثر ان يستغرب ويستنكر بكاء السماء والملائكة والحيوانات والبحار والجنة وما فيها على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ثالثا: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

اشتهر في الأخبار التي رواها الفريقان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة وأراد أن ينزل فيها ويستقر، صار يمشي في سكك المدينة ويطوف على بطونها وهو على ناقته، فصار صلى الله عليه وآله وسلم لا يمر على أهل حي من أحيائها أو بطن من بطونها إلا ويأخذوا بزمام ناقته ويعرضوا عليه النزول عندهم والاستقرار بقربهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم في كل ذلك يقول: (خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة) وفيما يأتي نصّان يوضحان هذه الحادثة بكامل تفاصيلها: ففي الكافي بسنده عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (...ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام ج١ ص٣٥١: (عن أبي سعيد الخدري قال: بينما راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني: رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة فزواها زاوية ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم قال: فأخبر الناس بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده. أخرجه الترمذي وقال: صحيح غريب. وقال عبد الحميد بن بهرام ومعقل بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري نحوه وهو حديث حسن صحيح الإسناد).

(٢) راجع السيرة الحلبية للحلبي ج٣ ص٣٥١ ـ ٣٥٣.

وعلي عليه السلام معه لا يفارقه، يمشي بمشيه وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلي عنده بالجنائز ـ فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل أبو أيوب مبادرا حتى احتمل رحله فأدخله منزله ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه حتى بني له مسجده بنيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام فتحولا إلى منازلهما)[١].

وفي تاريخ الطبري: (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ركب ناقته وأرخى لها الزمام فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا له هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خلوا زمامها فإنها مأمورة حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده)[٢].

أقول: وفي هذه الحادثة دليل قطعي على ان لناقته صلى الله عليه وآله وسلم إدراكاً لما تفعله وانها قابلة للتكليف؛ لان الحديث واضح فهو ينص على انها مأمورة وليس الآمر سوى الله سبحانه، ولكن يجب ان لا يغيب عن الذهن ما كررناه مرارا من ان التكليف ليس بالضرورة يكون بمستوى التكليف البشري وإنما يكلف كل موجود بما يتناسب ومستواه الكمالي.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ حديث إسلام علي عليه السلام.

(٢) تاريخ الطبري للطبري ج ٢ ص ١١٦، وراجع أيضا فتح الباري لابن حجر ج٧ ص١٩٢ باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وراجع أيضا الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٤٢.

وليس لأحد أن يفترض أنّ معنى مأمورة هو ان ملكا هو الذي كان يقودها، لان النبي صلى الله عليه وآله نسب الفعل إلى الناقة وأوكل مسؤولية تحديد المكان إليها، ولو لم يكن للناقة مدخلية في التحديد ولو كان هنالك ملك يقودها لما صار ضروريا ان تعلق مسألة نزول النبي على الناقة ولكان من الأنسب ان يقول النبي وبكل صراحة ان الملك بأمر الله أمرني أن انزل في المكان الفلاني.

رابعا: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله

قال ابن حجر في فتح الباري: (ولم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله وكان سبب ذلك ما حكاه الزبير ابن بكار في أخبار المدينة شوال إلى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل إليه المنبر فأمر به فقلع فأظلمت المدينة فخرج مروان فخطب وقال إنما أمرني أمير المؤمنين أن أرفعه فدعا نجارا وكان ثلاث درجات فزاد فيه الزيادة التي هو عليها اليوم ورواه من وجه آخر قال فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم)[1].

وقال المقريزي: (قال سفيان بن حمزة قال كثير فأخبرني الوليد بن رباح قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية في المنبر حتى رؤيت النجوم. وذكر الواقدي وغيره: أنه لما كانت سنة خمسين أمر معاوية بن أبي سفيان بحمل المنبر إلى الشام وقال: لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالمدينة... فلما حرك المنبر ليخرج من موضعه كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فترك المنبر على حاله... وذكر ابن زبالة من حديث عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٣٣١ باب التأذين عند الخطبة.

عوف عن أبيه قال: بعث معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة يأمره أن يحمل إليه منبر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عن ما وضعه فأمر به أن يقلع فأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة...وعن عبد الله بن زياد عن ابن فطن قال: قلع مروان بن الحكم منبر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكان درجتين والمجلس وأراد أن يبعث به إلى معاوية فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم...ولما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة هم بنقل المنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله أن تفعل إن معاوية حركه فكسفت الشمس)[1].

أقول: وليس إخراج منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام بأعظم من إخراج نساء رسول الله وحريمه وعترته سبايا يساقون إلى الشام، وليس نقل المنبر بأعظم من نقل رأس سيد الشهداء إلى ابن معاوية يزيد اللعين، فهل يحق للسماء أن تنكسف شمسها على نقل منبر صعد عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنكسف أو تبكي السماء على سبط النبي الذي طالما اعتلى منكب النبي وظهره وصدره الشريف.

خامسا: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب

لما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب ثار ولده عبيد الله بن عمر فقتل على الظنة والتهمة ثلاثة من الأبرياء غدرا وهم الذين ذكرهم الصنعاني بقوله: (فخرج عبيد الله ابن عمر مشتملا على السيف، حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني حتى ننظر إلى فرس لي، وكان الهرمزان بصيرا بالخيل، فخرج يمشي بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، ثم أتى جفينة، وكان نصرانيا، فدعاه، فلما أشرف له علاوة بالسيف، فصلب بين عينيه، ثم أتى ابنة أبي

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٠ ص ١٠٧ ـ ١٠٩ فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لؤلؤة، جارية صغيرة تدعي الإسلام فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتا في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبيا إلا قتلته وغيرهم، وكأنه يعرض بناس من المهاجرين)[1].

وعن ابن حجر ان المدينة قد أظلمت يومئذ ثلاثة أيام حيث قال: (...فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف فلما وجد حر السيف قال لا إله إلا الله ثم أتى جفينة وكان نصرانيا فقتله ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة فقتلها فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا...)[2].

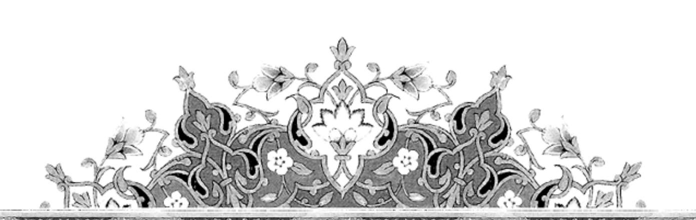
أقول: فإذا أظلمت الدنيا لقتل ابنة أبي لؤلؤة لأنها قد قتلت وهي صغيره لا ذنب لها فكيف لا تظلم لقتل عبد الله الرضيع يوم عاشوراء وقد ذبح عطشانا من الوريد إلى الوريد، والذي هو بشهادة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أكرم على الله من فصيل ناقة صالح وأعظم، وإذا كان لقتل الهرمزان وجفينة النصراني حرمة عند الله حيث بانت آثار مظلمتهم في السماء، فكيف لا تكون حرمة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاده وأصحابه وبناته أعظم واجل واكبر، وكيف لا تبين آثار مظلمتهم في السماوات والأرض وما فيهن وقد خلقن وما فيهن لأجلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإذا ذكرت مصابكم قال الأسى ... لجفوني اجتنبي لذيد كراك
وابكي قتيلا بالطفوف لأجله ... بكت السماء دما فحق بكاك
إن تبكهم في اليوم تلقاهم غدا ... عيني بوجه مسفر ضحاك
يا رب فاجعل حبهم لي جنة ... من موبقات الظلم والإشراك

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥ ص ٤٧٨ ـ ٤٨٠، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٩٧، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٨ ص ٦٢.

(٢) الإصابة لابن حجر ج ٥ ص ٤٣،



فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: فَلَعَنَ اللَّهُ ٢ : أُمَّةً ٣: أَسَّسَتْ أَسَاسَ

٤: الظُّلْمِ ٥: وَالْجَوْرِ ٦: أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

أهل البيت موازين رضا الله وغضبه

أمير المؤمنين ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

الزهراء ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

الحسين ميزان حساب الأمم يوم القيامة



فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث جديرة بالاهتمام نستعرض فيما يأتي بعضها:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ورد ذكر هذه الفقرة في عدة زيارات أخرى نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

منها: ما ورد في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان والتي جاء فيها: (بابي أنت وأمي ونفسي يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها بابي أنت وأمي ونفسي يا أبا عبد الله اشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق وبكتكم السماء والأرض

وسكان الجنان والبر والبحر...)[1].

ومنها: ما ورد في زيارة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه والتي ذكرها الشيخ الصدوق قدس الله روحه بقوله: (باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس ذكرها شيخنا محمد بن الحسن في جامعه فقال: إذا أردت زيارة الرضا عليه السلام بطوس فاغتسل عند خروجك من منزلك...ثم تجلس عند رأسه وتقول: السلام عيك يا ولي الله، السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض... السلام عليك يا أبا الحسن ورحمة الله وبركاته إنه حميد مجيد، لعن الله أمة قتلتك لعن الله أمة ظلمتك لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت)[2].

ومنها: ما في إقبال الأعمال للسيد بن طاوس قدس الله روحه من دعاء الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في يوم عرفة:

(...ثم تقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، السلام عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين. السلام عليك يا مولاي، أنت حجة الله على خلقه، وباب علمه ووصي نبيه والخليفة من بعده في أمته، لعن الله أمة غصبتك حقك، وقعدت مقعدك، أنا بريء منهم، ومن شيعتهم إليك. السلام عليك يا فاطمة البتول، السلام عليك يا

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ فصل (٥٣) فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان، وراجع أيضا المزار للشهيد الأول ص ١٤٢ ـ ١٤٤ زيارة أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان، وراجع أيضا المصباح للكفعمي ص ٤٩١ ـ ٤٩٢ زيارة أول ليلة من رجب ويومه ونصفه.

(٢) عيون أخبار الرضا الشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس.

زين نساء العالمين، السلام عليك يا بنت رسول الله رب العالمين صلى الله عليك وعليه، السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غصبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حلالا، أنا بريء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت في أمرك وشايعت أنا بريء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليك وعلى أبيك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباحت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا بريء إلى الله وإليك منهم...)[1].

وغير ذلك الكثير وقد تركنا الإطالة رغبة في الاختصار.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: فَلَعَنَ اللَّهُ

اللعن: هو وكما يقول الراغب الأصفهاني: (الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره)[2].

وقال الطريحي في مجمع البحرين: (واللعن: الإبعاد، وكانت العرب إذا تمرد الرجل منهم أبعدوه منهم وطردوه لئلا تلحقهم جرائره فيقال: لعن بني فلان)[3].

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٥٢ كتاب اللام وما يتصل بها.

(٣) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج٤ ص١٢٤.

وقال الفراهيدي: (اللعن: التعذيب، والملعن: المعذب...واللعنة: الدعاء عليه. واللعنة: الكثير اللعن، واللعنة: الذي يلعنه الناس...)[1].

واللعنة من الله سبحانه كما تقدم عن الراغب هو: (في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه).

٢: أُمَّةً

وردت لكلمة أمة عدة معانٍ ذكرت في كتب اللغة منها:

ألف: هي الجماعة من الناس[2] قال تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾[3]، أي وجد على الماء جماعة من الناس.

فيكون بذلك معنى الفقرة التي نحن بصدد شرحها هو: (اللهم اسخط وعذب واطرد من رحمتك الجماعة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت).

باء: وقد تطلق على الشخص المفرد الذي يدين بدين ما لوحده[4] كما سمى القرآن الكريم إبراهيم الخليل عليه السلام أمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[5].

فيصبح معنى الفقرة الشريفة من الزيارة: (اللهم العن واسخط وعذب واطرد من رحمتك الشخص الذي انفرد وأسس أساس الظلم والجور على أهل البيت).

---

(١) كتاب العين ج٢ ص١٤٢.

(٢) مجمع البحرين ج١ ص١٠٦.

(٣) سورة القصص الآية ٢٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٧.

(٥) سورة النحل الآية رقم ١٢٠.

جيم: وقد تطلق على الطريقة والدين[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾[2]، أي إنا على دينهم وطريقتهم مهتدون.

فيكون معنى الفقرة في الزيارة هو:

(اللهم العن الطريقة التي كانت أساسا لظلم أهل البيت عليهم السلام والتي بها خرج حقهم عن موضعه).

والطريقة التي أسست أساس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما لا يخفى هي التي سماها احد مؤسسيها بفلتة السقيفة، والتي كانت باب كل شر فتح على اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم، بل وعلى جميع أهل الإسلام.

دال: وقد تطلق على القدوة والإمام[3].

فيكون المعنى هو: (اللهم اطرد من رحمتك واسخط وعذب الذي كان قدوة لغيره وإماما يستن بسنته ويحتذى حذوه في الظلم والجور لأهل البيت).

وقد يكون هذا القدوة والإمام فرداً واحداً وقد يكونون جماعة، وهذا هو الفارق بين هذا المعنى والمعنى الثاني.

هاء: وقد تطلق على الحين والزمان[4] كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾[5]، أي وتذكر بعد حين ومدة من الزمن.

ومثل قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ

(١) الصحاح للجوهري ج٥ ص١٨٦٤.

(٢) سورة الزخرف الآية رقم ٢٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج١ ص٢٧.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٧.

(٥) سورة يوسف الآية رقم ٤٥.

لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] أي أخرنا عنهم العذاب إلى مدة من الزمن محدودة.

فيصبح المعنى: (اللهم أبعد ـ لان إحدى معاني اللعن هو الإبعاد ـ عن بركتك ورحمتك تلك الحقبة من الزمن وذلك الحين الذي أسس فيه الظلم والجور على أهل البيت)[2].

---

(١) سورة هود الآية رقم ٨.

(٢) والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل يمكن أن يلعن أو يبعد أو يوصف بالسوء الزمان والحين والأيام، مع أن الأيام لا ذنب لها والذنب ذنب الناس وبعبارة أخرى الذنب ذنب المظروف لا ذنب الظرف؟ ويمكن الجواب عن هذا الأمر بان الأيام في النصوص الشرعية تكتسب البركة أو السوء والنحوسة بسبب ما يقع ويحدث فيها، أو بسبب أمر خطير يقترن بها، ألا ترى إلى القرآن كيف يطلق ويصف اليوم الذي اهلك فيه عاد بأنه يوم نحس مستمر ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ❖إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ـ سورة القمر الاية١٨ـ١٩ـ.

ووصف أيام العذاب التي تصيب الكافرين قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ـ سورة الحج الآية ٥٥ ـ وصرحت الروايات الشريفة أيضا بأن بعض الأيام والأزمنة والساعات يمكن ان تكون أيام شؤم ونحس فحينما سُئل أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عن آخر أربعاء من الشهر لماذا صار يوم نحس وشؤم فقال صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: (آخر أربعاء في الشهور وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقي إبراهيم عليه السلام في النار ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق ويوم الأربعاء اغرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل قرية لوط عاليها سافلها ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الريح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلط الله عز وجل على نمرود البقة ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم... ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا... ويوم الأربعاء ادخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الأربعاء قال الله عز وجل لله إنا دمرناهم وقومهم أجمعين لله ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة ويوم الأربعاء عقروا الناقة ويوم الأربعاء أمطرت عليهم حجارة من سجيل ويوم الأربعاء شج وجه النبي صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته ويوم الأربعاء أخذت العمالقة التابوت) راجع جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٦ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

٣: أسَّسَتْ أساسَ

وهاتان الكلمتان مأخوذتان من (الأس) وهو كما عرفه الفراهيدي بقوله: (والأس: أصل تأسيس البناء، والجميع: الأساس، وفي لغة: الأسس، والجميع: الآساس، ممدود...وأسست دارا: بنيت حدودها، ورفعت من قواعدها)[١].

وقال الجوهري: (الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأسس مقصور منه. وجمع الأس إساس مثل عس وعساس، وجمع الأساس أسس مثل قذال وقذل، وجمع الأسس آساس مثل سبب وأسباب. وقد أسست البناء تأسيسا)[٢].

فيكون المعنى: (فلعن الله الأمة[٣] التي أصّلت منهج الظلم ورفعت قواعد الجور وبَنَتْ حدودهما عليكم أهل البيت).

وقد يطلق على الشيء الوطيد الثابت، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (أس: الهمزة والسين يدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت)[٤].

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة وطدت لظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثبتت قواعد الجور عليهم).

٤: الظُّلْم

قد يطلق الظلم على اخذ حق الغير، قال الفراهيدي: (والظلم: أخذك حق غيرك)[٥].

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ٣٣٤.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٣ ص ٩٠٣.

(٣) الأمة بكافة معانيها المتقدمة سواء الجماعة أو القدوة أو الإمام أو الطريقة.

(٤) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ١ ص ١٤.

(٥) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ٦٣.

وقد يراد من الظلم إزالة الحق عن جهته واخذ الإنسان ما ليس له، قال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث: (الظالم هو الذي يزيل الحق عن جهته ويأخذ ما ليس له)[1].

وقد يراد منه ما ذكره الجوهري بقوله: (ظلم: ...وأصله وضع الشيء في غير موضعه...وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم)[2].

فيكون معنى العبارة هو: (لعن الله امة أسست أساس إزالة الحق عن أهل البيت، وأخذت منهم ما ليس لها، ووضعته في غير موضعه الذي أراده الله سبحانه وأمر به).

٥: وَالْجَوْر

قد يقصد به ما يكون نقيض العدل، فيكون مرادفا للفظ الظلم، قال الفراهيدي: (الجور: نقيض العدل. وقوم جارة وجورة، أي: ظلمة)[3].

وقد يراد منه السير على الطريق غير السوي، فكل من حاد عن الطريق السوي المستقيم فهو جائر، قال ابن منظور: (والجور: ترك القصد في السير، والفعل جار يجور، وكل ما مال، فقد جار. وجار عن الطريق: عدل)[4].

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست أساس الظلم عليكم أهل البيت، وتركت طريقكم طريق الحق والاستقامة، وحادت عنه إلى الطريق الباطل فسارت على الطريق الجائر غير السوي).

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٥٨.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٧٧.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٦ ص ١٧٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ١٥٣.

وقد يطلق الجور على أصل الطريق أو الطريقة المائلة عن الاستقامة والموصوفة بالضلالة، قال الزبيدي في تاج العروس: (والجور: الجائر يقال: طريق جور، أي جائر، وصف بالمصدر. وفي حديث ميقات الحج، وهو جور عن طريقنا، أي مائل عنه ليس على جادته: من جار يجور، إذا ضل ومال)[1].

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست طريق الضلال المائل عن طريق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، والذي به هظم حق أهل البيت واستبيحت حرمتهم).

٦: أَهْلَ الْبَيْتِ

أطلق لفظ أهل البيت في اللغة على من يسكن البيت قال الفراهيدي: (وأهل البيت: سكانه)[2] وكذا قال ابن منظور[3].

ومن المتيقن ان الزيارة لا تقصد من لفظ أهل البيت هذا المعنى اللغوي، لان هذا المعنى قد يدخل فيه أزواج الرجل، وجميع أولاده، بل وخدامه وعبيده، لان الجميع يسكن البيت، وهو غير مراد في هذه الفقرة حتما.

والمتيقن انها بصدد قصد الخمسة من أهل الكساء المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4] وهم كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست أساس الظلم والجور على نبيه

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ٢١٧.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٤ ص ٨٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٢٩.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

الأعظم ورسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهجت غير نهجه وجارت عن طريقته وسنته إلى طريقة غيرهما، وابتدعت سنة جائرة حائدة عن الحق مضلة للأمة، وأسست أساس الظلم والجور على أمير المؤمنين وزوجته الطاهرة وابنيه الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فسلبتهم حقهم ووضعتهم ووضعت حقوقهم في غير مواضعها التي وضعها الله فيها).

وقد يكون المراد من أهل البيت هم كل من ذكر في الفقرة السابقة إضافة إلى الأئمة التسعة المنصوص على عصمتهم وإمامتهم من أبناء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

من خلال التأمل في ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة يمكن لنا :

أولا : ان هذه الفقرة الشريفة من الزيارة أطلقت لفظ الأمة على هؤلاء الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو لفظ عام يشمل جنس الأمة، لذلك جيء به بصيغة النكرة، للدلالة على إرادة الشمول لجميع أفراد الأمة المتصفة بصفة تأسيس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، فيكون اللعن بناءً على ذلك متوجهاً للأمة بجميع أفرادها بشرط اتصافها بوصف التأسيس لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بغض النظر عن عددهم وأسمائهم، وبغض النظر أيضا عن كون المشمول بهذا اللعن فرداً وقد أطلق عليه أمة

(١) وهم كل من الإمام علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والحجة المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ـ لان الفرد كما تقدم يمكن أن يطلق عليه أمة ـ أو مجموعة من الأمة أو الأمة بأسرها.

ثانيا: ان هذه الفقرة الشريفة لا تتحدث عن الأمة التي باشرت قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ولا عن المرحلة الزمنية التي استشهد فيها أبو الأحرار صلوات الله وسلامه عليه، فهي تتحدث عن حقبة زمنية سبقت وقعة كربلاء بمدّة زمنية طويلة، لانها تتحدث عن حقبة زمنية كان اهل البيت موجودين فيها بأعيانهم وأشخاصهم، بقرينة أنها تأتي بلفظ أهل البيت وهو لفظ يشمل الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فتكون الحقبة المتيقنة والمقصودة من فقرة الزيارة هذه هي الممتدة من حين استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى إلى حين استشهاد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهذا متوافق مع الوثائق التاريخية المعروفة والتي صرحت بشكل قاطع ان هذه الحقبة بالتحديد هي التي تم تأسيس أساس الظلم والجور فيها على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كل المظالم والمآسي التي ابتلي بها أهل البيت فيما بعد كانت مستندة بأسبابها وممتدة جذورها إلى هذه الحقبة بالتحديد.

ثالثا: ان هذه الأمة وان لم تباشر قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا أنها أسست منهجا اقتدى به من جاء بعدها من الأمم، وإحدى خصائص هذا المنهج هو استخفافه بحرمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتهوين أمرهم وشأنهم في نظر المسلمين، ومع تطاول زمان انتهاج هذا النهج اعتادت هذه الأمة المؤسسة والأمم التي تلتها على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مظلومين مقهورين مستهاناً بحقوقهم كأنهم قد اقترفوا جرما أو أتوا بذنب عظيم، فصارت الجرأة عليهم واستباحة حقوقهم والتقليل من شأنهم مما تعارف أمره عند الناس، وصار المعتدي عليهم لا يلام ولا ينظر إلى اعتدائه مثل ما ينظر إلى الاعتداء على رموز باقي الصحابة، ونتيجة لهذه النظرة الاستخفافية وهذا التهاون

الاجتماعي بحقوق أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ومظلوميتهم نشأ جيل جديد وأمة جديدة بعد انقراض تلك الأمة المؤسسة ؛ صار يرى في قتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أمراً لا يعاب عليه، ولا يلاحق عليه من قبل الدولة مثلما يلاحق من يقتل غيرهم من عوام الأمة، بل نرى الدولة هي التي تتصدى لقتلهم وسبيهم وإذلالهم.

رابعا: ان اللعن الموجه لهذه الأمة المؤسسة للظلم والجور على أئمة أهل البيت عليهم السلام هو لعن وجيه ومشروع ومتوافق مع آيات القرآن وقواعد الشريعة المقدسة، وله مبررات منطقية ومشروعة قد ذكرتها نفس الفقرة الشريفة للزيارة، وهذه المبررات:

ألف: فهم كما وصفتهم الزيارة ممن أسس أساس الظلم على أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، والظلم كما لا يخفى من الكبائر التي توعد الله سبحانه عليه بالنار والعذاب، إضافة إلى انه من الأعمال التي عدّها القرآن الكريم سببا من الأسباب التي تستحق اللعن والطرد من الرحمة الإلهية، كما قال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(٢).

وقال سبحانه أيضا: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

باء: تأسيسهم لمبدأ الجور على أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، والجور كما هو

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٤٤.

(٢) سورة غافر الآية رقم ٥٢.

(٣) سورة هود الآية رقم ١٨.

معلوم من الأمور التي صرحت الأحاديث الشريفة بأنه موجب للدخول والخلود في النار، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في مستدركه قال: (أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ محمد بن أيوب أنبأ عتبان بن مالك ثنا عيينة بن عبد الرحمن أخبرني مروان ابن عبد الله مولى صفوان بن حذيفة عن أبيه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهل الجور وأعوانهم في النار. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[1].

وقد لعنوا أيضا بلحاظ آخر على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك أيضا: (...عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله والمتسلط بالجبروت ليذل ما أعز الله ويعز ما أذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي. هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)[2].

فهم مشمولون بفقرات هذا الحديث الأخير، فهي قد استخدمت سلطتها وجبروتها لإذلال آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين أعزهم الله وفضلهم على العالمين، فاستحلوا من عترة النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ما حرم الله سبحانه، فتركوا سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت جارية على إعزاز وإكرام أهل بيته بمختلف وجوه الإكرام، وفي المقابل أعزوا ورفعوا قدر ومنزلة الأراذل من الطلقاء وأبناء الطلقاء، فأذلوا بذلك ما أعز الله وأعزوا ما أذل الله سبحانه، فاستحقوا بأفعالهم هذه اللعنة من الله ومن رسوله ومن كل نبي مستجاب الدعوة.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٤ ص٨٩.

(٢) المصدر السابق ص٩٠.

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها مشحونة بلفظ اللعن، فقد جاء استخدام هذه المفردة في آيات الكتاب العزيز مع مشتقاتها ما يقارب الست والستين مرة تقريبا، في ست وستين آية، وهو عدد لا يستهان به ويستدعي الوقوف عنده والتأمل في مضامينه واستخراج ما خفي من مكنونه.

ونستطيع من خلال التأمل في آيات اللعن في القرآن الكريم أن نكتشف أهدافاً عديدة قد صيغ من أجلها اللعن في آيات الذكر الحكيم، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

أولا: قد يأتي اللعن في القرآن الكريم للحكم بالطرد والإبعاد عن الرحمة الإلهية وعدم شمول اللطف والمغفرة لأفعال معينة لا تنسجم مع الشريعة الإلهية. أو يأتي اللعن للحكم بالطرد والإبعاد لأشخاص تلبسوا بأفعال غير مرضية لله سبحانه.

كما في قوله سبحانه ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1]، فهذه الآية المباركة تحكم على من يتلبس بصفة القتل للمؤمن، ويأتي بمثل هذا الفعل الشنيع، بالطرد من ساحة الرحمة واللطف الإلهي، وعدم شمول فعله بقانون المغفرة والرحمة فيكون بناء على ذلك دخوله في جهنم وخلوده فيها وبقاؤه في العذاب العظيم أمرا طبيعيا، لان من لم يدخل في رحمة الله ولطفه صار إلى عذابه وسخطه، ومن لم يذق طعم نعيم مغفرته ذاق طعم أليم عذابه ونقمته.

ثانيا: وقد يأتي اللعن لإعلان الموقف العملي والرفض تجاه فكرة منحرفة كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

(١) سورة النساء، الآية ٩٣.

يَشَآءُ﴾[1]، فاللعن هنا بمنزلة إعلان الرفض القاطع لهذه الفكرة المنحرفة وإبعاد لها عن مقام الرضا الإلهي وطردها عن الفكر الإسلامي حتى لا تلحق الدين ولا المسلمين جرائر هذا القول المنحرف مثلما كانت العرب تلعن وتطرد من يسيء منها ويتمرد حتى لا تلحقهم جرائره.

ثالثا: وقد يأتي اللعن ليكون بمنزلة جرس إنذار للمجتمع المسلم بأن الشخص الملعون في هذه الآية هو خطر يحدق بالمجتمع، يمكن أن يفتك به، فالواجب على الجميع أخذ الحيطة والحذر منه وتوقيه، كما في قوله تعالى ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[2] فهدف الآية واضح لا يخفى وهو تحذير للناس من خبث الشيطان وفتكه لعنه الله.

وقد يكون التحذير من فئة معينة فيصاغ هذا التحذير على شكل لعن لهم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾[3] ففي الآية تحذير من اليهود وعدائهم ضد الأهداف الإلهية وضد الأنبياء والرسل، ذلك العداء الذي أدى بهم إلى أن مسخوا بأمر الله إلى قردة وخنازير، لكنهم رغم ذلك لم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الحق، وبقيت سيرة النفاق

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٧- ١١٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٩ -٦١.

والكذب ملازمة لهم، حتى أن مكرهم قد بلغ إلى درجة أنهم كانوا يأتون الذين آمنوا فيدّعون الإيمان برسالة النبي ودين الإسلام وهم ما زالوا لم يخرجوا من كفرهم وضلالهم.

أو كقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[1] ففي اللعن هنا تنبيه لكل من يفكر بأن هذه الفئة الخطرة يمكن لها في يوم من الأيام أن تهتدي إلى الصراط القويم، لان الآية توضح وبكل صراحة، أن العداء لمنهج الحق، وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل اليهود، ليس هو وليد اليوم، بل إن لهذا الحقد والعداء جذوره التاريخية الممتدة إلى زمن نبي الله داود وعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما ومن كثرة أذاهم لعنوا على لسان هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما، فينبغي والحال هذه أخذ الحيطة والحذر من هذه الفئة الخطيرة، وان لا يتوقع منهم الكثير من الهداية والكف عن منهجهم المنحرف، لان من لم يهتد كل تلكم السنين حقيق أن لا يرجى منه الكثير ولا يؤمن جانبه ساعة من الزمن.

رابعا: وقد يأتي اللعن في آيات القرآن الكريم ليكشف الآثار التكوينية للعن على الشخص الملعون، وانه مسلوب التوفيق للتوبة، محجوب القلب والعقل عن الوصول إلى الحقائق الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[2] فالكفر والتمادي به يسبب اللعن، واللعن يسبب سلب التوفيق وتغليف القلب عن نيل المراتب الكمالية في المعرفة، لذلك نجدهم قليلا ما يؤمنون، لان الإيمان يحتاج إلى معرفة ورؤية واضحة للحق، وهؤلاء المتمادون في الكفر قد سلب الله منهم

(١) سورة المائدة، الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٨.

ذلك نتيجة أعمالهم التي اختاروها، ووضعوا أنفسهم في ضمن قانونها.

والآية المباركة وان كانت تشير إلى أن البعض منهم يمكن أن تدركه الرحمة من جديد ويهتدي بهدى الإيمان فيما لو غير من مقدمات حياته لتتغير تبعا لتلك المقدمات النتائج المترتبة عليها، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(١).

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أمر هام هو: ربما تجتمع كل هذه الأسباب الأربعة في مورد قرآني معين، وربما تجتمع بعضها دون بعض، وكل ذلك يفهم من القرائن المحيطة بالآية التي ورد فيها اللعن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾(٢) فهم بسبب لعن الله لهم حكم عليهم بالطرد من الرحمة، ولعنة الناس لهم عبارة عن إعلان موقف عملي واضح تجاه هؤلاء وذلك بطردهم من صفوف المؤمنين والمرحومين، والبراءة من أعمالهم وكفرهم ووقوفهم بوجه الأنبياء عليهم السلام حتى لا تلحقهم جرائرهم، وأما لعن الملائكة فهو بخذلانهم حال الحياة وعدم نصرتهم، وأخذهم بأشد العذاب بعد مماتهم.

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

جرت حكمة الله سبحانه وتعالى على أن يحصي عمل كل عامل من عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٦١.

(٣) سورة يونس الآية رقم ٦١.

واقتضى عدله سبحانه أن يجزي أهل الإحسان والعمل الصالح بجزاء يتناسب وصلاح عملهم، قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١)، ويجزي من عمل من عباده السوء بمثله ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٢).

وأن الفعل الصالح يعود بالصلاح على صاحبه، وكذا الفعل الطالح فلا يحيق ضرره بغير أهله، لان الله سبحانه ارفع وأعلى مرتبة من أن يصله خير عباده أو يتضرر بسوء فعلهم قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٣)، وقال سبحانه أيضا: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾(٤).

وأوضحت آيات القرآن الكريم أن العباد يوم القيامة على قسمين، فمنهم من يأتي حاملا وزر نفسه فقط كما قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾(٥).

ولكن بعضهم الآخر يأتي يوم القيامة حاملا وزره ووزر غيره، وهؤلاء هم الذين سنوا سنة سيئة في حياتهم الدنيا وتبعهم الناس على ضلالتهم، فهم ضالون بأنفسهم، ومضلون لغيرهم، فيحملوا أوزار أنفسهم وأوزار كل من يقع في شباك ضلالهم، كما قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم

(١) سورة النحل الآية رقم ٩٧.

(٢) سورة النساء الآية رقم١٢٣.

(٣) سورة الجاثية الآية رقم ١٥.

(٤) سورة فاطر الآية رقم ٤٣.

(٥) سورة الأنعام الآية رقم ٣١.

بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[2].

وقد عضدت الروايات الشريفة ما جاء على لسان الآيات آنفا، فعقدت كتب الحديث للفريقين أبوابا تضم أحاديث تفصل ما أوجز في آيات القرآن الكريم، نختار منها ما يأتي:

منها ما أخرجه أحمد بن محمد بن خالد البرقي قدس الله روحه في كتاب المحاسن عن ابن محبوب، عن إسماعيل الجعفري قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من استن بسنة عدل فاتبع، كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن بسنة جور فاتبع، كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[3].

وعنه قدس الله روحه أيضا عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: (حدثني أبان بن محمد البجلي، عن العلا بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (من علم باب هدى، كان له أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم)[4].

وعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه ثواب الأعمال عن أبان عن عبد

---

(١) سورة النحل الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ١ ص ٢٧ ثواب من سن سنة عدل.

(٤) المصدر السابق ثواب من علم باب هدى، وراجع الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم الحديث رقم ٤.

الرحمن بن أبي عبد الله قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام لا يتكلم الرجل بكلمة حق فأخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه وزر من أخذ بها)[١].

وعنه قدس الله روحه أيضا عن ميمون القداح عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أيما عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سن سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[٢].

وعن البخاري في صحيحه قال: (حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وربما قال سفيان من دمها لأنه أول من سن القتل)[٣].

وقد عقد الترمذي بابا أسماه (باب في من دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة) جاء فيه: (حدثنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». هذا حديث حسن صحيح)[٤].

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ١٣٢ ثواب من تكلم بكلمة حق فأخذ بها.

(٢) المصدر السابق ثواب من سن سنة هدى.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥١ باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة لقول الله تعالى: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية، وراجع أيضا صحيح مسلم ج ٥ ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٤) سنن الترمذي ج ٤ ص ١٤٩.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: (باب بيان إثم من سن القتل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه كان أول من سن القتل»...وهذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئا من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة، وهو موافق للحديث الصحيح من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة، وللحديث الصحيح: من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وللحديث الصحيح: ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة والله أعلم)[1].

أقول: لا يشك في ان الأمة المؤسسة لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مشمولة بما تقدم من الآيات والروايات، وتحمل إضافة إلى أوزارها أوزار كل من عمل بعملها واستن بسنتها إلى يوم القيامة.

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

غالبا ما يواجه المؤمن الذي يعتقد بفكرة ظلم الأمة لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بسؤالين من قبل المخالفين:

الأول: هل يمكن ان نتصور أن تتعاضد امة بكاملها وتتفق على تأسيس وترسيخ الظلم والجور على خمسة أشخاص من أهل بيت واحد؟.

الثاني: هل يعقل ان تكون هذه الأقلية هي التي على الحق والصواب بينما تكون تلك الأمة المترامية الأطراف في تعداد أفرادها على الباطل والخطأ ومجانبة الحق؟.

(١) شرح مسلم للنووي ج ١١ ص ١٦٦.

وليس الجواب على هذين السؤالين بصعب ولا عسير بعد ان أوضح القرآن الكريم بآيات كثيرة ان أولياء الله سبحانه كانوا على مر التاريخ يتصفون بالأقلية في مقابل مجتمعاتهم وأممهم، وان هؤلاء الأولياء مع كونهم أقلية إلا ان الحق كان معهم وفي صفهم، وتلك المجتمعات مع انها كانت تمثل الأكثرية إلا ان الباطل لم يكن يفارقها وقد تحدثت آيات القرآن بإسهاب عن هذا الموضوع، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٣].

ويكفي في جريان هذه السنة في امتنا الإسلامية قوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نقله الهيثمي في (مجمع الزوائد): (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم. رواه البزار ورجاله ثقات)[٤].

وعن الحاكم النيسابوري في المستدرك قال: (حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد

(١) سورة هود الآية رقم ٤٠.

(٢) سورة الحديد الآية رقم ٢٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٢٦١.

العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأ جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام قال كنا عند حذيفة فذكروا: من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الأخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذي نفسي بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[1].

وقال صاحب كتاب تحفة الأحوذي: (وفي حديث أبي سعيد عند البخاري لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن، ورواه الحاكم عن ابن عباس وفي آخره وحتى لو أن أحدكم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه. قال المناوي: إسناده صحيح والسنة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة والمراد هنا طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وقال النووي المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم)[2].

وبعد هذه المقدمة يصبح ليس عجيبا أن نرى امة كاملة تتصف بأنها مسلمة تجتمع على عداوة وظلم أهل بيت معين يتكون من عدة أشخاص، وفي قصة بني إسرائيل واجتماعهم على ظلم موسى وأخيه هارون مع كونهم من أتباعه وأنصاره خير دليل على هذه الحقيقة، الم يعبدوا العجل وكادوا أن يقتلوا هارون بعد أن

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ٦ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

استضعفوه[1]، ألم يرفضوا دخول أرض الجبابرة وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا، حتى اشتكى نبي الله موسى وصرح بأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه[2]، وهو يعني ترك الأمة بأجمعها واجتماعهم على ظلم هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما.

فلا يستغرب مستغرب بعد كل الذي مر ما صرحت به زيارة عاشوراء من انحراف الأمة الإسلامية ـ إلا ما خرج بالدليل ـ عن الحق ومخالفتها وصايا النبي. وتأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا ينكر ذلك منكر بحجة ان أكثر الأمة لا يمكن ان يجتمع على خطأ وضلال.

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

ان لله سبحانه وتعالى في هذا الكون قوانين خلقها وأوجدها وأودع فيها سراً أن تكون كاشفة عن حقائق كونية أخرى، فتمدد الزئبق مثلا دليل على ارتفاع درجات

---

(١) تمام القصة مذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ سورة الأعراف الآية رقم ١٤٨ ـ ١٥١.

(٢) كما هو مذكور في الآية المباركة التالية: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ سورة المائدة الآية رقم ٢٤ ـ ٢٥.

الحرارة، وانقباضه وتقلصه دليل على انخفاضها، وبلوغ درجة الماء إلى مئة درجة مئوية دليل على غليانه، كما ان انخفاض درجته إلى الصفر أو اقل دليل على انجماده، والمتر وأجزاؤه ميزان يقاس به المسافات، وهكذا في بقية الأشياء التي يكون وجودها ميزانا يوزن به غيرها ويقاس بالنسبة إليها بقية الأشياء.

أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه

ولا تختص هذه الموازين بعالم المادة، وإنما تتعدى لتشمل ما هو غير مادي كالحب والبغض الإلهي، والرحمة والعذاب الإلهي، والرضا والسخط الإلهي، فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق موازين ومقاييس تقاس بها تلك الأشياء وتوزن، وقد وردت الروايات وتضافرت الأخبار على ان أهل البيت ميزان تقاس به تلك الأمور السابقة، فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1] قال: إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] يعني الأئمة منا)[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[4] فقال: إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٥٧.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٥٥.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٤٦.

(٤) سورة الزخرف الآية رقم ٥٥.

كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[2] فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك)[3].

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

والأدلة الروائية مثلما جعلت من كافة أفراد أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والذي من ضمنهم الأئمة التسعة من أولاد الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك جعلت كل فرد من أفرادها ميزاناً بذاته وميزت كل فرد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بميزة اختص بها، ومن هذه الميزات الخاصة هي جعل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ميزاناً لمعرفة طيب الأصل وخبثه، وكذلك جعل حبه وموالاته ميزانا لتمييز أهل الإيمان وأهل النفاق، وكون حربه حرباً لله ولرسوله، وان الداخل بحزبه داخل بحزب الله ورسوله والخارج عنه خارج عن ذلك، وبهذا الصدد وردت أحاديث لا يمكن استيعابها بهذا المبحث لكننا نذكر بعضاً منها تيمنا بذكر فضائل سيد الموحدين وإمام المتقين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه :

منها ما عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي خصالا، لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلا: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مني

(١) سورة النساء الآية رقم ٨٠.

(٢) سورة الفتح الآية رقم ١٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

كهارون من موسى. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مني وأنا منه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مني كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حرب علي حرب الله، وسلم علي سلم الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ولي علي ولي الله، وعدو علي عدو الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي حجة الله وخليفته على عباده. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حب علي إيمان، وبغضه كفر. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حزب علي حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي قسيم الجنة والنار. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من فارق عليا فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة)[١].

ومنها ما عن إبراهيم القرشي قال: (كنا عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي صلوات الله وسلامه عليه لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض)[٢].

عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى فانظروا في شأن أمه)[٣].

وعن أبي أيوب الأنصاري انه قال: (اعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به؟ فإني سمعت رسول الله

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٤٢.

(٣)المصدر السابق.

صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي طامث)[١].

عن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يوما للرضا عليه السلام يا أبا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأي وجه هو قسيم الجنة والنار وبأي معنى فقد كثر فكري في ذلك؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حب علي إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى فقال الرضا عليه السلام: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار، فقال المأمون: لا أبقاني بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيته فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنما كلمته حيث هو ولقد سمعت أبي يحدث عن آبائه عن علي عليه السلام إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أنت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك)[٢].

الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

والسيدة الطاهرة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت ولا تزال ميزان سخط الجبار ورضا الرحمن، وهي صلوات الله وسلامه عليها ميزان رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغضبه، والتي من يؤذيها فقد آذى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يرضيها فقد أرضى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا الصدد وردت روايات كثيرة نختار منها:

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٤٥.

(٢) عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج ١ ص ٩٢.

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليه، عن علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه، عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه، عن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، قال: فجاء صندل، فقال لجعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء الشباب يجيئونا عنك بأحاديث منكرة فقال له جعفر صلوات الله وسلامه عليه: وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها؟ قال: فقال جعفر صلوات الله وسلامه عليه: يا صندل، ألستم رويتم فيما تروون أن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاه؟ قال: بلى. قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة صلوات الله وسلامه عليها مؤمنة، يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها[1] قال: فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته)[2].

وعن الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على صحيح مسلم والبخاري قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري وأخبرنا محمد بن علي بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة قالا ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[3].

(١) هذا الكلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو من باب تقريب هذه الحقائق لأذهان العامة الذين يستثقلون مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنازلهم التي أنزلهم الله فيها ،وإلا فان رضا السيدة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها وغضبها لا يقاس برضا عامة المؤمنين والمؤمنات ورضاهم.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

وقال الهيثمي: (وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وإسناده حسن)[1].

الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في زيارة عاشوراء يتبين ان له حسابا خاصا، فكما ان مصيبته أعظم من كل المصائب وأجلّ من كل الرزايا، كذلك حسابه وميزانه يختلف عن كل الموازين، فالله سبحانه سيحاسب بالحسين صلوات الله وسلامه عليه وبدمه ومصيبته ورزيته أمما بأكملها، وزيارة عاشوراء توضح هذه الحقيقة، فستحاسب به أمة أسست أساس الظلم والجور عليه وعلى أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة دفعته وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم.

وستحاسب به أمة قتلته وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة مهّدت ومكّنت من قتله وقتل أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، وأمة أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيأت لقتاله. وسيحاسب الله به بيوتا كاملة من أمثال آل زياد وآل مروان وبني أمية قاطبة، وسيحاسب به أفرادا شاركوا في أحداث مجزرة عاشوراء من أمثال ابن مرجانة وعمر بن سعد وشمر ويزيد وغيرهم من الملعونين.

وسيحاسب به الله سبحانه أمما وجدت بعد استشهاده واستشهاد أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد رضيت بفعل تلك الأمم السابقة، وبررت فعل أعدائه، وخطأت الحسين صلوات الله وسلامه عليه في خروجه، ودافعت عن انتهاك حرمته وحرمة أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء وبعده، فقد ورد في الرواية ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يقتل ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضي بفعال آبائه، وممن لو

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٠٣.

كان موجودا في الطفوف يوم عاشوراء لشارك ضده وعاون على قتله، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: (قلت لأبي الحسن علي ابن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه يا بن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه بفعال آبائها فقال صلوات الله وسلامه عليه هو كذلك فقلت فقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] ما معناه؟ فقال صدق الله في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئا كان كمن أتاه ولو أن رجلا قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل وإنما يقتلهم القايم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم ...)[2].

وليس إهلاك الأمم لعلة قتلهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو الرضا بقتله أو مشايعة ومبايعة قتلته أو غير تلك الأمم والبيوت والأفراد الذين سبق ذكرهم بعزيز على الله سبحانه، بعد ان ذكر القرآن الكريم إهلاك وعذاب الأمم السابقة بذنوبهم وإسرافهم وقتلهم لأنبيائهم وصلحائهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۙ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

(١) سورة فاطر الآية رقم ١٨.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) سورة الأنعام الآية رقم ٦.

(٤) سورة يونس الآية رقم ١٣.

وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

وليس من سبق من الأنبياء بأعز وأكرم على الله سبحانه من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فإذا جاز إهلاك وعذاب الأمم التي قتلت أنبياءها وأوصياءها جاز وحسن إهلاك من سبق ذكره من الأمم لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما ثبت بالدليل من قبل أكمل من جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالاعتداء عليه وعلى حرمته يكون أشد وأعظم من الاعتداء على كل الأنبياء والرسل، بل ان الاعتداء عليه هو في حقيقته اعتداء على كل الأنبياء والرسل، وعليه فمن العدل ان يكون الانتصاف له من أعدائه والانتقام له أعظم وأشد وأكبر من كل انتقام قد شهدته الأمم السالفة السابقة التي أهلكت في أزمنة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) سورة البقرة الآية رقم ٦١.



وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

١: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ ٢: عَنْ مَقَامِكُمْ ٣: وَأَزَالَتْكُمْ

٤: عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم.

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا

في هذه الفقرة المباركة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي من الكلام:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

تواترت الروايات وأجمعت نصوص الأدعية والزيارات الشريفة عن النبي الأعظم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أن الله سبحانه قد منح لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقامات أنزلهم بها ومراتب رتبهم فيها، وقد تم دفعهم عنها وإزالتهم منها، وسنذكر فيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة:

فمنها ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (بلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات أوصياء المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب ولا

نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه)[1].

ومنها ما ورد في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (يا موالي يا أبناء رسول الله، عبدكم وابن أمتكم، الذليل بين أيديكم، والمضعف في علو قدركم، والمعترف بحقكم، جاءكم مستجيرا بكم، قاصدا إلى حرمكم، متوسلا إلى مقامكم، متوسلا إلى الله بكم. أأدخل يا موالي، أأدخل يا أمناء الله، أأدخل يا أولياء الله، أأدخل يا ملائكة الله المحدقين بهذا الحرم، المقيمين بهذا المشهد...)[2].

ومنها زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في أول شهر رجب والنصف من شعبان، والتي ذكرها السيد ابن طاوس في إقبال الأعمال حيث قال قدس الله روحه: (فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان أقول: إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا، وإنما أخرنا ذكرها في هذه الليلة لأنها أعظم، فذكرناها في الأشرف من المكان، وهي: ... بأبي أنت وأمي ونفسي يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها. بأبي أنت وأمي ونفسي يا أبا عبد

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦١٣- ٦١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٨٨.

الله أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق، وبكتكم السماء والأرض وسكان الجنان والبر والبحر، صلى الله عليك عدد ما في علم الله...)[1].

وسيأتي تفصيل الكلام حول بعض مقاماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحقيقة إبعاد الأمة لهم عن تلك المراتب والمقامات التي منحها لهم الله سبحانه وتعالى في مبحث مستقل لاحقا.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

١: وَلَعَنَ اللّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ

قد سبق في الفقرة السابقة توضيح وتبيان معنى كل من كلمة (لَعَنَ) و (أُمَّةً) وبقي أن نعرف معنى (دَفَعَتْكُمْ) وضمير الجمع عائد بلا ريب إلى أهل البيت الذين مر ذكرهم في الفقرة السابقة، أما لفظ (دفع) فقد استعمل بمعان أربعة هي:

الأول: استعمل بمعنى المنع، قال الفراهيدي: (دفع: دفعت عنه كذا وكذا دفعا ومدفعا، أي: منعت)[2]. فيصبح معنى العبارة هو (ولعن الله امة منعتكم عن مقاماتكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

الثاني: وقد يكون الدفع من المدافعة فيكون بمعنى المماطلة، قال الجوهري في الصحاح: (والمدافعة: المماطلة)[3]. وقال ابن منظور: (والمدافعة: المماطلة. ودافع فلان فلانا في حاجته إذا ماطله فيها فلم يقضها)[4] فيكون المعنى لعن الله أمة ماطلتكم

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٣ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ فصل ٥٣.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٢ ص ٤٥ باب العين والدال والفاء معهما.

(٣) الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٢٠٨ فصل الدال مادة دفع.

(٤) لسان العرب ابن منظور ج ٨ ص ٨٩.

عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها)، أو (لعن الله امة ماطلت دون وصولكم إلى مقاماتكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها).

وأهل البيت وكما هو الثابت في الآيات والروايات سيرد لهم الله سبحانه هذه المنازل والمراتب في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وستجتمع له السلطة الظاهرية والباطنية، ولكن بعد مماطلة من الظالمين يطول أمدها، ويهلك فيها الكثير ممن سار على نهج تلك الفئة التي جلست في مجلس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغصبت مقامهم، فهم ملعونون مسخوط عليهم بسبب منعهم ومماطلتهم التي تسببت في إضلال فئة من الناس ليست بالقليلة، وكذلك تسببت في تعطيل حدود الله من أن تقام على أيدي أصحابها الشرعيين، وأيضا أسهمت تلك المماطلة بتكبيد أهل البيت عليهم السلام المتاعب والمصاعب والمحن والآلام بل وتكبدوا في سبيل إعادة السلطة الإلهية من أيدي الغاصبين إلى التضحية بدمائهم الزكية ونفوسهم المقدسة ثمنا لذلك.

الثالث: وقد يكون الدفع بمعنى الإسراع: (دفع دفعت إلى فلان شيئا ودفعت الرجل فاندفع. واندفع الفرس، أي أسرع في سيره، واندفعوا في الحديث)[1].

فيكون معنى العبارة (ولعن الله امة أسرعت في دفعكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها) وهذا ما حصل فعلا فبمجرد أن مات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحق بربه سارعت أمته وهو بعد لم يدفن إلى دفع أهل البيت عن مقاماتهم ومراتبهم ومن أجلى مراتبهم ومقاماتهم مقام الولاية ومرتبة الإمامة.

الرابع: وقد يكون بمعنى الإزالة بقوة، قال ابن منظور: (دفع: الدفع: الإزالة

---

(١) الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٢٠٨ فصل الدال مادة دفع.

بقوة. دفعه يدفعه دفعا ودفاعا ودافعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع)[1]. فيكون المعنى (ولعن الله امة أزالتكم بالقوة عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها) فيكون هذا المعنى مرادفا للفظ (وأزالتكم) الوارد ذكره في نفس هذه الفقرة.

وكل هذه المعاني الأربعة محتملة المراد من قبل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه لان جميعها قد وقع في الخارج، فان التاريخ يثبت وبصورة لا تقبل الشك ان الأمة قد منعت وماطلت وأسرعت واستعملت القوة في إزالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم ومنازلهم التي رتبهم الله فيها.

٢: عَنْ مَقَامِكُمْ

عَنْ: وردت لها معانٍ عدة في اللغة، والمعنى الأنسب لها في هذه الفقرة أن تكون بمعنى (من) لأنها إحدى معانيها[2] وهي نظير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[3].

مَقَامِكُمْ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين ذكرتهم الفقرة السابقة من الزيارة، ولفظ (مقام) جاء في اللغة بمعنى (موضع)[4] ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾[5] أي لا موضع لكم فارجعوا، وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[6]، أي حسنت مستقرا وموضعا.

(١) لسان العرب ابن منظور ج ٨ ص ٨٧.

(٢) موسوعة معاني الحروف العربية ص١٣٤للدكتور علي سلمان.

(٣) سورة الشورى الآية رقم ٢٥.

(٤) الصحاح للجوهري ج٥ ص٢٠١٧ مادة قوم.

(٥) سورة الأحزاب الآية رقم ١٣.

(٦) سورة الفرقان الآية رقم ٧٦.

٣: وَأَزَالَتْكُمْ

الواو كما لا يخفى هنا للعطف والجملة معطوفة على ما قبلها والمعنى (ولعن الله أمة أزالتكم عن مراتبكم) وضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (أزال) استعملت في اللغة بمعان عدة وجميعها محتملة المراد:

الأول: قد يكون (أزال) من الزوال بمعنى الذهاب أو الاستحالة من شيء إلى شيء أو الاضمحلال، قال ابن منظور: (الزوال: الذهاب والاستحالة والاضمحلال)[١] والاستحالة تشمل كل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى الاعوجاج[٢].

فيكون معنى الفقرة من الزيارة هو (ولعن الله امة دفعتكم عن مقامكم، وذهبت بكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، وتحول حالها معكم من الاستواء إلى الاعوجاج، فاضمحلت بذلك مراتبكم وذهبت مقاماتكم).

الثاني: وقد يكون من الزوال بمعنى التنحية والتحريك، قال ابن منظور: (الزول الحركة، يقال رأيت شبحا ثم زال أي تحرك. وزال القوم عن مكانهم إذا حاصوا عنه وتنحوا)[٣].

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ونحى الشيء: أزاله، يقال: نحيته فتنحى ونح هذا عني أي أزله وأبعده عني)[٤].

فيكون معنى فقرة الزيارة هو: (ولعن الله امة دفعتكم عن مقامكم ونحتكم وحركتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٣١٣ فصل الزاي المعجمة.

(٢) القاموس المحيط ج٣ ص٣٦٤.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٣١٣ فصل الزاي المعجمة.

(٤) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٢٨٤.

٤: عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

عَنْ: تقدم الحديث عن لفظ (عَنْ) وقلنا انها هنا بمعنى (من).

مَرَاتِبِكُمُ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، و(مَرَاتِبِ) جمع (رتبة) أو (مرتبة) والمرتبة كما جاء في اللغة هي المنزلة الرفيعة الثابتة عند الملوك وأشباههم، قال الجوهري: (رتب: الرتبة: المنزلة، وكذلك المرتبة)[1]

وقال ابن منظور: (والرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها. وفي الحديث: من مات على مرتبة من هذه المراتب، بعث عليها، المرتبة: المنزلة الرفيعة)[2].

التي: اسم إشارة وضع في اللغة للدلالة على المؤنث.

رتبكم الله فيها: وهذه العبارة تريد بيان ان الفاعل والمنزل والواضع والمثبت لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تلك المراتب والمنازل المتقدمة هو الله سبحانه وتعالى، وبمعنى آخر ان تلك المراتب والمنازل التي ذكرت سابقا لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي رتب ومنازل إلهية ربانية، وان شرعيتها وأهميتها مستمدة من الله سبحانه فإذا قبلها الناس فعن الله سبحانه وتعالى يقبلون، وإذا رفضوها فلأمر الله سبحانه وتعالى وحكمه يردون.

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام

لابد قبل البدء بالكلام من الاعتراف والتأكيد على مسألة مهمة وهي أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعلم بحقيقة مراتبهم ومقاماتهم إلا الله سبحانه، ولا يحصيها إلا هو جل شأنه، فبعضها كشف لنا على لسان الآيات المباركة والروايات الشريفة، وكثير منها قد حجب خبره عنا لأسباب غيبية ربما، وربما

(١) الصحاح للجوهري ج ١ ص ١٣٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٤١٠ فصل الراء.

لعدم وجود قلوب تسع وتحتمل تلك الحقائق، لأنه وبسبب التربية الخاطئة للأمة التي أخذت أكثر تعاليمها من مناوئي أهل البيت وأعدائهم والذين كانوا سببا أساسيا في طمس تلك المنازل والتكتم على تلك المراتب، صار علماء الإمامية رضوان الله تعالى عليهم وأتباعهم يرمون بالكفر والشرك والخروج عن جادة الحق والإسلام لأدنى تصريح بأدنى مرتبة من مراتبهم ومقاماتهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فصار أعداؤهم يحاربون تلك المراتب والمقامات حقدا وبغضا، وصار أولياؤهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يكتمونها تقية وخوفا.

ثم وبسبب طول زمن التقية والخوف من الظالمين، وبسبب قلة ما يكتب في مجال مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ولاسيما تلك التي تتعلق بمراتبهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل عالم الدنيا، صار كثيرا من أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم يستثقل ويستغرب أكثر مقامات أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويعدّها وبسبب الجهل وعدم الاطلاع على الأحاديث والروايات غلوا ومبالغة.

وربما اعتبر البعض الآخر ومن باب المجاملة والمماشاة للمخالفين من بقية المذاهب الأخرى وغيرهم بان الكلام في مراتبهم وتوضيح منازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليس مناسبا في هذا الوقت الذي تعيش فيه الأمة الحساسية والاحتقان السياسي والمذهبي، متناسين باجمعهم أن السكوت والتأجيل وعدم توضيح مقامات أهل البيت ومراتبهم التي رتبهم الله فيها خيانة عظمى ومشاركة من حيث يعلمون أو لا يعلمون في مخطط القضاء والإقصاء والدفع لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم، وان السكوت وعدم تبيان هذه المقامات والمنازل لعوام الشيعة وبسطائهم تعد معونة مجانية لأولئك المزيلين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم التي رتبهم

الله فيها وخصهم بها.

لذلك يجب على كل من له القدرة والقوة، تبيان ما يقدر على تبيانه من تلك المراتب والمقامات، نصرة ودفاعا عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حربهم مع من حاول ويحاول إلى الآن دفع وإزالة أهل البيت عن مراتبهم الإلهية، وإخفاء وطمس منازلهم الربانية، وما هذه الوريقات في هذا المبحث وغيره إلا تطبيق وعمل بما أسلفت من وجوب النصرة والتصريح على كل من يقدر على ذلك ويستطيع.

ونحن قد أوضحنا في مبحث سابق جملة من منازلهم وما خصهم الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق وفي عالم الأصلاب والأرحام، وسنكمل للقارئ العزيز جملة أخرى من تلك المراتب التي دفعوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عنها وأزيلوا منها.

المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين

هنالك سنن وقوانين خلق الله سبحانه وتعالى على أساسها الكون، وبها يدار نظام الحياة، وواحدة من تلك السنن الكثيرة هي سنة الاصطفاء وقانون الاختيار، فالله سبحانه وتعالى كامل ليس لكماله حد والكمال صفة من صفاته الذاتية، فلا عجب والحال هذه أن يصطفي ويختار كل ما هو كامل في عالم الوجود ويفضله بعد أن يختاره ويصطفيه على من هو اقل منه كمالا ومرتبة، ونستطيع فيما يأتي ان نستفيد من هذه القاعدة لإثبات أن الله سبحانه خص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمرتبة الاصطفاء على جميع الموجودات وأنزلهم منزلة لا يطمع في إدراكها طامع لعلوها ورقيها، وذلك من خلال الخطوات التالية:

ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض

ومن دقق النظر في هذا الكون بكل جزئياته يجده قائما على أساس الاصطفاء والاختيار للأكمل فالأكمل، والإنسان له من الكمال ما يفوق ويعلو على باقي الموجودات على هذه الأرض، فهو الأفضل وهو المصطفى وهو المختار من قبل الله سبحانه دونها، بل لأجله قد خلق كل ما على الأرض، ولولا وجوده لما أوجدها قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وفي الآية المباركة تصريح بأن كل ما في الكون قد خلق لأجل هذا الإنسان لأنه أكملها وسيدها فهو علة وجودها[2] وتحققها في الخارج.

باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان

وقانون الاصطفاء والاختيار جار على أفراد الإنسان أيضا، لأن أفراد الإنسان ليسوا كلهم على وتيرة واحدة من الكمال والنقاوة، ففيهم الكامل وفيهم الأكمل، كما ان فيهم السيئ وفيهم الأسوأ، فلما كان الله سبحانه كاملاً ومن صفاته الكمال فمن الطبيعي انه سيختار الكامل من جنس الإنسان بل الأكمل ويفضله من بعد أن يصطفيه على بقية خلقه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٩.

(٢) المقصود بالعلة هنا هو العلة الغائية.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

(٤) سورة الحج الآية رقم ٧٥.

جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل

وقد شاء الله سبحانه أن يصطفي من أهل كل زمان أفضلهم وخيرتهم فيجعلهم رسلا وأنبياء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) فنصبهم سبحانه خلفاء في أرضه وحججا على البقية من عباده.

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الصفوة صفوة أخرى، ومن هؤلاء الكاملين من هو الأكمل، فكانوا أربعة عشر معصوما هم كما في الروايات فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها وتسعة من ذرية الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، وقد مر في بحث سابق إثبات أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل وأكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أممهم أيضا.

دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الأربعة عشر أكثرهم كمالا وارفعهم منزلة فاصطفاه عبدا ورسولا وحبيبا، فكان سيد من خلق، وصفوة من اصطفى، وأكرم من اعتمد، قدمه على أنبيائه وبعثه إلى الثقلين من عباده.

فإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكمل هؤلاء الأربعة عشر معصوما.

وإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم صفوة الصفوة كما بينا، فنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم صفوة هؤلاء الصفوة، فلذلك صار أهلا لان تختم بنبوته النبوات، وبشريعته الشرائع، وقد ورد في الحديث المشهور عند السنة والشيعة

(١) سورة آل عمران الآية ٣٣.

ما يؤيد هذا المعنى ويؤكده، فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[1].

هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأكمل فالأكمل

ثم اختار سبحانه من بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الثلاثة عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فاختار أمير المؤمنين عليا صلوات الله وسلامه عليه، فجعله كنفس رسوله دمه من دمه، ولحمه من لحمه، ثم اختار له كفؤا ونظيرا وزوجه من فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من فوق سبع سماوات، كما هو مروي في الحديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما خاطب ابنته الصديقة بقوله: (إن الله اطلع على أهل الأرض إطلاعة فاختار منهم أباك فجعله نبيا، واطلع على عليهم ثانية فاختار منهم بعلك[2] فجعله وصيا، وأوحي إلي أن انكحه، أما علمت يا فاطمة انك بكرامة الله إياك زوجتك أعظمهم حلما، وأكثرهم علما)[3].

فكانا صلوات الله وسلامه عليهما سببا لإيجاد خيرة الأوصياء بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فولدا الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ثم تبعه الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم شاء سبحانه وتعالى ولحكمة هو أعلم بها، أن يجعل امتداد الإمامة والوصاية على الأمة في ذرية الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما فكانوا تسعة لا يغيب منهم نجم إلا وطلع نجم آخر

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٤٣، المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص ٤٣٠، الدر المنثور ج٣ ص٢٩٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٠.

(٢) النص إلى هنا منقول في كتاب المواقف للايجي ج٣ ص٦٣٤، ومثله في كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٦٠٥.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ج١ ص٣١٧.

مكانه، حتى لا تخلو الأرض من حجة، إقامة لدينه وحجة على عباده، ولئلا يزول الحق عن مقره، ويغلب الباطل على أهله، ولكي لا يقول أحد من العباد لولا أرسلت إلينا إماما منذرا، وأقمت لنا علما هاديا فنتبعه من قبل أن نذل ونخزى.

واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ولا يظن ظان أو يتوهم متوهم بأن هذا الاصطفاء الإلهي كان عفويا ومن غير حكمة وموازين اقتضت هذا التفضيل، فالله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين احد من العباد قرابة ولا نسب، وكل العباد بالنسبة إليه سبحانه وتعالى من حيث الخَلق والعبودية على حد سواء، فهو الخالق وهم المخلوقون، وهو السيد ومالك الملك والملكوت وهم عبيد لا يملكون إلا ما ملكه لهم سيدهم وخالقهم.

والميزان في التفاضل والتكامل عند الله سبحانه وتعالى قد تم إيضاحه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(1)، فالتقوى والذوبان في الطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى هي ميزان الفضل وعليها الاعتماد في رفع الدرجات والمنازل عنده سبحانه، فأكمل العباد أتقاهم، وأرفعهم أكثرهم ذوبانا في طاعته وأشدهم سعيا في مرضاته.

والتفضيل للرسل والأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الناس ليس بخارج عن هذه القاعدة، فهم الأفضل لتفاضلهم بتقواهم وترفعهم عن هذه الدنيا الدنية وذوبانهم في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وهو السبب من وراء اصطفائهم واختيارهم.

واصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الأنبياء والمرسلين والأوصياء

(1) سورة الحجرات الآية رقم ١٣.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناتج أيضا عن أنهم الأكمل في مقام العبودية والطاعة والذوبان في الله سبحانه وتعالى، وهم الأشد زهدا وترفعا عن هذه الدنيا وزبرجها وزخرفها، ولشدة تعلق قلوبهم بالله.

وفي الدعاء المعروف بدعاء الندبة الشريف الذي يقرأ في زمن الغيبة، توضيح جلي لهذه الحقيقة، ففي بداية فقرات هذا الدعاء تصريح واضح لسبب اجتباء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واصطفائهم حيث ورد فيه: (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به. فقبلتهم وقربتهم وقدرت لهم الذكر العلي والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك)[1].

المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل

قد تبين لنا فيما مر أن النظام الكوني قائم على تقديم الأكمل على الكامل، والأفضل على الفاضل، ومسألة الوصاية والخلافة ليست بخارجة عن هذا القانون، ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجدها صريحة في جعل خلافة الرسل والأنبياء خاضعة لنظام الاصطفاء، فيختار سبحانه وتعالى من كل أمة الأفضل من بينهم فيرسله نبيا، فإذا مات أو قتل ناب عنه الأكمل من أهل ذلك الزمان.

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٥٧٤ الدعاء للندبة.

إلى أن وصلت النبوة والإمامة والخلافة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام فجعل الله سبحانه النبوة والتوحيد الخالص في ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]، وقال ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: (الكلمة وهي النبوة في قول والتوحيد في قول آخر ولا جرم لم تزل النبوة باقية في ذرية إبراهيم والتوحيد هم أصله وغيرهم فيه تبع لهم)[2].

باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه

واستمر الأنبياء والأوصياء من ولد إبراهيم يتلو بعضهم بعضا يتوارثون الكتاب والنبوة على حسب نظام الاصطفاء والكمال قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم

إلى أن وصلت النبوة إلى إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه فصارت النبوة في عقبة وولده وذريته، وكانت كنانة أفضل بيوت ذريته، فانتقلت إليها النبوة دون غيرها، وكانت قريش أفضل بيت في كنانة فخصهم الله سبحانه بالاصطفاء وجعل فيهم النبوة دون غيرها من سائر بيوت كنانة، ثم كان بيت هاشم بن عبد المطلب هو أكمل بيت في قريش وأفضلها، فاختصه الله سبحانه بالنبوة دون سائر بيوت قريش، ثم كان نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فاختاره سبحانه للنبوة دونهم وأورثه

(١) سورة الزخرف الآية ٢٨.

(٢) أحكام القرآن لابن عربي ج٤ ص ١٠٢.

(٣) سورة فاطر الآية ٣٢.

الكتاب على وفق نظام الاستحقاق والأفضلية، وقد روى واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذا المعنى حيث قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[1].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (قد ذكرنا بالأسانيد الحسان والطرق الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[2].

إذن فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفقا لهذه الرواية قد استحق الوصاية عن نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه بشيئين:

الأول: كونه صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم الذين هم أفضل ولد نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: كونه صلى الله عليه وآله وسلم الإنسان الأفضل والأكمل من بني هاشم.

دال: حتمية وصاية الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فلما جاء وعد الله سبحانه ونزل بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل بكل الأنبياء والرسل، وحان وقت استشهاده ورحيله إلى خالقه، ولم يكن من المعقول أن يتوقف نظام الوصاية الذي امتد منذ نزول آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى وقت نبينا الأعظم

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ٥٨ باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧.

صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ولابد ووفقا لـ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾(١) ان يستمر وجود الأوصياء وأن لا يترك العباد من غير حجة ودليل يستدلون به عليه، فكان لابد أن ينوب عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من يؤدي دور الحجة على الناس، ولكي لا يقول العباد ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٢).

ولكن يبقى السؤال المهم هو: من الذي سيقوم بدور الخليفة والحجة ويؤدي دور ومهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ولا اعتقد ان هنالك صعوبة في تعيين من هو ذلك الخليفة فيما لو طبقنا القاعدتين المتقدمتين اللتين على أساسهما استحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الوصاية عن أبيه إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه واللتين تقدم ذكرهما آنفا.

فوفقا للقاعدة الأولى: يجب أن يكون هذا الخليفة من ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ومن كنانة بالتحديد، ثم من قريش ومن بني هاشم على وجه الخصوص.

ووفقا للقاعدة الثانية: يجب أن يكون هذا الخليفة والحجة من المصطفين حتى يمكن له أن يرث الكتاب وفقا لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾(٣).

ولو تتبعنا أحوال الصحابة وحواريي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لما وجدنا من يشتمل على تلك الميزتين غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فهو من آل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وهو من كنانة، ومن قريش ومن بني هاشم،

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٦٢.

(٢) سورة القصص الآية رقم ٤٨.

(٣) سورة فاطر الآية ٣٢.

فيكون هو المتعين دون غيره من الذين اعتلوا كرسي الحكم بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو صلوات الله وسلامه عليه ممن اصطفى الله سبحانه وتعالى وممن عنده علم الكتاب وهو المقصود بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾(1)، فقد تواتر الخبر عند الشيعة الإمامية تبعا لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بان المقصود من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فعن محمد بن الحسن الصفار وغيره قال: (...عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم وما أوتي من الملك فقال لي وما أعطي سليمان بن داود إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم وصاحبكم الذي قال الله ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب فقلت صدقت والله جعلت فداك)(2).

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن إبراهيم الأشعري عن محمد بن مروان عن نجم عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه وتعالى ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: (صاحب علم الكتاب علي عليه السلام)(3).

---

(1) سورة الرعد الآية رقم ٤٣.

(2) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٢٣٢ باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم ١.

(3) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٢٣٤ باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم٦.

وقد وافق الإمامية من ان المقصود من قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه الثعلبي في تفسيره، حيث أخرج حديثين ذكر فيهما ان المراد من صاحب علم الكتاب هو ما ذكرنا[1].

وكذلك وافقنا الحاكم الحسكاني[2]حيث أخرج في كتابه شواهد التنزيل[3] مجموعة كبيرة من الأحاديث تنص بأجمعها على أن صاحب علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مشتملا على كونه من بني هاشم وعنده علم الكتاب فيكون هو المصطفى من بين جميع الصحابة للوصاية والخلافة والنيابة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه

ويمكن لنا أن نسير بنفس هذا الطريق لإثبات إمامة ووصاية كل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، فهما من بني هاشم فلا يجوز تقديم أحد عليهما حتى وان كان من قريش، لان بني هاشم اصطفاهم الله سبحانه على قريش.

وهما صلوات الله وسلامه عليهما ممن اصطفاهما الله سبحانه وتعالى على بقية بني هاشم بنص آية التطهير فيكونان من ورثة الكتاب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[4]،

(١) تفسير الثعلبي ج ٥ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ في تفسير سورة الرعد الآية رقم ٤٣.

(٢) قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٠٠: (الحسكاني القاضي المحدث أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسكان القرشي العامري النيسابوري الحنفي الحاكم ويعرف بابن الحذاء شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، وهو من ذرية الأمير عبد الله بن عامر بن كريز الذي افتتح خراسان زمن عثمان وكان معمرا عالي الإسناد).

(٣) شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني ج ١ ص ٤٠٠ ـ ٤٠٥.

(٤) سورة فاطر الآية ٣٢.

فتكون الوصاية لهما من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أبيهما صلوات الله وسلامه عليه بلا منازع، وذلك بغض النظر عن كل النصوص الأخرى التي بينت فضلهما ومنزلتهما من الله سبحانه ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبنفس هذه الطريقة أيضا نستطيع أن نثبت إمامة الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واحدا بعد واحد، فهم من بني هاشم وهم أفضلهم، فتكون الوصاية ووراثة الكتاب حقا طبيعيا لهم، وبهذا المعنى وردت الأخبار عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: (إيانا عنى وعلي عليه السلام أولنا وأفضلنا وخيرنا)(١).

وعن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية قال قلت لأبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: (إيانا عنى وعلي عليه السلام أولنا وعلي أفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله)(٢).

المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائديا وتزكيتهم روحيا

إن واحدة من أعظم التكاليف التي كلف بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي مرتبة تربية الأمة وتعليمها والأخذ بيدها إلى سبيل الاستقامة والصلاح قال الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٣) وقد قام بها على أحسن وجه وأكمله نبينا الأعظم

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٢٣٤ باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم٧.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٥ الحديث رقم ١٢.

(٣) سورة الجمعة الآية ٢.

صلى الله عليه وآله وسلم فجزاه الله عن أمته أفضل وأحسن جزاء المحسنين.

من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

معلوم بالوجدان أن المعلم كلما كان ارفع درجة كلما كان تعليمه أرقى وأنفع، وكلما كان زكيا طاهرا كلما كان منهجه أوقع في القلب وأنجع، وقد كان من سعادة هذه الأمة ان كان المربي والمعلم والمهذب لها هو شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذي قد ثبت بالدليل القطعي انه أكمل البشرية وأرفعهم مقاما. فينبغي على هذه الأمة أن تقوم بشكر الله سبحانه الذي منّ عليهم بهذه الفضيلة، ووهبهم مثل هذا المعلم والمربي الكامل.

ولذلك عدّ القرآن الكريم إرسال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الأمة فضلا ومنة وينبغي على الجميع تذكرها وعدم تجاهلها والتغاضي عنها، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(1).

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة التي ذخرها نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأمة المسلمة لما ناجى ربه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(2).

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم)(3).

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

(2) سورة البقرة الآية ١٢٩.

(3) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ٤١٤ ـ ٤١٥.

شروط ومؤهلات المتصدي لتربية الأمة

لابد وبحسب العقل قبل النقل أن يتمتع الشخص المتصدي لتربية الأمة بشرطين أساسيين ليتسنى له القيام بهذه المهمة الإلهية العظيمة:

الشرط الأول: أن يكون أفضل من جميع أفراد الأمة، وتكون مرتبته الكمالية أعلى كل المراتب الكمالية في عالم الوجود، وذلك لان القصد من نصبه مربيا للناس هو الأخذ بأيديهم إلى أعلى درجات الكمال الذي من أجله خلقوا، وما لم يكن ذلك المربي حائزا لذلك الكمال، وجامعا لكل تلك الرتب، فانه لا يتمكن من الأخذ بيد غيره ليوصله إلى ذلك الكمال وتلك المراتب، لان فاقد الشيء لا يعطيه.

الشرط الثاني: لابد لهذا المربي قبل أن يعلم الأمة الكتاب والحكمة أن يكون هو وبالدرجة الأولى عالما بهذا الكتاب متبحراً فيه ومطلعاً على كل أسراره وجميع غوامضه، لعدم إمكان أن يكون هذا المربي يعلم غيره ما لا يعلمه، ولا أن يلقي من الحكمة ما لا يحسنه، وفقا لقاعدة فاقد الشيء لا يعطيه بحال من الأحوال.

هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا في أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه

ولا خلاف بين المسلمين في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجمع بين كلا الشرطين أيام حياته المباركة، ولكن الكلام فيمن يجمع هاتين المنزلتين بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

والنبوة وان انتهت بموته صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الأمة ما زالت بعد بحاجة إلى المربي والمعلم والمزكي من بعده، لأنها لم تبلغ مرحلة العصمة والكمال في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى يمكن أن تستغني وتترك من دون مرب ومعلم وقائد يضع

لها الحلول لمشاكلها المادية والمعنوية، لذلك يصبح من اللازم والضروري وجود من يخلف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام التربية والتزكية لهذه الأمة، ويلزم كذلك أن يتمتع هذا الخليفة المربي بالشرطين السابقين اللذين بيناهما آنفا ولنفس السبب الذي تم ذكره من قبل.

وبناء على ما تقدم شرحه في المرتبتين الأولى والثانية[1] من مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا نجد صعوبة في تحديد الذي يستحق أن يكون خليفة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تولي مرتبة التزكية والتربية والتعليم للأمة.

فأمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه هو الأكمل وهو الأفضل على الإطلاق من بعد شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا يتحقق الشرط الأول من شروط المتصدي لتربية الأمة.

وكذلك هو الأعلم من بين كل الصحابة بالقرآن وأحكامه ولطائفه ودقائق تركيبته، وهو الأكثر إحاطة بأسرار الشريعة وأحكامها، فينحصر مقام المربي به دون غيره من الصحابة أجمعين.

حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) يشهد بذلك

ويشهد بأعلمية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن والشريعة قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحقه: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه)[2].

(١) الأولى هي مرتبة الاصطفاء والثانية هي مرتبة الوصاية والخلافة.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٥٥، الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١١٠٢، فيض القدير للمناوي ج١ ص٤٩، تفسير القرطبي ج٩ ص٦٣٣.



وقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين خمسة أحاديث حكم عليها بالصحة تنص بأجمعها على أن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه هو باب علم المصطفى صلى الله عليه وآله فراجع[1].

وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ردا على من أنكر صحة الحديث وحكم بضعفه: (أنا مدينة العلم وعلي بابها أورده من حديث علي وابن عباس وجابر، قلت: قد تعقب العلائي على ابن الجوزي في حكمه بوضعه فإنه ينتهي بطرقه إلى درجة الحسن فلا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا، وقال ابن حجر صححه الحاكم وخالفه ابن الجوزي فكذبه، والصواب خلاف قولهما والحديث حسن لا صحيح ولا كذب)[2].

وقال المناوي في الفيض القدير: (وقال ابن معين: لا أصل له. وقال الدارقطني: غير ثابت وقال الترمذي عن البخاري: منكر، وتعقبه جمع أئمة منهم الحافظ العلائي فقال: من حكم بوضعه فقد أخطأ والصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف وليس هو من الألفاظ المنكرة التي تأباها العقول...وقال الزركشي: الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن كونه موضوعا، وفي لسان الميزان هذا الحديث له طرق كثيرة في المستدرك أقل أحواها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي إطلاق القول عليه بالوضع... ورواه الخطيب في التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال: قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح. قال الخطيب: قلت أراد أنه صحيح من حديث أبي معاوية وليس بباطل إذ رواه غير واحد عنه وأفتى

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني ص ٩٥.

بحسنه ابن حجر وتبعه البخاري فقال: هو حديث حسن)[1].

وقال المناوي أيضا: (قال الراغب: والباب يقال لمدخل الشيء وأصله مداخل الأمكنة كباب الدار والمدينة ومنه يقال في العلم باب كذا وهذا العلم باب إلى كذا أي منه يتوصل إليه ومنه خبر: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» أي به يتوصل)[2].

وقال في موضع آخر: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من باب فأخبر أن بابها هو علي كرم الله وجهه فمن أخذ طريقه دخل المدينة ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمحالف، خرج الكلاباذي أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عليا هو أعلم مني فقال: أريد جوابك قال: ويحك كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزه بالعلم عزا وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: ههنا علي فاسأله فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين قال: لا أقام الله رجليك ومحى اسمه من الديوان)[3].

ويشهد بذلك أيضا قول عمر بن الخطاب: (علي أقضانا)[4] والقضاء كما لا يخفى يستلزم علوما كثيرة يجب أن يحيط بها القاضي ومن أهم تلك العلوم علم الكتاب وجميع تفاصيل أحكامه وغوامض أسراره.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٣ ص ٦١.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٣ ص ٦٠ ـ ٦١.

(٤) مسند احمد بن حنبل ج٥ ص١١٣، فتح الباري لابن حجر ج٧ ص ٦٠، الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص١٧، تفسير ابن كثير ج١ص١٥٥.

وبنفس هذه الطريقة من الاستدلال وبالاستفادة مما سبق يمكن إثبات أحقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتولي منصب التربية والتعليم والأخذ بيد الأمة نحو أعلى مراتب الكمال، بوصفهم الأكمل والأعلم.

صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها

ولا يتوهم بأن مرتبة تربية الأمة وتزكيتها يمكن أن تمنح لكل من هب ودب من البشر، وذلك لعظيم أهميتها وجسيم خطرها، ولأنه لا يجيدها غير أربابها الشرعيين ومن جعلت له من الله على نحو الاصطفاء والاختيار.

والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على عظيم منزلته وكماله وشديد تحمله كان يضيق صدره في بعض الأحيان كما قال الله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾(1) فكان غالبا ما يواسيه الله سبحانه ويوصيه بالصبر والثبات كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾(2)، وقال سبحانه وتعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾(3)، فإذا كان صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضيق ويستدعي المواساة والوصية بالصبر فكيف حال من هو غير معصوم ولا مؤيد ومسدد من قبل الله سبحانه وتعالى.

وأمر التربية والتزكية والتوجيهات يسير به المعصوم نبيا كان أو إماما على وفق برنامج محدد ومعين ووفق نظام وإشراف الهي لا يزيد المعصوم صلوات الله وسلامه عليه من تلقاء نفسه شيئا إلا على وفق إذن خاص ولو حاد عن هذا النهج ـ وحاشاه أن يحيد ـ

(1) سورة الحجر الآية ٩٧.

(2) سورة طه الآية رقم ١٣٠.

(3) سورة الأحقاف الآية رقم ٣٥.

لتعرض من الله سبحانه وتعالى إلى ما أشارت له الآية المباركة ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فكيف يكون يا ترى حال من يتسلق إلى هذا المنصب ويتصدى له من دون أن يكون لذلك أهلا.

ولا يخفى أيضا ما للتربية من اثر سلبي أو ايجابي بحسب جنسها فإن تولاّها أولياء الله الكاملون المعصومون المطهرون من كل رجس وعيب فإن أثرها سيكون ايجابيا تنمو به الأمة وتتكامل وترقى في سلم الفضائل، أما لو تصدى لتربية الأمة غير المعصوم والخائن والغاصب والمداهن والمقصر فان أثره سيكون وخيما وسوف لن تؤول أمور الأمة إلى أكثر من أن يصبح حال أفرادها عين حال ذلك المربي وأوصافهم أوصافه ومعائبهم معائبه، فيقع ذلك المربي في محذور حمل أثقاله وأوزاره وإثم توليه وتقدمه على الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغير حق، وأثقال وأوزار من يسقط في حبال اتباعه وطاعته.

إذن فمسألة تولي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لمقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ودفع أعداء أهل البيت لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن تلك المراتب والمنازل وتسلطهم عليها ظلما وعدوانا هي مسألة غاية في الأهمية وعلى أساسها يترتب هلاك الأمة أو صلاحها، وعلى اتباع احد الفريقين[2] يتوقف رضوان الله والجنة أو غضبه والنار فلينظر كل مسلم ومؤمن في أي ركاب يضع قدمه.

وهنالك مقامات ومراتب لأهل البيت عليهم السلام أعرضنا عن الخوض في تفاصيلها طلبا للاختصار.

(١) سورة الحاقة الآية ٤٤ . ٤٦.

(٢) الفريق الأول هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، والثاني هم الذين غصبوا مراتبهم ونزوا على مواضعهم.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

محق الدين وتحريف الأحكام

من يتابع التاريخ الإسلامي ويمعن النظر في مرحلة ما بعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجد أنّ كارثة عظيمة ورزية جليلة قد حلت بالدين الإسلامي وأحكامه، وهذه الكارثة هي ما يمكن أن نسميها بكارثة محق الدين وتحريف معالم الإسلام وأحكامه.

فجميع المسلمين مجمعون على أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يرحل عن هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل مهمته في التبليغ وإكمال الدين، وهو ما نص عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وعليه فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل دينه الذي ارتضاه للناس، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أدى جميع ذلك بكل إخلاص وحرص إلى أمته، فما الذي جرى لينقلب هذا الدين الكامل التام الذي لا يشوبه نقص ولا يعتريه اعوجاج وخلال بضع سنين ليتحول إلى دين مشوه لا روح له، ويصبح المجتمع الإسلامي وخلال مدّة قصيرة لا يتذكر ولا يعرف أوضح الأحكام الشرعية التي جاء بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والتي مارسها هو وأصحابه ولسنين عديدة، كالصلاة والصيام وغيرها من الأحكام الواضحة التي كان من المفترض أن تكون بديهية لجميع أفراد الصحابة، فهذه ظاهرة جديرة بالبحث والتمحيص لمعرفة الأسباب التي أدت إلى هذا الانقلاب السريع والواسع لمبادئ وأسس الشريعة والنظام في المجتمع الإسلامي بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وسنثبت فيما يأتي بما لا

(١) سورة المائدة الآية ٣.

يقبل الشك ان السبب الأساس لهذا الانقلاب الخطير هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وفيما يأتي تفصيل لهذه الحقيقة.

هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟

وليس فيما تقدم أي نوع من أنواع الافتراء والتجني على الصحابة، لان ما ذكرناه آنفا ليس من الأشياء الخفية، وكل ما قلناه مبني على الاعترافات الكثيرة التي شهد بها الصحابة أنفسهم على أنفسهم، أو على بعضهم البعض، أو على حقبة هم عاشوا أيامها ونقلوا لنا حقائقها المريرة.

فالصحابة أنفسهم قد اعترفوا وبمناسبات شتى بوقوع هذا المحق والتحريف الذي طرأ على الإسلام وأحكامه وتشريعاته، ولا يخفى أن شهادة الصحابة على أنفسهم، أو شهادتهم على بعضهم البعض، أو شهادتهم على عصرهم الذي عاشوا فيه وشهدوا أيامه، تعدّ مهمة وخطيرة في نفس الوقت، لأنها شهادة حضور ودراية ومعايشة للواقع الذين عاشته الأمة الإسلامية في تلك المرحلة المهمة من مراحل التاريخ الإسلامي والتي تعدّ مرحلة تأسيس وتأصيل بالنسبة لما بعدها من المراحل.

ولكي لا يكون كلامنا مجرد إدعاء، فاننا نقدم للقارئ العزيز بعض تلك الشهادات التي عكست وبشكل لا يقبل التأويل فداحة تلك الفاجعة، وبشاعة تلك المصيبة التي نزلت على الإسلام وأهله، وقد اخترنا على عجل مجموعة من الشواهد لأفراد عاشوا تلك الأيام وسجلوا شهاداتهم ومعايناتهم تارة بأسلوب الحسرة والألم على ما فات وتمني أن يعود ما قد كان، وتارة بأسلوب الرفض والنقمة على الواقع

الذي وصلت إليه الأمة، وغالبا ما تصاحب هذه الشهادات دموع تجري على خدود الشهود علها تمسح عنهم بعض الشعور بوخز الضمير لمشاركتهم بنحو أو بآخر في إيجاد هذا الواقع المرير.

وسنترك التعليق على تلك الشهادات والاعترافات، لأنها وحدها كافية في إيضاح الصورة وبشكل لا يقبل الشك.

الشاهد الأول: انس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئا حتى الصلاة

قال البخاري في صحيحه: (حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا مهدي عن غيلان عن أنس قال: ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها)؟![1].

وقال أيضا: (حدثنا عمرو بن زرارة قال أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبي رواد أخو عبد العزيز قال سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت)[2].

الشاهد الثاني: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقال البخاري أيضا: (حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال سمعت سالما قال سمعت أم الدرداء تقول دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما اعرف من أمة محمد صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٤ باب تضييع الصلاة عن وقتها.
(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٤ باب تضييع الصلاة عن وقتها.

وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)[1].

الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضا

وروى الإمام مالك بن أنس بن مالك في كتابه الموطأ: (حدثني يحيى عن مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة)[2].

الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بان الصحابة أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وعن البخاري في صحيحه قال: (حدثني أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة فقال يا ابن أخي إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده)[3].

الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلي

أخرج البيهقي في السنن الكبرى: (عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبون فقلت يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال لبيك اللهم لبيك وان رغم أنف معاوية اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي رضي الله عنه)[4].

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٥٩ باب وجوب صلاة الجماعة.

(٢) كتاب الموطأ للإمام مالك ج ١ ص ٧٢ كتاب الصلاة باب ما جاء في النداء للصلاة.

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٥ ـ ٦٦ باب غزوة الحديبية.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١١٣ باب الوقوف بعرفة.

الشاهد السادس: عثمان بن عفان يكتم أحاديث النبي خوف أن يتفرق الناس عنه

أخرج احمد بن حنبل في مسنده:

(عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عني ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)[1].

لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟

والسؤال الذي يجب أن نبحث له عن إجابة حقيقية هو: ما الذي جرى على الصحابة حتى تغيروا وتبدلت أحوالهم بهذه السرعة المذهلة؟ ففقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تمض عليه إلا سنوات معدودات، ومع ذلك ماتت سنته وأحكامه، بل مات الإسلام وشرعه، بشهادة من كان يعيش من الصحابة في تلك الأيام.

ولا نجد جوابا يمكن أن نركن إليه سوى أن هذا الانحراف والتردي الذي وقعت فيه الأمة كان بسبب فقدانها للمربي والمعلم والحافظ للشريعة، وذلك لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمارس هذا الدور طوال مدّة حياته الطيبة المباركة، فلما حل اجله ودعاه خالقه سبحانه وتعالى لجواره أوكل هذه المهمة العظيمة والخطيرة إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده إلى الأئمة من أهل بيته، لكن الأمة وبسبب سوء اختيارها قد حالت بينهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين هذا المرتبة التي رتبهم الله فيها، فتقمص هذا المنصب من لا أهلية له لمنصب المربي والمرشد للأمة، وتصدى لهذه المهمة أناس كانوا



(١) مسند احمد للإمام احمد بن حنبل ج ١ ص ٦٥ مسند عثمان بن عفان.

بحاجة مستمرة ودائمة إلى هداية الآخرين وإرشادهم، وهو ليس افتراء منا على أحد، فقد قال الأول بعد أن صار حاكما: (إنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وان رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطانا يعتريني)[1].

فمن يكون بحاجة دائمة إلى مشورة ومساعدة وهداية الآخرين كيف له أن يهدي أو يرشد غيره؟ وكيف يستطيع أن يهدي إلى الحق من هو محتاج إلى الآخرين ليقوموه إذا زاغ، وكيف يمنع عن الأمة ويدفع عن المسلمين كيد الشيطان ومخططاته من كان له شيطان يعتريه ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

فسبب التراجع المستمر والانحطاط المتواصل لمستوى الدين والإسلام هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن منازلهم، واعتلاء غيرهم ممن لا أهلية له ولا لياقة لتلك المناصب والمراتب، ولهذه الحقيقة شاهد من السنة النبوية الشريفة فقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا أم الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا في سفال)[3] وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (ما من قوم ولوا أمورهم رجلا وفيهم من هو خير منه إلا كان أمرهم إلى سفال)[4].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢١٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٣٠٣.

(٢) سورة يونس الآية رقم ٣٥.

(٣) المغني لعبد الله بن قدامة ج٢ ص٢٠، والشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ج٢ ص٢٠، وكنز العمال للمتقي الهندي ج٦ ص٧٨.

(٤) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج١ ص١٩٧.

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم

اتّسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته الشخصية بنمط وأسلوب خاصين، فسيرة الزهد والإعراض عن الحياة الدنيا وملذاتها كانت صفته التي لازمته طوال مدّة بقائه صلى الله عليه وآله وسلم في دار الدنيا.

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح

وقد نقل لنا الصحابة الذين عاشوا أيام حياته الطيبة المباركة هذه الحقيقة فعن عائشة قالت: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)[1].

وعن ابن عباس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)[2].

وقد أخرج النووي في رياض الصالحين عن عبد الله بن مسعود قال: (نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه. قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)[3].

---

(١) سنن الترمذي ج٤ ص٩، مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٨، البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٥٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٥٥، سنن الترمذي ج٤ ص١٠، المعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٥٩.

(٣) رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووي ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

ولا يتوهم بأن هذا التقشف في العيش ناتج عن قصور في منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله سبحانه وتعالى أو هوانه في الملأ الأعلى حاشاه، بل لأجل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينظر إلى الدنيا بنظر القرآن الكريم وبعين الملأ الأعلى، فكانت عنده وكل ما فيها متاعاً زائلاً، وان من يركن إليها ويغتر بها فقد ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) ولو شاء صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يملأ له الأرض ذهبا لفعل، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا. قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما...)(٢).

الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

لم يكتف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من جعل الزهد والترفع عن هذه الدنيا ولذاتها شعارا له، حتى جعل ميزان القرب والبعد عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الله سبحانه هو مقدار زهد العبد وترفعه عنها، فأقربهم إليه أزهدهم فيها، وأغبطهم عنده أشدهم تعلقا بالآخرة لأنها الأبقى، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الميزان بقوله: (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك)(٣).

---

(١) سورة التوبة الآية رقم ١٠٩.

(٢) مسند احمد ج٥ ص٢٥٤، فتح الباري لابن حجر ج١١ ص٢٥٠، الجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص١٥٢.

(٣) تفسير البغوي ج١ ص١٧٧، كنز العمال ج٣ ص١٥٣، الجامع الصغير ج١ ص٣٣٧، سنن الترمذي ج٤ ص٦.

وفي حديث آخر جعل صلى الله عليه وآله وسلم الفقر من علامات حبه، فعن الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين قال: (فقد حدثنا علي حمشاذ العدل ثنا محمد بن غالب ثنا عفان ثنا همام حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه انه أتى صلى الله عليه وآله فقال إني أحبكم أهل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وآله فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[1] ولم يخرجاه)[2]، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم وفقا لهذا الحديث علامة الحب الصادق لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الفقر، لأنك لا تجد واحدا من الناس سواء من الصحابة أو من بقية المؤمنين برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ويدعي بأنه يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لكل شيء علامة وعلامة صدق المحبة هي الفقر والزهد في هذه الدنيا الدنية.

وعن النووي في رياض الصالحين عن عبد الله بن مغفل قال: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله والله إني لأحبك. فقال: انظر ماذا تقول، قال: والله إني لأحبك «ثلاث مرات) فقال: إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه، رواه الترمذي وقال حديث حسن)[3].

تفاعل المسلمين مع نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت

وقد سار المسلمون على هذا النهج في التقشف والزهد وترك الدنيا سنين عدة، حتى إن بعضهم كان يغمى عليه من شدة الجوع والفقر والحاجة، فعن فضالة بن عبيد قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم

(١) يقصد بالشيخين البخاري ومسلم فمع ان الحديث صحيح وفقا لموازينهما إلا أنهما لم يخرجاه.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٣٣١.

(٣) رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووي ص ٢٦٩.

في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم، فقال لو تعلمون: مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة)[1].

وبروحية الزهد في الدنيا والإعراض عن زخارفها كان يخرج أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقتال والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فعن سعد بن مالك قال: (إني أول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الحبلة وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة)[2]، وقال سعد بن أبي وقاص أيضا: (ولقد رأيتني أغزو في العصابة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة والبعير)[3].

انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل

لم يستمر ولشديد الأسف ذلك الانشداد والعمل والسير على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أصحابه سنين طويلة، فقد صار الشعور بعدم كون الدنيا ذات قيمة وأهمية يضعف يوما بعد يوم في قلوب الصحابة، وبدأ الصحابة يتجهون اتجاها ماديا دنيويا ولاسيما في السنين الأخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخير شاهد على

---

(١) صحيح ابن حبان ج٢ ص٥٠٢ ، فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٥ ص٤٠٤، المعجم الكبير ج١٨ ص٣١٠.

(٢) مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٨١ ، سنن الترمذي ج٤ ص١٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص١٠٦.

(٣) صحيح مسلم ج٨ ص٢١٥ ، مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٧٤ ، سنن الدارمي ج٢ ص٢٠٨ ، سنن الترمذي ج٤ ص١١.

هذه الحقيقة هو ما وقع في السنة التاسعة للهجرة النبوية المباركة وبالتحديد في غزوة تبوك.

ففي هذه السنة وبحسب ما يدعي المؤرخون كان المسلمون يمرون بعسرة شديدة جراء القحط والجفاف الذي أصاب الحجاز حتى أطلق على ذلك العام بعام العسرة أو سنة العسرة، وسموا جيش تبوك بجيش العسرة، ولعل سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلى تلك المصاعب الجسام التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتهيئة هذا الجيش والتي سنعرف قسما منها في أثناء تسلسل البحث.

سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش

وقد كان سبب الغزوة كما نص عليه المؤرخون هو أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وصلت إليه أخبار مفادها أن ملك الروم قد هيأ جيشا عظيما لغزو المسلمين؛ لأنهم وبحسب رؤيته القاصرة صاروا يشكلون تهديدا حقيقيا للدولة الرومانية، بسبب ان دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمد الإسلامي وصل إلى أرض الشام التي كانت مستعمرة من مستعمرات الدولة الرومانية في ذلك الوقت، فقرر ملك الروم بسبب هذا التهديد غزو الجزيرة العربية وإخضاعها للسلطة الرومانية والقضاء على الدولة الإسلامية في نفس الوقت، فحشد جيوشه في منطقة تبوك المتاخمة لأرض الحجاز، ليبدأ من هنالك الجيش المعتدي بالتحرك.

فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان في مثل هذا التحرك تهديداً لأساس الدولة التي شيدت بدماء الشهداء والمضحين والمخلصين من الصحابة، والتي بذل النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الغالي والنفيس من اجل إرساء قواعدها، لذلك قرر مواجهة هذا التهديد بنفسه الشريفة، وان يحشد لمواجهة الجيش الروماني اكبر عدد ممكن من

المسلمين وحلفائهم.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله رسله إلى القبائل العربية وصرح لهم بأنه يريد غزو الروم، خلافا لعادته صلى الله عليه وآله في سائر غزواته وحروبه التي سبقت تبوك، إذ لم يكن صلى الله عليه وآله يخبر عن مقصده إلا خواص أصحابه، حتى لا يتسرب الخبر إلى مسامع العدو، وليس هذا التصريح بالمقصد إلا من اجل أن يضع النبي الجميع على محك الاختبار كي يتبعه من يتبعه على بينة، ويتخلف من يتخلف عنه عن بينة أيضا، وليكشف، من ثم، إلى الأجيال وعلى امتداد العصور تلك الظروف القاسية التي كانت تحيط به وبدعوته، وليبين لنا وللأجيال زيف تلك الأمة المتسترة بلباس الإسلام والإيمان والتي متى ما محصت بالبلاء والاختبار ظهرت حقيقتها جلية واضحة للعيان.

كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله بالالتحاق بجيش تبوك

بعدما دعا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الناس للتجهز وإعداد العدة للمسير إلى تبوك لقتال الروم استقبل الناس هذه الدعوة على ثلاثة أقسام نستطيع أن نجمل حولهم القول فيما يأتي:

القسم الأول: وهم الذين استجابوا لدعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بنفس مطمئنة وقلب عامر بالإيمان تاركين من خلفهم النساء والأطفال امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وآله وهؤلاء ولشديد الأسف القلة القليلة من ذلك الجيش كما سنعرف.

القسم الثاني: وهم الذين تجهزوا واستجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وآله كرها وبلا أدنى رغبة للخروج والشخوص لمواجهة العدو وترك المدينة، وهذه الشريحة من الناس كانت تمثل الطبقة الكبرى من الجيش، والذين تشبثوا بمختلف الأعذار

والحجج في سبيل التخلف عن الجيش، فتجهزوا يوم تجهزوا وهم كارهون.

وهذه الحقيقة المرة صرح بها المؤرخون أمثال ابن هشام في سيرته، إذ قال: (إن رسول الله أمر بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن من عسرة الناس وشدة من الحر وجدب في البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص)(١).

وقال ابن الأثير في تاريخه: (وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره)(٢).

وقال المقريزي وغيره من المؤرخين: (وكان الناس في حر شديد وحين طابت الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها...)(٣).

من هم المعبر عنهم بلفظ الناس في القسم الثاني

ويظهر من النصوص السابقة عدة من الحقائق المهمة:

١: إن عدد الكارهين للخروج والرافضين للاستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ مقدارا كبيرا جدا بحيث استدعى المؤرخين إلى وصفهم بكلمة الناس، فقال عنهم ابن هشام (والناس يحبون المقام... ويكرهون الشخوص) وقال ابن الأثير (فأحب الناس المقام... فتجهزوا على كره) وقال المقريزي (والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص) فإطلاق اسم الناس عليهم دليل على أن اغلب من التحق بجيش العسرة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٣، السيرة الحلبية ج٣ ص٩٩، الدر المنثور للسيوطي ج٣ ص٢٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ٢٧٧.

(٣) إمتاع الأسماع ج٢ ص٤٨، تاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٦، الدر المنثور ج٣ ص٢٤٨، تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٣.

كان موصوفاً بالتثاقل والكراهية للشخوص والامتثال لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ لو كان الرافض والمتثاقل فئة قليلة محدودة لما صح وصفهم بالناس ، إذ إن إطلاق لفظ الناس يقتضي الأعم الأغلب من سكان المدينة المنورة لا فئة قليلة منهم ، وعلى هذا جرت عادة العرب في كلامهم ، وهو في آيات القرآن الكريم من الوضوح بمكان قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) ، وقال سبحانه وتعالى أيضا : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(٢) ، وقال سبحانه وتعالى أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

٢ : وكذلك يظهر من النصوص السابقة ، ان العدد الغالب من الصحابة بدأ يتجه اتجاها دنيويا محضاً غير ما كان يعهده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، فقد كانت غاية كل واحد منهم فيما سبق من الأيام ، أن ينال الثواب والأجر الذي وضعه الله سبحانه وتعالى للمجاهدين ، فكانوا فيما سبق على استعداد لترك الدنيا وما فيها من أهل وولد وأموال وثمار من اجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقتل في سبيل الله والجنة. أما اليوم وفي تبوك بالذات وبعد طول المدة واشتداد المحنة قست القلوب فتثاقلوا عن النصرة ورضوا بالعرض الأدنى وحلت الدنيا في أعينهم.

القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة

وهم المتخلفون الذين واجهوا أمر النبي بالتجهيز لجيش العسرة بالعصيان والتحدي ، وهم ما بين الثلاثين ألفا والسبعين ألفا من المقاتلين ، قال جلال الدين السيوطي : (قال ابن إسحاق كانوا ثلاثين ألفا وقال أبو زرعة الرازي كانوا سبعين

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢١.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٨٩.

(٣) سورة الحج الآية رقم ١.

ألفا)[١].

وقد نص المؤرخون على ان عدد المتخلفين عنه ﷺ في غزوة تبوك (هم ليسوا بأقل العسكرين)[٢] أي إن عدد من خرج مع رسول الله ﷺ في عسكره كان مساوياً لعدد من تخلف، فإذا عرفنا أنّ عدد من خرج مع النبي ﷺ كان يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف مقاتل على اختلاف التقادير، فيصبح عدد المتخلفين عنه ﷺ يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف متخلف.

أفعال يستنكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان

لم يكتف هذا القسم الثالث من العاصين بمخالفة الرسول الأعظم ﷺ وعدم التهيؤ والاستعداد للخروج معه حتى تعدى خبثهم الحد، وبدأ وضعهم يأخذ أبعادا جديدة وخطيرة ليست في صالح النبي ﷺ ولا الرسالة، فتشكلت بعض الجماعات المناوئة لتحركات النبي ﷺ كان هدفها الوقوف بوجه مخططاته وإفشال مساعيه لجمع الجيش وتجهيزه.

منهم الذين اجتمعوا في بيت من بيوت المدينة يثبطون الناس ويخوفونهم من لقاء الروم حتى اضطر النبي صلى الله عليه وآله إلى ان يبعث إليهم من يفرقهم ويحرق البيت عليهم وينهي اجتماعهم[٣].

ومنهم الجد بن قيس الذي كان يحرض الناس علنا ويخوفهم قتال الروم

(١) الديباج على مسلم لجلال الدين السيوطي ج ٦ ص ١٢٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٥، تاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٨، البداية والنهاية ج٥ ص١١، السيرة النبوية ج٤ ص١٢، تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٣١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٤، البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٧، السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦.

ويثبطهم عن الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم الذين كانوا يشيعون بين المسلمين ان لا تنفروا في فصل الصيف وحره وانتظروا فصل الشتاء وطيب جوه فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1].

وأضمر كثير من هؤلاء المتخلفين بل وحتى كثير من الملتحقين على كره وإجبار ما في نفوسهم من العداوة والنفاق والتثاقل مخافة أن ينزل فيهم قرآن يتلى يخبر الناس بحقيقة ضمائرهم ويكشف الستار عن مكنون سرائرهم وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[2].

وأنت خبير بحكمة نزول القرآن الكريم في كل حدث في هذه الأيام وفي كل فعل بل وحتى في كل ضحكة لهؤلاء المتمردين كما في قوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾[3] فهو دليل على أن تلك الأقوال والأفعال وحتى الضحكات كانت تجد لها أرضا خصبة تؤثر فيها، وهو دليل على أن هذه الجماعات المتمردة كان لها نفوذ واسع وقوي وكلمة مسموعة في صفوف تلك الأمة، وإلا كيف استطاعوا التأثير في الأمة وإقناع ثلاثين ألفا أو سبعين ألفا.

وعلى أي حال فقد كانت هذه الظاهرة من العصيان الجماعي لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف العلني بوجهه صلى الله عليه وآله وسلم هي بداية تحول جديد للصحابة وهو ما

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٦، إمتاع الأسماع للمقريزي ج٨ ص٣٩٢، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٠٣.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٦٤.

(٣) سورة التوبة الآية رقم ٨٢.

يمكن أن نعدّه بداية ظهور الردة العلنية والجماعية التي أعقبتها فتنٌ بعدها فتناً وردات.

وليست هذه الحادثة الشاهد الوحيد الذي يبين هذا التحول والتبدل فإن شئت فتأمل في بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجيش أسامة وتخلفهم عن الجيش ورفضهم تسييره حتى لعنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الحوادث التي تجعل الحق أمامك كالشمس.

نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث

يمكن ومن خلال ما مر أن نخلص إلى عدة نتائج مهمة يتضح من خلالها علة مسارعة الأمة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتنحية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ومن هذه النتائج ما يأتي:

الأولى: انهم ملوا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه في الزهد وترك الدنيا

ان كراهة المسلمين للقتل والقتال والتثاقل عن التضحية والركون إلى الدنيا وكراهية خروجهم مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تبوك وغيرها[1] والتخلف عنه بحجة ان الثمار قد طابت والظلال قد حلت في أعينهم وغير ذلك من الأسباب التافهة، كل هذه الحجج والأعذار توضح ان المسلمين قد ملوا في السنوات الأخيرة

---

(١) منها: أنهم كرهوا الجهاد وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تركه ورغبوا في الدنيا وزهدوا في ثواب الآخرة وبخلوا بأنفسهم عن نصره حتى أنزل الله تعالى فيهم قرآنا، فقال تعالى: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ❖ يجادلونك في الحق من بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» سورة الأنفال ٥ ـ ٦.

ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالخروج إلى بدر فتثاقلوا عنه واحتجوا عليه ودافعوه عن الخروج معه فأنزل الله تعالى فيهم: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) راجع كتاب وقفة مع الدكتور البوطي لهشام آل قطيط ص١٤٩.

من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفقر وحياة التقشف التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشجع المجتمع عليها، وخافوا من القتل والقتال في سبيل الله سبحانه.

ونفس هذا السبب قد شارك ولحد بعيد في انقلاب الناس وإعراضهم عن بيعة الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فانهم قد تيقنوا بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه لو قدر له أن يصل إلى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه سيسير فيهم بنفس سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيستمر من ثم في جهاد الكفار والمنافقين وسيستمر على نفس المنهج في التقشف والزهد، فكرهوا ذلك وأحبوا الراحة وطمحوا إلى الدعة والترف في العيش، وأحبوا الدنيا التي هي رأس كل خطيئة وركنوا إليها، وضربوا بكل وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عرض الحائط.

فالأمة جميعا إلا ما خرج بالدليل كانت تتمنى أن يتغير الحال الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك ما إن بادر جمع منهم إلى تنحية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقامهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها حتى أطاعتهم الأمة بكل أفرادها، وهو ما يدلل على وجود تواطؤ اجتماعي على غصب حق أهل البيت صلى الله عليهم وسلم ورفض ولايتهم وكراهية أمرهم، ولكن لم يكن للبعض الجرأة على المبادرة في التغيير والرفض، وما إن تجرأ بعضهم وأسس هذا الأساس حتى عمه الجميع بالرضا والقبول فعمهم الله سبحانه باللعن والسخط.

الثانية: دور المتخلفين عن غزوة تبوك في دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم

لقد حاول البعض ان يضع ذلك العدد الضخم من المتخلفين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك في خانة (عبد الله بن أُبي) المنافق تمويها وطمسا للحقيقة[1]،

(١) قال ابن كثير في السيرة النبوية ج٤ ص١١ ـ ١٢: (قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : ثم استتب ←

والتحقيق يكشف لنا ان العدد الأكبر منهم كان من المهاجرين والأنصار من غير جماعة عبد الله بن أُبي، ويدل على ذلك رواية كلثوم بن الحصين لما سأله النبي عن أقوام قد تخلفوا عنه صلى الله عليه واله، فقال صلى الله عليه وآله لكلثوم وقلبه يعتصر ألما: (ما منع احد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطا في سبيل الله، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم)[1].

وقال الثعلبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]: (الآية فيها حث من الله سبحانه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر فأحرقت النخل وطابت الثمار وعظم على الناس غزوة الروم، وأحبوا الظلال والمقام في المسكن والمال، فشق عليهم الخروج إلى القتال)[3] فالآية باعتراف الثعلبي فيها حث لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم من عظم

برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس، وضرب عبد الله بن أبي عدو الله عسكره أسفل منه وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب).

(١) صحيح ابن حبان ج١٦ ص ٢٤٨، المعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص ١٨٦، موارد الظمآن للهيثمي ج٥ ص٣٥٥، البداية والنهاية ج٥ ص٢٤، السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ٩٥٦، السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٤، المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٥٩٤.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٣٨.

(٣) تفسير الثعلبي ج ٥ ص ٤٦ تفسير سورة التوبة الآية ٣٨.

وشق عليهم الخروج إلى القتال.

وقال السمعاني في تفسير هذه الآية: (نزلت الآية في غزوة تبوك، وكانت الغزوة في حارة القيظ حين أينعت الثمار وطابت الظلال فشق على المسلمين مشقة شديدة وتخلف بعضهم بالعذر، وتخلف بعضهم بلا عذر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: «اثاقلتم إلى الأرض» أي: تثاقلتم؛ وحقيقة المعنى: قعدتم عن الغزو وكرهتم الخروج)[1]. وقوله: فشق على المسلمين، وقوله: وتخلف بعضهم، أي بعض المسلمين بعذر، وقوله: وتخلف بعضهم، أي بعض المسلمين بلا عذر، فيه إشارة واضحة لما قدّمنا.

والمهم أنْ نعرف أنّ هذه التكتلات المتمردة من المهاجرين والأنصار وغفار وأسلم كان لها الأثر البالغ في سلب البيعة من الإمام أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه وإنكار الوصية له، لان من لا يطيع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتجهيز غزوة، كيف يعقل أن يطيعه في تولية الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه من بعده، والذي يعلم الجميع بأنه صلوات الله وسلامه عليه نسخة منه صلى الله عليه وآله وسلم لا بل هو نفسه.

الثالثة: تقهقر الأنصار عن نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى انقلاب موازين الصراع

إن الأنصار بوصفهم قد بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النصرة والمؤازرة وردع كل من يحاول تثبيط الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم في تبوك بالذات صار يعصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى ومسمع منهم دون أن يحركوا ساكنا، فلم يتكلف واحد منهم الرد على التحريض العلني للجد بن قيس، أو غيره من الذين اجتمعوا في بيت من بيوت المدينة، يحرضون الناس على التخلف حتى أحرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) تفسير السمعاني ج ٢ ص ٣٠٩.

عليهم البيت، وهذا السكوت إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الأنصار قد تنصلوا عن البيعة، وتخاذلوا عن النصرة، فلم يعودوا يردّون جورا ولا هم ينصرون، حتى إن كثيرا منهم بقي مع القواعد والمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا التخاذل والنكث للبيعة والنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له الأثر البالغ في سلب أهل البيت حقهم وتنحيتهم عن مراتبهم وإزالتهم عن مقامهم الذي أقامهم الله سبحانه وتعالى فيه، لان الأنصار لو كان قد قدر لهم أن يقفوا مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما كان لأحد القدرة على منازعة أهل البيت حقهم ولما طمع في إزالتهم عن مراتبهم طامع.

من هذا المنطلق نفهم سبب قيام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بحمل السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليلا ليطوف وإياها على مجالس الأنصار يسألانهم النصرة على من ظلمها وظلم أهل بيتها، وإلقاء الحجة عليهم ووضعهم أمام مسؤولياتهم وشروطهم التي اشترطوها على أنفسهم يوم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعدوه النصرة لدينه، لكنهم وبعد كل مرة يطلب منهم ذلك يجيبون: (يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فقال لهم علي عليه السلام: أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم ادفنه وأخرج أنازع سلطانه؟ فقالت لهم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم)[1] ولم يكن جوابهم هذا بمستغرب بعد أن سبق وشرحنا حالهم وتثاقلهم عن النبي ونصرته، فكيف يا ترى ينصرون عليا وأهل بيته وهم قد ملوا أيام رسول الله وكل شيء يمكن أن يذكرهم أيامه ويعيد عليهم سنته.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٩ تحقيق الزيني، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص١٣، غاية المرام للسيد هاشم البحراني ج٦ ص ١٨، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج١٠ ص٢٩٥.



وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

في هذه الفقرة الشريفة كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

تواتر اللعن على قتلة أهل البيت عامة وعلى قتلة الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه خاصة في متون الزيارات والروايات اخترنا منها ما يأتي :

عن صفوان الجمال قال : (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام ، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه...ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس وقل : السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها ، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين...)[1].

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي- ص ٧١٧ ـ ٧٢١

ومنها ما عن يونس بن عبد الرحمن انه قال للإمام الصادق: (جعلت فداك إني كثيرا ما أذكر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فأي شيء أقول؟ فقال: قل صلى الله عليك يا أبا عبد الله تعيد ذلك ثلاثا فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد، ثم قال: إن أبا عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى ومالا يرى... ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه فاستقبل وجهك بوجهه وتجعل القبلة بين كتفيك ثم قل: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله...لعنت أمة قتلتكم وأمة خالفتكم وأمة جحدت ولايتكم وأمة ظاهرت عليكم وأمة شهدت ولم تستشهد، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس ورد الواردين وبئس الورد المورود والحمد لله رب العالمين وصلى الله عليك يا أبا عبد الله أنا إلى الله ممن خالفك بريء)[1].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتني به وشرفتني به، اللهم فأعطني فيه رغبتي على حقيقة إيماني بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله... ثم كبر سبع تكبيرات، ثم تمشي قليلا، ثم تستقبل القبر وتقول: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا، اشهد انك دعوت إلى الله والى رسوله، ووفيت لله بعهده، وقمت لله بكلماته، وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة خذلتك، ولعن الله أمة خذلت عنك)[2].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٤ ص ٥٧٥ ـ ٥٧٧.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٥٨ ـ ٣٦٢ الباب ٧٩ زيارات الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما.

وعن أبان بن عثمان، عن أبي همام، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا أتيت قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقل: السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ومن بلغه ذلك فرضي به، وأنا إلى الله منهم بريء)[1].

وعن الحسين بن عطية أبي ناب بياع السابري قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: (من أتى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه كتب الله له حجة وعمرة وعمرة وحجة، قال: قلت: جعلت فداك فما أقول إذا أتيته، قال: تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا، اشهد انك حي شهيد ترزق عند ربك، وأتوالى وليك وأبرأ من عدوك، وأشهد أن الذين قاتلوك و انتهكوا حرمتك ملعونون على لسان النبي الأمي)[2].

ولو أردنا الاستقصاء لكل ما ورد من لعن للأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لطال بنا المقام وفيما قدمنا كفاية لمتدبر.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

الواو عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، وقد مر في الفقرات السابقة معنى اللعن والأمة، فراجع[3].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) راجع شرح عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) المتقدم شرحها.

٢: قَتَلَتْكُمْ

القتل: وهو كما عرفه الفراهيدي بقوله: (قتله إذا أماته بضرب أو جرح أو علة)[١].

وهو كما في الجواهر: (إزهاق النفس المعصومة وإخراجها من التعلق بالبدن)[٢].

وقال أبو هلال العسكري في الفرق ما بين القتل والموت: (القتل هو نقض البنية الحيوانية ولا يقال له قتل في أكثر الحال إلا إذا كان من فعل آدمي...والموت عرض أيضا يضاد الحياة...ولا يكون إلا من فعل الله...والموت ينفي الحياة مع سلامة البنية، ولابد في القتل من انتقاض البنية)[٣].

والقتل غالبا ما يصحبه إذلال حين الإماتة، قال صاحب معجم مقاييس اللغة: (قتل: القاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة يقال قتله قتلا)[٤].

وضمير الجمع في (قَتَلَتْكُمْ) يعود إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والجملة معطوفة على ما قبلها.

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له

كثيرا ما نرى في زيارة عاشوراء أن اللعن للشخص الواحد أو للفئة الواحدة يتكرر لأكثر من مرة، وعليه فربما يتصور البعض بأن هذا التكرار يعد غير منسجم مع البلاغة ومع ما عرف من فصاحة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٥ ص ١٢٧ باب القاف والتاء واللام معهما.

(٢) جواهر الكلام للشيخ الجواهري ج ٤٢ ص ١١.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٤٢٠ تحت رقم ١٦٨٨ الفرق بين القتل والموت.

(٤) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٥ ص ٥٦.

والصحيح انه ليس كل أقسام وأنواع التكرار يعدّ لغوا وغير منسجم مع البلاغة، لان التكرار الذي يكون من ورائه هدف يستدعي التكرار يستثنى من اللغو وعدم البلاغة. والقرآن الكريم مليء بالآيات المكررة كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] فقد تكرر ذكرها في سورة الرحمن واحداً وثلاثين مرة، ولا يوجد قائل من المسلمين يقول بزيادتها ولغويتها والعياذ بالله بحجة تكرارها وذلك لان في تكرارها، هدفاً يصحح هذا التكرار.

وتكرار اللعن للأمة أو غيرها من المفردات التي كررت أو ستكرر لاحقا في فقرات الزيارة ليس بخارج عن مثل هذا التكرار الهادف، ومن أهم أهداف تكرار اللعن في الزيارة هو تبيان الأدوار المتعددة التي قامت بها تلك الجماعات والشخصيات الملعونة، والتي أوجبت تعدد اللعن وتكراره.

فقد تلعن الأمة نتيجة تأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمْ، فتستحق بذلك الشمول بالغضب والطرد من الرحمة الإلهية، وقد تلعن تارة أخرى ومن منظور آخر ولسبب ثانٍ يستوجب اللعن، كمثل أن يكونوا من الدافعين لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ عن مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها أو بسبب قتلهم لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أو غير ذلك.

وقد يلعن الفرد بصفته فردا ضمن أمة ارتكبت فعلا موجبا للعن، كأن يكون ممن شارك في قتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أو يكون ممن مهد ومكن الآخرين من قتلهم، وقد يلعن بصفته فرداً ينتمي إلى بيت من البيوت الملعونة كآل أمية وغيرهم، وقد يلعن كفرد بقطع النظر عن ارتباطه بالأمة أو بالبيت الذي ينتمي إليه، فيلعن

(١) سورة الرحمن الآية رقم ١٣.

على اعتبار ان له دوراً شخصياً مهماً في معركة كربلاء كما لعن الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله وأمثاله.

فيتبين مما سبق ان لتكرار بعض فقرات وألفاظ زيارة عاشوراء هدفاً مهماً للغاية، فبالتكرار نكتشف الأدوار المتعددة التي قامت بها تلك الشخصيات والجماعات التي كان لأفعالهم وأقوالهم تأثير مباشر أو غير مباشر في إحداث فاجعة كربلاء.

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

الظاهر لمن تأمل في نصوص الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو أن الله سبحانه وتعالى خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث ميزهم عن باقي العالمين، وقد مر بعض التفصيل في مبحث (سلامتهم عليهم السلام في عالم الطينة)، وسنضيف هنا ميزة أخرى وهي: ان الله سبحانه قد خلق أبدانهم من طينة قابلة للبقاء والاستمرار الوجودي ما لم يحُلْ بين هذا البقاء والاستمرار حائل، ويمكن أن نستدل على هذه الحقيقة بما يأتي:

أولا: لعدم وجود مانع عقلي من ذلك

العقل لا يمنع من خلق الله سبحانه وتعالى لبدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالكيفية التي تقبل البقاء والاستمرار الوجودي. وذلك لان القدرة الإلهية غير محدودة ولا مقيدة بقيد، إلا أن يكون ذلك القيد مستحيل التحقق

عقلا، وخلق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتلك الكيفية مما لا يستحيله العقل، فيكون داخلاً في نطاق القدرة الإلهية، فعلينا حينئذ ان نبحث في الأدلة الشرعية والروائية لنتأكد هل وقعت وتحققت تلك المسألة في الخارج أم لا، وهو ما سيتبين في الأدلة اللاحقة.

ثانيا: وجود المقتضي لذلك

وإضافة إلى عدم وجود المانع العقلي الذي أوضحناه سابقا، يمكن ان نجد مقتضيا أو عدة مقتضيات ترجح خلق بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباقي أبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية البقاء والاستمرار الوجودي، ومن هذه المقتضيات والمرجحات ما يأتي:

المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقدمهم على كل البشر

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يظهر عظيم شأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كل مراحل وأطوار الخلق، وقد مر علينا سابقا عنايته سبحانه لهم في عالم الأشباح والظلال والذر والأصلاب وغيرها من العوالم، فيكون خلقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق أبدانهم في عالم الدنيا على الكيفية التي تقدمت داخلاً تحت عنوان إظهار الفضل والاختصاص والامتياز على بقية أفراد البشر.

وهذا مقصد مقبول عقلا ونقلا، أما العقل فلعدم وجود المانع، وأما النقل فقد وردت الروايات والزيارات على أن كثيرا من الألطاف الإلهية تعطى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعلة تبيان منازلهم وقربهم واختصاصهم بالله سبحانه وتعالى ويكفي أن نستعرض ما جاء في الزيارة الجامعة الشريفة وبالتحديد عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: (...فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين

حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي...)[1].

المرجح الثاني: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان في نعمة بقائهم وطول عمرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وديمومة وجودهم فائدة لأكبر عدد ممكن من المكلفين وعلى اختلاف العصور والأزمان، لان في وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فوائد لا تحصى ولا تعد، ويمكن لنا اختيار بعض فوائد وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

ألف : أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمان لأهل الأرض من العذاب، كما قال سبحانه وتعالى بخصوص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2]، وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال رسول صلى الله عليه وآله : النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠٧ ما يجزي من القول عند زيارة جميع الأئمة عليهم السلام عن الرضا عليه السلام ذكر الزيارة الجامعة الكبيرة. وراجع نفس المصدر ج٢ ص٦١٣ الزيارة الجامعة.

(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٣٣.

الأرض)[١]، وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال لبقاء العالم على صلاحه وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو أمام قال الله عز وجل: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون)[٢].

باء: وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسيلة من وسائل قبول التوبة والاستغفار لعامة المخطئين والعاصين من أفراد الأمة، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة فيما يخص نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٣]، وفيما يخص باقي أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روى أبو ذر الغفاري قوله: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق إنما مثل أهل بيتي فيكم باب حطة من دخله غفر له ومن لم يدخل لم يغفر له)[٤].

وفي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال...

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٢٠٥.
(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٢٣ ـ ١٢٤.
(٣) سورة النساء الآية رقم ٦٦.
(٤) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٣١٧.

وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب...)[1].

جيم: أهمية وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من الناحية التشريعية، فباستمرار وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستمر نزول القرآن، ويستمر المثل الحقيقي والمرجع الحقيقي للسماء على الأرض، ولا يحتاج الناس إلى اخذ معالم دينهم وأحكام شريعتهم بالقياس والاستحسان بل وحتى بالاجتهاد.

أقول: وتوجد فوائد أخرى لوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطول استقصاؤها في هذه العجالة، وقد وردت بأجمعها في كتب الحديث ومتون الزيارات[2].

وبناء على ما تقدم ففي طول بقائهم ودوام وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فرصة لأكبر عدد ممكن من المكلفين للاستفادة والانتفاع من هذه النعمة العظيمة، التي لا تخفى على أولي الألباب، ولو كان للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اليوم وجود بين الناس، لكان للحياة طعم آخر وقيمة أخرى، ولمنعوا بوجودهم كثيراً من المظالم والمآسي، ولما انتكست أحوال الأمة هذا الانتكاس الرهيب.

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٢٤.

(٢) راجع على سبيل المثال ما ورد في الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦١٥) (وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر).

وما رواه الشيخ الصدوق في (الأمالي ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣) (عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين «عليهم السلام»، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها).

ثالثا: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك

وردت روايات عديدة فيها إشارات واضحة على مسألة خلق أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية الخلود والبقاء والاستمرار ما دام للدنيا وجود، نختار فيما يأتي عدة شواهد روائية مع مراعاة المهم منها:

ألف: روايات الطينة تدل على ذلك

عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا و أبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار)[1].

ومنها ما عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليه يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا...)[2].

ويمكن لنا ان نستنتج من هذين الحديثين حقيقتين مهمتين هما:

أولا: ان أرواح النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خلقت من نور عظمة الله سبحانه وتعالى، وهو شيء لم يشاركهم فيه أحد.

ثانيا: وأما أبدانهم الشريفة فخلقت من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش،

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٨٩.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٠.

وان أرواح شيعتهم وقلوبهم قد خلقت من نفس طينة أبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لم يشاركهم في ذلك أحد غير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعليه فأبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لها مجانسة ومشابهة وسنخية مع أرواح شيعتهم، وبما أن واحدة من صفات الأرواح هي قابلية الاستمرار والخلود والبقاء الوجودي، فيكون لأبدانهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس هذه الخاصية لوجود حالة السنخية بينهما كما تقدم.

وقد أشار إلى ذلك المولى محمد صالح المازندراني في شرح الرواية الأولى حيث قال ما نصه: (قوله «وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا» فيه دلالة على أن جسدهم جسد روحاني وبدنهم بدن نوراني حتى أنه اشتق منه الروح المجرد الصرف...وأنت إذا تأملت فيما ذكر علمت أن بين أبداننا وأبدانهم مباينة في المادة مقارنة في المحل وكذا بين أرواحنا وأرواحهم ويظهر بواقي النسب بالتأمل الصادق إن شاء الله تعالى)(1).

باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا

ذكر الطبراني في كتابه المعجم الكبير: (عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: طرقني النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: أبا مويهبة انطلق فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلقت أو قال فانطلقنا فلما توسط البقيع استغفر لأهل المقابر، ثم قال: ليهن لكم ما أصبحتم فيه لو تدرون مما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى، ثم قال: يا أبا مويهبة هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي قال: قلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن

(1) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٦ ص ٣٩٥.

الأرض والخلد فيها، قال: كلا يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي، ثم استغفر لأهل المقابر وانصرف فلما انصرف بدأه شكواه الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم)(١).

وقوله: (هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي) دال دلالة واضحة على انه صلى الله عليه وآله لو اختار البقاء والخلود في الدنيا لكان له ذلك، وهذا البقاء والخلود لا يكون إلا بوجود قابلية لبدنه الشريف لهذا الخلود والاستمرار، ولا يقال ان ذلك ربما يحصل بمعجزة، لان المعجزة لا يصل الأمر إليها ما دام القانون الطبيعي كافياً في تحقيق الغرض، وقد ثبت بالعقل والنقل إمكان ان يحدث ذلك بصورة طبيعية من خلال خلق بدنه الشريف من طينة قابلة للدوام والبقاء والاستمرار، فلا تصل النوبة حينئذ إلى المعجزة.

جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا

أخرج احمد بن حنبل في مسنده: (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مما أسمعه يقول إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة قالت قلت إذا والله لا يختارنا وقد عرفت انه الذي كان يقول لنا ان نبيا لا يقبض حتى يخير)(٢).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٣٤٧، وراجع ايضا سنن الدارمي لعبد الله بن بهرام الدارمي ج١ ص ٣٦ ـ ٣٧، وأيضا راجع مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٢) نحن لا نتفق مع عائشة في ان كل الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كان لهم ميزة الاختيار ما بين البقاء في الدنيا والرحيل إلى الرفيق الأعلى، لما صح في رواياتنا التي ورد ذكر بعض منها من ان هذه المرتبة والميزة خص بها أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ونبينا الأعظم صلى الله عليه وآله على رأسهم دون جميع العالمين، لكن عائشة وغيرها دأبوا على أن لا يجعلوا لرسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين خصوصية يتفردون بها ويمتازون بها عن غيرهم.

ويعلق على هذه الرواية بنفس ما مر في رواية أبي مويهبة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السابقة الذكر.

فائدة الخوض في هذا البحث

بسبب عدم تذوق مباحث مهمة كهذه، وبسبب ضعف التوجه العقائدي لدى الكثير من متفلسفة هذا العصر، وبسبب غلبة بعض التوجهات المعاصرة التي تحاول بكل حدها وحديدها تسطيح المفاهيم العقائدية ولاسيما تلك التي تتعلق بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ومراتبهم ومنازلهم، بسبب كل ذلك وغيره ربما يعترض البعض على إثارة مثل هذه المباحث التي تكاد تندرس في كتابات المعاصرين، وربما يحلو للبعض الآخر بسبب الجهل وقلة الإكتراث لحقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المغصوبة المهضومة أن يرى ترك الخوض في هذه المباحث وأمثالها، لأنها غير مألوفة ولا متداولة عند العوام، وربما تثير سخرية أو استهزاء بعض المذاهب الإسلامية الأخرى أو حتى بعض الأديان السماوية الأخرى، وعليه فيجب بحسب نظر أولئك القاصر ترك البحث وضرب الجهد عن مثلها صفحا، والالتفات إلى المباحث التي تحمل سمة الحداثة والعصرنة والتي تحاول تقريب وجهات النظر الإسلامية بعضها من البعض الآخر، من دون الإساءة إلى مشاعر الآخرين واستجلاب سخريتهم.

ويمكن ان يجاب هؤلاء وأمثالهم بما يأتي:

أولا: ان عدم مألوفية هذه المباحث عند العوام وباقي المذاهب والأديان لا يعدّ دليلا كافيا للإعراض والخجل من ذكر وإيراد مثل هذه المباحث، لان العوام والبسطاء من الناس ليسوا ميزانا لتبيين الحقائق وعدمها، بل ان عدم معرفة العوام بهذه المباحث يكون دليلا إضافيا يستدعي نشر هذه المباحث الشريفة ليستفيد منها من

لا يعرف ويتعلم منها من ليس له القدرة على البحث والتحليل.

ثانيا: ان إثارة هذه المباحث للسخرية والاستهزاء والاستهجان على فرض تحققه من بقية الأديان والمذاهب الأخرى لا يعد مبررا لرفض هذا المبحث وأمثاله، لأننا لو جعلنا الميزان في ذكر الحقائق هو سخرية الآخرين وعدمها لما أمكن لمؤلف شيعي ان يكتب كتابا واحدا، لان جميع أفكار الشيعة الإمامية تستدعي السخرية والاستهزاء من وجهة نظر الآخرين، وعليه يجب ان يكسر علماء الشيعة أقلامهم ويتركوا البحث والكتابة والنقاش لان كل ما يتم كتابته من قبلهم يستهزأ به ويستهجن من قبل الآخرين، ولا يوجد عاقل يقول بمثل هذا الرأي.

بل يجب أيضا إلغاء القرآن والشريعة الإسلامية بكاملها لان الغرب وباقي الديانات تشنع عليه وتستهجنه ويجب ان يلغى الحجاب وتشيع الفاحشة وتباع الخمور على الأرصفة لان الغرب وباقي الديانات ترتاح لذلك، وقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث قال ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(١).

ثالثا: لا يجوز التحجج بالوحدة بين الأديان أو بين باقي المذاهب الإسلامية لرفض هذه المباحث المهمة، لان الوحدة إذا صارت على حساب إنكار مبادئ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتعتيم على حقوقهم ومقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها فستتحول حينئذ إلى أداة تهديم لأركان المذهب، لان من يبدأ برفض هذه المباحث بسبب الوحدة، فانه سوف لن يقف عند حد، فسيستتبعها يقينا نكران الشهادة الثالثة في الأذان، وبعدها ستمحى الشهادة بحي على خير العمل، وبعدها سيلغى السجود على التربة، وبعدها ستلغى وتحارب زيارات أهل البيت

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشعائرهم ومراسم عزائهم، وهكذا ستستمر سياسة الإلغاء حتى يمسخ الدين وتضمحل الحقائق، كل ذلك بسبب شعار الوحدة، أو بسبب الفهم الخاطئ أو التطبيق الخاطئ لشعار الوحدة، حتى نصبح وبالتدريج ممن يشارك في غصب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حقوقهم، ودفعهم بقصد أو بغير قصد عن مراتبهم ومقاماتهم التي ابعدوا عنها.

إضافة إلى كل ما سبق فان البحث في هذا الموضوع يستبطن عدة من الفوائد الكبيرة، وله نتائج يمكن الاستفادة منها في إثبات مباحث عقائدية أخرى كما سنرى، وفيما يأتي نختار فائدتين يمكن أن تترتب على هذا المبحث، ونترك البقية الأخرى موكولة إلى القارئ وفطنته.

الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

ان طول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من المباحث التي طال الكلام حولها، وتعددت مشارب الباحثين في كيفية تقريبه للأذهان من جهة، واثبات إمكان وقوعه وحدوثه من جهة أخرى، لكن جميعهم أكدوا على أن طول بقائه صلوات الله وسلامه عليه وامتداد وجود شخصه المقدس راجع إلى قانون المعجزة، وعلى هذا الأمر بنيت الأدلة وأسست الحجج.

غير ان هذا المبحث الذي أثبتنا من خلاله أن أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ـ والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه واحد منهم ـ بذاتها قابلة للبقاء والاستمرار والخلود سيكون بمنزلة تغيير جذري لمسألة العلة الحقيقية التي من اجلها استمر وامتد عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا بل إلى اليوم الموعود، وستخرج هذه المسألة من كونها مسألة إعجازية غيبية إلى مسألة طبيعية، على اعتبار ان البقاء والخلود من

خواص بدنه المقدس، ما لم يحُلْ دون ذلك حائل، وإذا كان لبدنه الشريف صفة البقاء والخلود فلا تبقى أي حاجة للتدخل الإعجازي، لان المعجزة كما هو ثابت في محله، لا يصار إليها إلا بعد انسداد وقصور الأسباب الطبيعية، وهذا الشرط منفي هنا، لإمكان تحقق طول البقاء بالطرق الطبيعية وبالتوضيح السابق، فلا يلجأ إلى المعجزة بحال من الأحوال.

الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التي حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان أصل وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغض النظر عن أي حيثية أخرى هو نعمة إلهية يجب على الجميع معرفتها والإقرار بها، إذ ان وجود الأبرار والصالحين والأخيار ومن فضلهم الله سبحانه وتعالى على جميع العالمين من الأولين والآخرين لهو نعمة ومنة، لا ينكرها إلا من عميت بصيرته، فكيف لو اقترنت بوجودهم فوائد عظيمة ومنن إضافية جسيمة، فان المنة ستكون ولا ريب أعظم والنعمة أتم، وقد بينا آنفا ان وجودهم وسيلة يستجلب بها كل خير ويدفع بهم كل سوء وشر.

وعليه فأعظم جريمة وقعت في تاريخ المسلمين هي إزهاق تلك الأرواح الطاهرة والحيلولة دون ان تستفيد الأمة من نعمة خلود هؤلاء الأطهار بين صفوفها، فالأمة التي أزهقت أرواح أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحالت دون استمرار وجودهم ودون فرصة الاستفادة من ثمرات بقائهم وخلودهم تستحق اللعن والطرد والإبعاد عن الرحمة الإلهية، وتتحمل جميع التبعات المترتبة على ذلك، وكذلك تتحمل جميع المفاسد التي ترتبت على فقد أولئك الأطهار، والتي منها انقطاع الوحي والتشريع عن أهل الأرض، وتشتت كلمة الأمة وتشعبهم شيعا وأحزابا، وما نتج عن ذلك من فساد في الأرض وإراقة للدماء.

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

ان ضمير الجمع في كلمة (قتلتكم) في فقرة (ولعن الله امة قتلتكم) كما أوضحنا في المعنى اللغوي راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشامل للخمسة أصحاب الكساء، وهذا الإطلاق في العبارة يدل وبوضوح على أن جميع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تعرضوا للقتل وما مات منهم احد حتف انفه.

وتطبيق تعريف القتل الذي هو بمعنى: (الإماتة بضرب أو جرح أو سم أو علة...إذا كان من فعل آدمي)[1] واضح في مورد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فان موتهم كان بفعل الغير، وإذا كان بفعل الغير فهو داخل في معنى القتل، وتواتر وقوعه خارجا أشهر من ان يستدل عليه بدليل.

الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

يمكن لنا أن نقدم عدة أدلة على أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج عن هذه الدنيا إلا مقتولا شهيدا، نخص بالذكر منها ما يأتي:

الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودي تدل على ذلك

بناء على ما تقدم في المبحث السابق من ان بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد خلقت بطريقة قابلة للخلود والاستمرار الوجودي، ما لم يحُل بوجه هذا الخلود والاستمرار حائل، فيصبح واضحا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يستمر وجوده المقدس فهذا يعني ان حائلا قد حال دون ذلك، وان هذا الحائل من

: (١) لسان العرب لابن منظور ج١١ ص٥٤٧، كتاب العين للفراهيدي ج٥ ص١٢٧.

فعل آدمي لان الله سبحانه وتعالى خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وله قابلية الاستمرار فمن غير المعقول أن يكون ذلك الحائل حائلا إلهيا، وإذا لم يكن إلهيا لابد أن يكون آدميا، وبه يتحقق معنى القتل.

الدليل الثاني: تسالم قتله في مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

تسالم عند علماء مذهب أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسموما، وبهذا الصدد يقول الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مسموما لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة)[1].

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وقبض صلى الله عليه وآله بالمدينة مسموما يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة)[2].

الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

قد اشتهر في كتب العامة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مات مسموما، فعن احمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود قال: (لان أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك إن الله اتخذه نبيا واتخذه شهيدا)[3]، قال الهيثمي معلقا على هذا الحديث: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)[4].

وقد كان الشعبي يقول: (والله لقد سم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسم أبو بكر

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦ ص٢، وأيضا بحار الأنوار للمجلسي ج٢٢ ص٥١٤،
(٢) المقنعة للشيخ المفيد ص٤٥٦، وراجع أيضا منتهى المطلب للعلامة الحلي ج٢ ص٨٩١.
(٣) مسند احمد بن حنبل ج١ ص٤٠٨ مسند عبد الله بن مسعود.
(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٣٤١.

وقتل عمر بن الخطاب صبرا وقتل عثمان بن عفان صبرا وقتل علي بن أبي طالب صبرا وسم الحسن بن علي وقتل الحسين)[1].

والذي يتبين من كلام الطبري وغيره ان مسألة موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل الغير هو مما كان مشتهرا أمره بين كافة أفراد المسلمين من الصحابة وغيرهم حيث قال في تاريخه: (وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة)[2].

من الذي قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

على الرغم من إجماع المسلمين تقريبا على استشهاده صلى الله عليه وآله وسلم بالسم، إلا أن الاختلاف قد وقع بينهم في تحديد الجهة التي قامت بسمه وإزهاق روحه المقدسة، فالعامة تروي بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد سم من قبل اليهود قبل سنتين من وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حينما قامت يهودية بتقديم شاة مشوية ومسمومة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكل منها لقمة فبقي أثر هذه اللقمة يتكرر كل عام عليه بالأذى ورووا عنه انه صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما زالت أكلة خيبر تعتادني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري ـ شرياني ـ)[3].

وأما علماء الخاصة فقد تباينت آراؤهم في سبب موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمنهم من ذهب إلى ما يذهب إليه أبناء العامة، ومنهم من ذهب إلى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سم على يد بعض المقربين من الصحابة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٣٠٣، تفسير الثعلبي ج٩ ص٥٣، تفسير البغوي ج٤ ص١٩٨.

(٣) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٤٩٧، وقريب منه في مسند احمد ج٦ ص١٨، المحلى لابن حزم ج١١ ص٢٧، معرفة السنن والآثار للبيهقي ج٧ ص٢٩٨.

وليس هنا محل تحقيق ذلك إلا ان فقرة (ولعن الله امة قتلتكم) فيها تصريح واضح بان الأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي بذاتها التي قتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى وجود روايات تؤكد على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأكل من الطعام المسموم الذي قدم له بخيبر، قال الطبري: (فلاك صلى الله عليه وآله وسلم منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور الأنصاري من بني سلمة من الخزرج قدّ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم)[1].

فمن هذا وغيره استبعد بعض الباحثين أن يكون اليهود هم من قام بسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليس من باب تبرئتهم، فهم أهل لكل سوء، وكهف لكل نفاق ومؤامرة، ولكن الإنصاف في البحث وحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمته تستدعي أن يزاح الستار عن الفاعل الحقيقي لهذه الفاجعة النكراء والجريمة الشنعاء، وأصابع الاتهام تشير إلى بعض الأطراف القريبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما مستقلة وإما متعاونة مع أطراف يهودية أخرى.

الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

اجتمعت كلمة العامة والخاصة على أن السيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت وهي بعمر الثمانية عشر سنة، ولكن اختلفوا في أن موتها هل كان بفعل الغير أم لا، ونحن وبسبب ما بين أيدينا من أدلة روائية نقطع بموتها بسبب فعل الغير، ولنا على ذلك عدة من الأدلة نستعرض بعضها فيما يأتي:

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٣٠٣، السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٠١، البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٤٠.

الدليل الأول: قابلية بدنها الشريف للخلود والبقاء الوجودي يدل على ذلك

تقدم فيما سبق طريقة الاستدلال بهذا الدليل على حتمية قتل النبي صلى الله عليه وآله وإماتته بفعل الغير ونفس الطريقة تلك يمكن تطبيقها هنا لتنتج عين ما نتج سابقا.

الدليل الثاني: قصر عمرها يدل على ذلك

إن قصر عمر السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها(1) يدل وبغض النظر عن كل دليل روائي أو تاريخي على ان وفاتها صلوات الله وسلامه عليها كانت بفعل فاعل، إذ انه وبحسب ما اعتاده الناس في الحياة العامة لا يكون موت الإنسان وهو بمثل هذه السن إلا لأحد سببين:

الأول: أن يكون المرض هو الذي يعجل بموت من يكون بهذا العمر.

الثاني: تعرضه للاعتداء والقتل من قبل إنسان آخر.

والثابت تاريخيا إن كلا الأمرين قد اجتمعا في موت السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد تعرضت للضرب والاعتداء المباشر من قبل بعض الصحابة، ونتيجة لهذا الاعتداء مرضت واعتلت وبقيت في علة دائمة إلى أن ماتت روحي فداها.

والأفظع من هذا وبحسب ما يفهم من عبارة (ولعن الله امة قتلتكم) هو أن تشترك الأمة جميعها بقتلها تارة بالمباشرة، وأخرى بتهيئة الأسباب والمقدمات لقتلها

---

(1) قال الشيخ الكليني في كتاب الكافي ج1 ص458: (ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفيت عليها السلام ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما وبقيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما).



وهضمها، أو بالسكوت على الاعتداء على حرمتها وعدم الاكتراث لما جرى عليها، وفي قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تصريح بهذه الحقيقة فبعدما فرغ من دفنها روحي فداها وقف مخاطبا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا... ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوفا ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان)[1].

الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا

والأخبار عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجمعة على أن السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت بفعل الغير، حتى اشتهرت بلقب الشهيدة في متون الروايات والزيارات الشريفة منها:

أولا: ما روي عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (ان فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة)[2].

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه لهذا الحديث: (والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعا، ثم اتسع فأطلق على كل من قتل منهم

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص١٥٢، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٧ ص٢١٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٤٥٨.

ظلما كفاطمة عليها السلام إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها فماتت لذلك)[١].

وقال العلامة المجلسي قدس الله روحه في تعليقه على الخبر السابق: (ثم إن هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات. وكان سبب ذلك: أنهم لما غصبوا الخلافة، وبايعهم أكثر الناس بعثوا إلى أمير المؤمنين ليحضر للبيعة، فأبى. فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهرا، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة، فكسر جنبها، وأسقط لذلك جنينا كان سماه رسول الله محسنا. فمرضت لذلك، وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض)[٢].

وفي رواية ثانية ان عمر بن الخطاب هو الذي ضربها فماتت صلوات الله وسلامه عليها متأثرة بضربته، فقد أخرج الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص: (فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوما مريضة مما ضربها عمر)[٣].

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه: (ومما أنكر عليه: ضربهم لفاطمة عليها السلام. وقد روي أنهم ضربوها بالسياط. والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط محسنا، والرواية بذلك مشهورة عندهم. وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته. وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأنا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة، من طريق البلاذري، وغيره ورواية الشيعة مستفيضة

(١) شرح أصول الكافي ج٧ ص ٢١٣.

(٢) مرآة العقول ج٥ ص٣٩٢.

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد ص١٨٥ حديث بني ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

به، لا يختلفون في ذلك)[1].

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (طفحت واستفاضت كتب الشيعة، من صدر الإسلام والقرن الأول، مثل كتاب سليم بن قيس، ومن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده بل وإلى يومنا هذا، كل كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة، وأبيهم الآية الكبرى، وأمهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم، وألف كتابا فيهم، وأطبقت كلمتهم تقريبا أو تحقيقا في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة، أنها بعد رحلة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدها، حتى احمرت عينها وتناثر قرطها، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج. ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات: من الكميت والسيد الحميري، ودعبل الخزاعي، والنميري، والسلامي، وديك الجن، ومن بعدهم، ومن قبلهم إلى هذا العصر. وتوسع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر، والرابع عشر، الذي نحن فيه، كالخطي، والكعبي، والكوازين، وآل السيد مهدي الحليين، وغيرهم ممن يعسر تعدادهم، ويفوق الحصر جمعهم وآحادهم. وكل تلك الفجائع والفظائع، وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة، ومن موجبات الوحشة والدهشة، ولكن يمكن للعقل أن يجوزها، وللأذهان والوجدان أن تستسيغها، وللأفكار أن تقبلها، وتهضمها، ولا سيما وأن القوم قد اقترفوا في قضية الخلافة، وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعد أعظم وأفظع)[2].

---

(١) تلخيص الشافي ج٣ ص١٥٦.

(٢) جنة المأوى ص٧٨ ـ ٨١.

ثانيا: ما تواتر في زيارتها صلوات الله وسلامه عليها من إطلاق لقب الشهيدة عليها، فقد أخرج الشيخ الصدوق زيارة لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية...)[1].

ومنها ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب المزار قال: (فإذا أردت زيارتها فقف بالروضة وقل: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يا سيدة نساء العالمين أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله مانعك إرثك ودافعك عن حقك والراد عليك قولك لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم صلى الله عليك وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته)[2].

وقد أخرج العلامة المجلسي قدس الله روحه زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (اللهم صل على السيدة المفقودة، والكريمة المحمودة، والشهيدة العالية)[3].

وبهذا وغيره مما لم نذكره لمراعاة الاختصار نستطيع أن نقطع بأن أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين شملتهم آية التطهير كلهم قد تعرض للقتل وما مات منهم احد حتف أنفه، فلعنت امة قتلتهم ولعنت امة أعانت على قتلهم ولعنت امة رضيت بقتلهم إلى يوم القيامة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٧٣.

(٢) المزار للشيخ المفيد ص ١٧٩مختصر زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٩٩ ص٢٢٠ الباب التاسع زيارتهم عليهم السلام في أيام الأسبوع والصلاة عليهم مفصلا.

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام

قد يجد البعض في نفسه بعض الحرج من اللعن الوارد في زيارة عاشوراء وغيرها في حق قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متناسيا أنّ أئمة أهل البيت لا يلعنون جزافا وان مسلكهم مسلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسلك القرآن الكريم الذي لا يلعن إلا من يستحق اللعن، ولا يطرد من الرحمة إلا من أساء وطرد نفسه منها بسوء عمله واختياره، ونستطيع فيما يأتي ان نستعرض وعلى عجالة ستة أدلة تدل على جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهي كما يأتي:

الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا

وفي هذا المعنى آيات كريمة وأحاديث شريفة كثيرة تطبق بأجمعها على أن القاتل للنفس المؤمنة عن عمد وإصرار خارج عن الإيمان داخل في سلك الكفار، ومن هذه النصوص الشريفة ما يأتي:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[١]، والخلود في النار لا يكون إلا مع عدم الإيمان، لان المؤمن حتى لو دخل النار فانه لا يخلد فيها، والإيمان في الآخرة لا يقابله إلا الكفر، فمن لم يكن مؤمنا لا يكون إلا كافرا[٢].

وفي الحديث عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من قتل

(١) سورة النساء الآية رقم ٩٣.

(٢) لا يخفى ان قوانين الدنيا تختلف اختلافا جذريا عن قوانين الآخرة، ففي القوانين الدنيوية يوجد إسلام وإيمان وكفر ونفاق، وفي الدنيا جعلوا الإسلام مقابلاً للكفر، وصيروا الإيمان مقابلاً للنفاق، وهذا التفريق بين الإسلام والإيمان في عالم الدنيا هو لأسباب غير خافية على النبيه الفطن، أما في الآخرة فلا يوجد غير الإيمان ويقابله الكفر، فمن لم يكن مؤمنا كان كافرا.

مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله)[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (من أعان على قتل امرئ مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله)[2] واليأس من رحمة الله وروحه لا يكون إلا من صفات الكافرين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[3]، ويمكن لنا الاستفادة من هذا الحديث بعدة أوجه، منها ان ما ورد في الحديث الشريف هو جزاء لمن أعان على قتل المسلم فيكون القاتل للمسلم مشمولا بالكفر من باب أولى، هذا أولا، وثانيا: هذا الحديث الشريف لا يجوّز لنا لعن القاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقط بل ويجوّز لنا لعن من أعان على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أيها الناس لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه)[4].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما قدمنا كفاية لمتدبر وبه نستطيع إثبات ان القاتل للنفس المؤمنة عن عمد كافر والكافر يكون مشمولا بقوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فيجوز حينئذ لعن كل قاتل، ويكون أولى الناس باللعن من قتل خيرة المؤمنين وسادة المسلمين وصفوة الناس أجمعين من الأولين والآخرين فلو كان هنالك وصف أشد من الكفر لما ترددنا في إطلاقه عليهم لعظيم ما جنوه وفداحة ما اقترفوه.

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص١٠٠، تفسير ابن كثير ج١ ص٥٤٩، الكامل لابن عدي ج٣ ص٢٠٣.

(٢) مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلي ج١٠ ص٣٠٨.

(٣) سورة يوسف الآية رقم ٨٧.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص٢٨٣ باب لا يجني أحد على أحد ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وقال الهيثمي بعد إيراده: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

الدليل الثاني: إن قتل أهل البيت إفساد في الأرض والمفسد في الأرض ملعون

قـــال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[١] فـــبين تعـــالى ان الإفـــساد في الأرض يستتبع اللعن والطرد من الرحمة الإلهية، وقد اتفقت الروايات الشريفة على أن القتل هـو مـن مـصاديق الإفساد في الأرض، وقـد ورد في الحـديث الـشريف أن الـسماوات والأرض وما فيهن لا تعدل عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفساً مظلومة تزهق بباطل.

فعن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انه قال: (والذي نفس محمد بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا)[٢]. وعنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (لزوال الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق)[٣]. وفي حديث آخر عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق)[٤].

فإذا كان القتل من مصاديق الإفساد في الأرض وموجبا للعن فإن قتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ من اكبر وأعظم مصاديق ذلك الإفساد وصاحبه يستحق أغلظ درجات اللعن وأشدها.

وقد يكون للفساد وجه تحقق آخر، وهو أن في قتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ إفناء وإبادة للأخيار وإبقاء للأشرار والمفسدين، وهو من باب رفع أحد النقيضين

---

(١) سورة محمد الآية ٢٢.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ ص٣٢، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٢ ص١٩٨، المجموع لمحيي الدين النووي ج١٨ ص٣٤٥، مغني المحتاج لمحمد بن احمد الشربيني ج٤ ص٢، إعانة الطالبين للبكري الدمياطي ج٤ ص١٢٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٦٥ ص١٩٣، كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ ص٣٢.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ ص٣٢، الكامل لعبد الله بن عدي ج٣ ص١٤٥، تهذيب الكمال للمزي ج٩ ص٢٣٧.

واثبات الآخر، وهذا الإفناء والإبادة للأخيار وإبقاء الفجار والأشرار وهو من أعظم الفساد في الأرض والمفسد يصح لعنه والتبرّؤ منه بنص كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الدليل الثالث: في قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في محكم كتابه ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(١).

ويمكن أن نتصور لنقض العهد وقطع ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به أن يوصل عدة صور:

ألف: ان القاتل لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ناقض للعهد الذي أخذه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العباد، لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أمر عباده بحفظ النفس وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا يقتلوا أنفسهم ولا أولادهم ولا غيرهم من بني جنسهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾(٢). وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٣) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آية ثالثة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٤) فالقاتل لأهل البيت ناقض لجميع هذه العهود والمواثيق المأخوذة من قبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده وناقض العهد والميثاق يجوز لعنه قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾(٥).

---

(١) سورة الرعد الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٨٤.

(٣) سورة الإسراء الآية رقم ٣٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٥) سورة المائدة الآية رقم ١٣.

باء: إن الله سبحانه وتعالى أوجب على الناس مودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(١) وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرباه حينما سأله المسلمون: (من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما)(٢) وقاتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قاطع لهذه المودة حتما فيكون مشمولا بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(٣) فيجوز حينئذ لعنهم لهذه العلة.

جيم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اخذ على المسلمين العهد والميثاق والبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في يوم غدير خم عند رجوعه من حجة الوداع حيث ارتقى منبرا اعد له وصاح في الناس: (...يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيها الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)(٤).

(١) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، تفسير الكشاف للزمخشري ج٣ ص٤٦٧، تفسير الثعلبي ج٨ ص٣٧، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص١٩٤، تفسير النسفي ج٤ ص١٠١، تفسير الرازي ج٢٧ ص١٦٦، تفسير ابن عربي لابن العربي ج٢ ص٢١٩، فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٥٣٧.

(٣) سورة الرعد الآية رقم ٢٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٨٠، كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص١٨٩ وج٥ ص٢٨٩، تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٢٢٠، البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٨٦.

ومهما فهمنا من كلمة الولي فلإن معانيها تجمع على ضرورة رعاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحفظ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم الذي هو عهد الله سبحانه وتعالى، والقاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناقض لهذا العهد ناكث للميثاق فيكون مشمولا بقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1].

الدليل الرابع: ان في قتلهم إيذاءً للنبي ومؤذي النبي ملعون

قد اتفقت كلمة المسلمين ومن دون مخالف على ان أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرام قليله وكثيره، قال الحطاب الرعيني نقلا عن القرطبي في شرح صحيح مسلم: (يحرم علينا كل فعل يؤذيه وإن كان في أصله مباحا لكنه إذا أدى إلى أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتفعت الإباحة وحصل التحريم)[2].

وقال الشيخ الطبرسي: (والأذى قد يكون بالفعل، وقد يكون بالقول)[3]، وقد أفتى علماء العامة قبل الخاصة بكفر من آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوجبوا قتله منهم:

ابن حزم حيث قال: (إن كل من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد يقتل ولا بد وبالله تعالى التوفيق)[4]. وقال ابن حجر: (إن من آذى النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل يقتل)[5]. وقال ابن تيمية: (من آذى الرسول فقد آذى الله لان حق الله وحق رسوله متلازمان وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله

---

(١) سورة الرعد الآية رقم ٢٥.

(٢) مواهب الجليل للحطاب الرعيني ج٥ ص١٢.

(٣) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج٥ ص٧٩.

(٤) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٤١٤.

(٥) فتح الباري ابن حجر ج ٨ ص ٣٦٩.

تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم و بين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله و رسوله في شيء من هذه الأمور)[1].

ودليل الجميع هو قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2] وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

ويلزم من حرمة إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرمة من يتأذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأذيتهم وقد ثبت على نحو القطع انه صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذي أهل بيته وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله عز وجل اشتد غضبه على اليهود أن قالوا عزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى أن قالوا المسيح ابن الله، وأن الله اشتد غضبه على من أراق دمي وآذاني في عترتي)[4].

وقد ورد أيضا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق ابنته السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها: (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني)[5].

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حق أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية ص ٤٠-٤١.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

(٣) سورة التوبة الآية ٦١.

(٤) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٣ ص٢٣٠، والكامل لعبد الله بن عدي ج٦ ص٣٠٢.

(٥) المجموع لمحيي الدين النووي ج٢٠ ص٢٤٤، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٣ ص٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢٧٣.

صلوات الله وسلامه عليه : (من آذى عليا فقد آذاني)[1].

وعن أنس بن مالك قال: (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتى قعد على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم بال على صدره فجئت أميطه عنه فاستنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أنس دع ثمرة فؤادي فإن من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[2].

وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما من بيت عائشة فمر على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فسمع حسينا يبكي فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألم تعلمي إن بكاءه يؤذيني)[3].

فإذا كان بكاء الحسين صلوات الله وسلامه عليه يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يا ترى لو رآه على الرمضاء مقتولا، ورأسه على الرمح مشهورا، يطاف به وبحريمه من بلد إلى بلد. وإذا كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ثمرة فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذيه فكيف به لو رآه يتلوى من السم يخرج كبده قطعة بعد قطعة، أم ماذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم لو شاهد جنازته صلوات الله وسلامه عليه ترمى بالسهام والحجارة ليس من ذنب إلا لأنه أراد أن يدفن قرب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم كيف يصبر قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرى المسمار يخترق قلب التقى ويكسر صدر الهدى ويقع في صدر ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، أم كيف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأذى من أمته ولا يلعنها وهو يراها تجرع ابن عمه ووصيه أنواع المحن وألوان الرزايا.

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٣ ص٤٨٤، صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٦٧، الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١١٨٣، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٥٤٧، التاريخ الكبير للبخاري ج٦ ص٣٠٧، الإصابة لابن حجر ج٤ ص٥٣٤، تاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٤٣، كنز العمال للمتقي الهندي ج١٢ ص١٢٥.

(٣) المعجم الكبير ج٣ ص١١٦، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤ ص١٧١، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٩٠.

الدليل الخامس: في قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيهم ملعون

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[1] وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذى مسلما فقد آذى الله)[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: (من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[3] وقد مر في الدليل السابق ان أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم محرم وانه من الأفعال التي تستوجب اللعن.

وفي قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أذى له على المستوى الشخصي، وهو مؤمن ومسلم، بل من سادة المسلمين وخيرة المؤمنين، فيكون أذاه بوصفه واحدا من المسلمين أذى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستحق اللعن.

وفي قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك أذى لبقية أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من المؤمنين فيكون مؤذيهم ملعوناً قد احتمل بهتانا وإثما مبينا.

وفي قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إيذاء لبقية المؤمنين من غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن نار مصابهم باقية في قلوب المؤمنين منذ يوم مقتلهم إلى يوم الناس هذا بل إلى يوم القيامة، والمتسبب في إيذاء المؤمنين عامة يستحق أشد درجات اللعن والطرد من الرحمة الإلهية.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٢٠١.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٦ ص١٠، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٥٤٧، البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٨٣.

الدليل السادس: في قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله

قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[1] وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أيضاً ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2].

وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن أولئك الذين يتولون الحكم وإدارة أمور الناس فيستغلون هذه المناصب ليفسدوا في الأرض بالظلم والجور، فتكون إحدى نتائج ظلمهم وفسادهم قطعهم للأرحام وحكمهم بما لم ينزل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون فعلهم هذا مستوجبا للعن والطرد والإبعاد من الرحمة الإلهية.

وقد تقدم ان قتل النفس المحترمة من أوضح مصاديق الظلم والفساد، وأعظم منه قتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فيكون فاعله مشمولا بقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾.

والقتل هو أيضا حكم بما لم ينزل الله سبحانه، فالله سبحانه وتعالى قد انزل بشريعته حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، وهؤلاء الظالمون قد حكموا على العباد بإزهاق النفوس وقطع الأرحام فيكون حكمهم غير مطابق لحكم الله سبحانه فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

كما أنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى قد انزل في جميع شرائعه وجوب حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، فيكون الحكم بقتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ من قبل الحكام الظالمين غير مطابق لحكم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

(١) سورة محمد الآية ٢٢ و٢٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤.



وَلَعَنَ اللّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

وفي هذه الفقرة مباحث مهمة كما في غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد ورد لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت في متون الزيارات الشريفة والأحاديث النبوية تارة بشكل صريح وتارة مع ضم بعض المقدمات، نذكر فيما يأتي نبذة منها:

منها ما عن السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال قال: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: سمعته يدعو في يوم عرفة في الموقف بهذا الدعاء، فنسخته: تقول إذا زالت الشمس من يوم عرفة وأنت بها... السلام

عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله... السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غصبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حلالا، أنا بريء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت في أمرك وشايعت أنا بريء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليك وعلى أبيك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباحت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا بريء إلى الله واليك منهم...)[1].

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه في كتابه المزار قال: (حدثني أبو عبد الرحمان محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعا، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق صلوات الله وسلامه عليه: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة... وتقول: صلى الله عليك يا أبا عبد الله ثلاثا، وعلى روحك وبدنك، لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك ولعن الله خاذليك، ولعن الله من شايع على قتلك ومن أمر بذلك وشارك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به أو سلم إليه، أنا أبرأ إلى الله من ولايتهم وأتولى الله ورسوله وآل رسوله... وتقول: لعن الله من رماك، لعن الله من طعنك، لعن الله من اجتز رأسك، لعن الله من حمل رأسك، لعن الله من نكت بقضيبه بين ثناياك، لعن الله من أبكى نساءك. لعن الله من أيتم أولادك، لعن الله من أعان عليك، لعن الله من سار إليك، لعن الله من منعك ماء الفرات، لعن الله من

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج ٢ ص ١٣٥.

غشك وخلاك، لعن الله من سمع صوتك فلم يجبك. لعن الله ابن آكلة الأكباد، ولعن الله ابنه وأعوانه وأتباعه وأنصاره وابن سمية، ولعن الله جميع قاتليك وقاتلي أبيك ومن أعان على قتلكم، وحشى الله أجوافهم وبطونهم وقبورهم نارا، وعذبهم عذابا أليما...قتل الله من قتلكم بالأيدي والألسن)[1].

ويمكن أيضا ان نستفيد من المبحث السابع من مباحث الفقرة السابقة للزيارة والذي هو بعنوان (أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في إثبات جواز لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالإعانة والتمهيد والتمكين من قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إفساد في الأرض والمفسد في الأرض يجوز لعنه بنص الكتاب العزيز ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[2].

وكذلك فان الممكّن والممهّد والمعين على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مؤذٍ للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصح لعنه بصريح قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[3].

وهو داخل أيضا في باب أذى المؤمنين والمسلمين ومؤذيهم ملعون لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4].

وتوجد إضافة إلى ذلك أدلة أخرى كثيرة تركناها طلبا للاختصار.

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٩٣ ـ ٤١٤.

(٢) سورة محمد الآية ٢٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٥٨.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ

(وَلَعَنَ اللَّهُ) الواو هنا عاطفة وما بعده معطوف على ما سبق ذكره في فقرات الزيارة السابقة، و(الْمُمَهِّدِينَ) جمع (مُمَهِّد) من (التمهيد) والمشتق من (المهد) أو (المهاد)، واصله من التهيئة والتسوية والتوطئة للشيء قال الفراهيدي: (مهد: المهد: الموضع يهيأ لينام فيه الصبي. والمهاد اسم أجمع من المهد، كالأرض جعلها الله مهادا للعباد...ومهدت لنفسي خيرا، أي: هيأته ووطأته)[١].

وقال الشيخ الطريحي قدس الله روحه في مجمع البحرين: (ومهدت الأمر تمهيدا: وطأته وسهلته. والمهد: الموضع يهيأ للصبي ويوطأ)[٢].

وقد يطلق أيضا على الارتفاع ومنه قولهم: (وامتهد سنام البعير وغيره ارتفع)[٣]فيصبح كل من رفع غيره فقد مهد له.

والتمهيد يكون تارة للموضع وتارة أخرى للعذر، قال الجوهري وابن منظور وغيرهم: (وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها: وتمهيد العذر: بسطه وقبوله)[٤].

٢: لَهُمْ بالتَّمْكِينِ

لَهُمْ: والضمير عائد إلى قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورين في الفقرة السابقة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ).

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٤ ص ٣١ ـ ٣٢ باب الهاء والتاء والراء هتر، هرت، تره.

(٢) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٢٤٢ مادة (م هـ د).

(٣) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٥ ص ٢٨٠.

(٤) الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٥٤١.

بالتمكين: قد يأتي التمكين بمعنى الإقدار على الشيء قال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ومكنته من الشيء تمكينا: جعلت له عليه سلطانا، وقدرا، فتمكن منه. واستمكن الرجل من الشيء، وتمكن منه بمعنى، أي قدر عليه)(١).

وقد يكون بمعنى توفير الوسائل والعدد ورفع كل الموانع، قال الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان: (التمكين: إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة، فقد يحتاج إلى آلة، وإلى دلالة، وإلى سبب، ويحتاج إلى ارتفاع المنع، فالتمكين عبارة عن جميع ذلك)(٢).

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (إن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائنا ما كان من الآلات والعدد والقوى)(٣).

٣: مِنْ قِتَالِكُمْ

مِنْ: وهي لتبيان الغاية، فقد وردت لحرف الجر (مِنْ) معانٍ عدة، وأحد معانيها الموضوعة لها في اللغة هي لتبيان الغاية(٤)، فتكون (مِنْ) في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هو لتبيان ان غاية الممهدين من تمهيدهم وتمكينهم للآخرين هو قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد تكون (مِنْ) بمعنى (على) للاستعلاء لأنه احد معانيها(٥).

قِتَالِكُمْ: لا يخفى ان ضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (قِتَال) وهو بكسر القاف مصدر قاتل، وسنورد فيما يأتي عدة معانٍ محتملة المراد

(١) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٢٢١ باب الميم مادة (م ك ن).

(٢) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٤ ص ٢٢٢.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٤٢ الفرق بين التمكين والإقدار.

(٤) راجع الجنى الداني في حروف المعاني الباب الثاني في الثنائي (من) المعنى الثامن ص٣١٣.

(٥) المصدر السابق المعنى التاسع.

للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها :

ألف : قال محمد القلعجي : (القتال بكسر القاف مصدر قاتل ، ويقصد به الحرب والمدافعة بالسلاح)[١] فيشمل هذا الوصف على وفق هذا التعريف كل من رفع السلاح بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودافعهم بحرب أو غيرها ، سواء أدى هذا الرفع للسلاح أو تلك المدافعة إلى قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لم يؤدِّ ، لان القتال اعم من القتل قال ابن منظور في لسان العرب : (وليس كل قتال بمعنى القتل)[٢].

باء : وقد يكون قتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمعنى إنزالهم بمنزلة المقتول الهالك لا يعتد بوجودهم ولا يؤخذ بقولهم ، وبمعنى آخر يتم إلغاؤهم اجتماعيا ، ومنه قول عمر بن الخطاب في حق سعد بن معاذ كما نقله ابن الأثير وعلق عليه بقوله : (وفى رواية «إن عمر قال يوم السقيفة : اقتلوا سعدا قتله الله» أي اجعلوه كمن قتل واحسبوه في عداد من مات وهلك ، ولا تعتدوا بمشهده ولا تعرجوا على قوله. ومنه حديث عمر أيضا «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من المسلمين فاقتلوه» أي اجعلوه كمن قتل ومات ، بأن لا تقبلوا له قولا ولا تقيموا له دعوة. وكذلك الحديث الآخر «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أي أبطلوا دعوته واجعلوه كمن مات)[٣].

جيم : وقد يأتي القتال بمعنى القتل ، واللعن ، والإبعاد[٤].

فيصبح معنى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه (وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ

(١) معجم لغة الفقهاء لمحمد القلعجي ص٣٥٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج١١ ص٥٤٩ ، تاج العروس للزبيدي ج١٥ ص٦٠٩ ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٤ ص١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٤ ص ١٣ باب القاف مع التاء.

(٤) المصدر السابق.

قِتَالِكُمْ) وفقا للمعنى اللغوي الذي تقدم هو: (ولعن الله المهيئين لقتلة أهل البيت وظالميهم والموطئين لهم العذر والموضع الذي من خلاله استطاعوا مدافعة أهل البيت عليهم السلام بالسلاح وغيره، فسفكوا دماءهم، وأنزلوهم منزلة الهالك الذي لا يعتد بوجوده ولا يؤخذ بقوله، فبإقدارهم على ذلك وتوفير الوسائل والعدد لهم ورفع الموانع عن طريقهم استحقوا اللعن من الله ومن الزائرين لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه).

المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل

إن ما وقع من انقلاب بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن وليد الصدفة ومن دون ميعاد، لان أي تحول تاريخي لابد وان تكون له جذور قديمة، وأسباب ليست وليدة لحظة ذلك التحول، ولابد أيضا أن تكون له عقول تدبر ذلك التحول، وتخطط له، وتتحين الفرصة، وتمهد الصعوبات التي تحول دون تحقيق ذلك التغيير.

وتحول التاريخ الإسلامي بعد يوم السقيفة ليس بخارج عن هذه القاعدة، فقد كانت له أسباب استعرضنا بعضها في مبحث سابق، أما الأشخاص فلا نجد صعوبة في التعرف عليهم، لان إلقاء نظرة سريعة على الأحداث التي سبقت السقيفة أو التي تلتها، كافية لإيضاح أن هنالك أفرادا كانوا يشكلون تكتلات صغيرة أو كبيرة يعين بعضهم بعضا، ويشد بعضهم على أيدي البعض الآخر، ويمهد بعضهم للبعض الآخر، وقد كان لهذه التكتلات الأثر البالغ في تغيير مسار التاريخ الإسلامي، وليس هذا القول من محض الخيال أو مما ينكره التاريخ الإسلامي، لان أخبار التأريخ مليئة بذكر الشواهد القاطعة بصحة وجود مثل هذه التكتلات وتأثيرها في مسار المسلمين،

وفيما يأتي جملة من الأخبار المؤكدة والموضحة لبعض تحركات هذه التكتلات وكيف شارك بعضهم لتمهيد الأمر للبعض الآخر وكيف شارك الجميع في تمهيد الأمر لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اجتماع السقيفة ليس أول إجتماع لغصب الخلافة

يوجد توهم تاريخي وقع فيه كل من كتب وحلل أحداث ووقائع تلك الأيام التي أعقبت استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لان كل من كتب حول سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر فيها ، أكد على أن الأنصار كانوا أول من بادر إلى إخراج الإمامة والخلافة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن ثم وكردة فعل أو تتميما لهذا الاجتماع حضر أبو بكر وعمر بن الخطاب وثلة أخرى سيأتي ذكرها في طيات هذا البحث فصار بينهم وبين الأنصار ما صار.

ولكن الحقيقة غير ذلك ، فوفقا لعدة شواهد تاريخية يتضح بما لا يقبل الشك أن اجتماع الأنصار لم يكن إلا رد فعل على تجمع آخر كان معقودا لغصب الخلافة من قبل بعض الشخصيات المهاجرة الذين تذكر الرواية التالية عن عمر بن الخطاب بعضا منهم ، حيث قال : (...وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدرا فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا من الأنصار قالا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنأتينهم قال فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة قال وإذا بين أظهرهم رجل مزمل قال قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما شأنه قالوا وجع

فقام رجل منهم فحمد الله وقال أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر...)[1].

وعن البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: (انه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا قالوا هذا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله لما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت إداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك)[2].

وفي هذه الروايات مجموعة من الأمور المهمة التي تتضح من خلال تحليل الرواية وتبيان ما وراء سطورها فيما يأتي:

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ حديث السقيفة، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٢٦٦ قصة سقيفة بني ساعدة وغير ذلك.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ ـ ٢٧ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة.

أولا: ان أحداث هذه الرواية كانت بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بدليل قول عمر بن الخطاب (وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم).

ثانيا: ان الناس يومئذ كانوا على ثلاثة أصناف ومشارب، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والزبير وبقية بني هاشم كانوا في دار فاطمة مجتمعين لتجهيز النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ودفنه.

وأما الأنصار فقد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وهنالك صنف ثالث من الصحابة اجتمعوا في مكان لم يصرح به عمر بن الخطاب، ويظهر من قوله (واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر) إن هذا الصنف هم من المهاجرين حصرا، وان هدفهم من الاجتماع كان تنصيبهم لأبي بكر أميرا من دون علم كل من الأنصار ومن كان موجودا في دار فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

ثالثا: وفي عبارة (...قالا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنأتينهم) دليل قاطع على ان اجتماع المهاجرين في ذلك المكان كان قبل اجتماع الأنصار في سقيفتهم، ولكن القوم لما سمعوا بان الأنصار قد عقدوا اجتماعا ثانيا لتنصيب أحدهم قرروا المضي نحوهم ونقض ما هموا به وعزموا عليه.

رابعا: وفي قول خطيب الأنصار حينما قال (...فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون ان يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر) تصريح آخر على أن تحرك الأنصار واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة إنما جاء نتيجة تخوفهم من اجتماع آخر عقده بعض المهاجرين ومن بينهم عمر بن الخطاب وأبو بكر وآخرون أرادوا منه ان يختزلوا الأنصار عن أصلهم، ويستبدوا بالإمارة دون مشورتهم.

فكان هذا اليوم أول يوم مهد فيه لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الخلافة حالما خرجت عن أهلها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دخلت في أيدي أناس كانوا مستعدين لفعل أي عظيم في سبيل الحفاظ عليها، ولو أدى هذا الحفاظ إلى رفع السيف بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسفك دمهم الطاهر، وهذا ما حصل بالفعل.

فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة

قد مر في مبحث سابق ان السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ونتيجة للتنازع والفتنة التي حصلت بعد يوم السقيفة ضربت وألقت جنينا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سماه محسنا، فكانت أول شهيدة طالتها يد التمهيد والتمكين الذي أسس أساسه في يوم السقيفة.

ونحن في هذا المبحث لا نريد ان نعيد ما سبق ذكره، وإنما نريد الإجابة عن تساؤل حاول البعض إثارته مرات عديدة محاولة منه إسقاط كل التهم التي تدين قتلتها صلوات الله وسلامه عليها بحجة (إن الناس كانوا يحترمونها ويجلونها، ولن يكون من السهل القيام بأي عمل ضدها) أو ان المعاصرين لها صلوات الله وسلامه عليها (كانت قلوبهم مملوءة بحبها فكيف نتصور أن يهجموا عليها).

والجواب ان هذه الكلمات مجرد ادعاءات صيغت بإسلوب نثري يمكن التأثير به في مشاعر البسطاء من العامة الذين تؤثر فيهم الشعارات والكلمات الخلابة البراقة، إلا أنها لا يمكن أن تصمد أمام الحقيقة التاريخية بحال من الأحوال، فليت الأمر كما قال هذا البعض، وليت الحقيقة كما صورها، وليت قلوب الأمة كانت بالفعل مملوءة بحبها صلوات الله وسلامه عليها مما يمنعهم من الهجوم على دارها وإحراق بابها وقتل جنينها، وليت احترامهم وإجلالهم لهذا الموجود الملكوتي منعهم من القيام بأي عمل ضدها، ولكن

الحقيقة أمر بكثير مما يحاول البعض تصويره، بل كل ما كتب حول تلك الفجيعة العظيمة والذي يستعظمه البعض ويستبعد وقوعه لم يكشف النقاب بشكل مفصل ولا صور ما وقع تلك الأيام على نحو دقيق يعكس الحقيقة كما هي، لان المنقول لنا مجرد ألفاظ وكلمات، والألفاظ والكلمات تبقى عاجزة ومحدودة بحدودها الضيقة، فكيف يا ترى يمكن للكلمات أن توصل إلينا الألم واللوعة وحرارة المسمار الذي اخترق أضلاع الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وكيف يمكن لهذه الألفاظ والكلمات أن تعكس لنا حالات الهلع والدهشة لسكان ذلك البيت الطاهر وهم ينظرون إلى النار تشتعل في باب الدار، وأنى لهذه الألفاظ أن تحكي لنا ألم السوط الذي لوعت به خيرة النسوان فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وأنى للكلمات ان تنقل لنا بكاء الحسنين صلوات الله وسلامه عليهما ودهشة زينب صلوات الله وسلامه عليها وصبر الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو يرى كل تلك الانتهاكات وكلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تدوي في مسامعه وهو يوصيه بالصبر والتحمل في سبيل حفظ أهل هذا البيت الذين بحفظهم سيحفظ الإسلام.

ثم كيف يستبعد ان تعتدي الأمة على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتردي البضعة الطاهرة وجنينها صلوات الله وسلامه عليهما قتيلين شهيدين بعد ان صار من بديهيات التاريخ ان انهارا من الدم قد سالت وان اكبر المجازر قد ارتكبت في سبيل ترسيخ إمارة أبي بكر ومن جاء بعده، وان القوم الممهدين كانوا على استعداد لسحق كل من يقف أمامهم ويمنع تقدمهم، وما محاولة قتل سعد بن عبادة في نفس اجتماع السقيفة إلا خير دليل على ما أوضحنا، فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال وهو يتحدث عن أحداث يوم السقيفة: (كثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت

قتل الله سعد بن عبادة)[1] وقوله ونزونا على سعد دليل على ان عمر بن الخطاب كان متعمدا لقتل سعد بن عبادة بحجة الزحام وارتفاع الأصوات واللغط لولا أن بعض قومه قد تنبه لذلك.

وعن اليعقوبي في تاريخه قال: (وقال عمر: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا)[2].

وعن ابن حبان في صحيحه قال: (ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل من الأنصار قتلتم سعدا قال عمر فقلت وأنا مغضب قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر)[3].

وقال الطبري في تاريخه: (فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفى فيك واضحة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحجرك وأصحابك أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملوني من هذا المكان فحملوه)[4].

وفي نص آخر عن الطبري قال: (وقال قائل حين أوطئ سعد قتلتم سعدا فقال عمر قتله الله إنه منافق)[5].

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٧ ـ ٢٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٤.

(٣) صحيح ابن حبان ج ٢ ص ١٥٧.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

(٥) المصدر السابق ص ٤٥٩.

فإراقة الدم والحكم بالنفاق والدعوة إلى القتل بل والإقدام عليه كانت أسهل بكثير على الممهدين من ضياع الإمارة وعودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها.

وإزهاق دم الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وقتل المحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليهما كان رسالة واضحة لأمير المؤمنين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع من يواليه بان هذه الدولة الجديدة كانت على أتم الاستعداد لسحق أي تمرد وقمع أي صوت معارض وان قتل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ما هو إلا بداية يتبعها بدايات أخرى ودماء ثانية لو أراد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الاستمرار بمعارضته وليس بمستثنى من ذلك حتى الأطفال والنساء.

وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد فهم هذه الرسالة جيدا فأغضى على القذى وصبر من كظم الغيظ على أمر من العلقم، فترك الأمة وما اختارته وأصبح جليس بيته والمحراب حفظا للبقية الباقية من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ان تسفك دماؤهم فتخلو الأرض من نسل النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فتكون الخسارة بذلك أكبر والضرر بفقدهم أعظم من موادعة الغاصبين ومجاراة الممهدين، وهذه الحقيقة صرح بها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على منبر الكوفة يوم صار مبسوط اليد واللسان بعد خلافته حيث قال: (فاصبر كمدا أو مت أسفا وحنقا، فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وتجرعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار)[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١١ ص١٠٩ خطبة رقم ٢١١ من كلام له عليه السلام يشكو فيه أمر قريش معه.

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح

نصت المصادر التاريخية على ان كلاً من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح وآخرين قد حضروا اجتماع الأنصار، ويومها اقترح أبو بكر على الأنصار أن يبايعوا أحد الرجلين عمر أو أبا عبيدة، قال ابن سعد في طبقاته: (فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأكرمهم أحسابا يعني قريشا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وأنت خيرنا وأحبنا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه، فبايعه الناس فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله...)[1].

ولم يكن قول أبي بكر وتقديمه لأحد الرجلين، ومن ثم تقديم عمر بن الخطاب لأبي بكر بتلك الحجج مجرد صدفة، بل كان أمراً دبر بليل، فبوصول كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح تباعا إلى الإمارة أخذت العهود وأبرمت المواثيق.

ولم يكن الأمر المدبر بخاف عن المجتمع الإسلامي وبالخصوص على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ففي محاورة جرت ما بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعمر بن الخطاب قال له الإمام صلوات الله وسلامه عليه: (إحلب حلبا لك شطره[2]، أشدد له اليوم ليرد عليك غدا)[3].

وقال صلوات الله وسلامه عليه في خطبته الشقشقية ما نصه: (فيا عجبا بينا هو يستقيلها في

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٢ ص٢٦٩.

(٢) قال الجوهري في الصحاح ج٢ ص٦٩٧ فصل الشين: (شطر الشيء: نصفه وفي المثل احلب حلبا لك شطره).

(٣) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ١ ص ٩٦.

حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها)[1] فالإعانة والتمهيد والنصرة من أجل تشاطر الإمارة والزعامة مما ليس خبره بمحجوب.

وعلى هذا التسلسل والترتيب ـ أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة ـ سخرت جهود الرواة الذين كانوا يقتاتون على مائدة السلطة لتغطية هذه الفكرة إعلاميا من أجل ترويض النفوس وتمهيد الطريق أمامها، وقد لعبت عائشة بنت أبي بكر وأبو هريرة وابن عمر وغيرهم دورا هاما في هذه التغطية والتمهيد، فعن ابن أبي مليكة قال (سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا)[2].

وعن الترمذي في سننه قال: (عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت أبو بكر، قلت ثم من؟ قالت عمر. قلت ثم من؟ قالت ثم أبو عبيدة بن الجراح، قال قلت ثم من؟ قال فسكتت. هذا حديث حسن صحيح)[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح هذا حديث حسن)[4].

ويوجد كم هائل من الأحاديث والشواهد التي توضح وتؤكد ذلك الترتيب الذي تحدثنا عنه، وفعلا فقد جاء هذا المخطط التمهيدي لاستخلاف عمر بن الخطاب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص١٦٢.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٩ ـ ١١٠ باب في فضائل أبي بكر.

(٣) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٦٨ مناقب أبي بكر.

(٤) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣١٧ مناقب أبي عبيدة بن الجراح.

بثمرته المرجوة، وتم له ولهم ما تمناه وتمنوه، وكتبت الوصية في الساعات الأخيرة من حياة أبي بكر باستخلاف عمر بن الخطاب على رغم الصيحات المستغيثة التي أطلقت من قبل بعض الصحابة المقربين من الدولة يومئذ، فقد أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: (...وسمع بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته...)[1].

ويوجد نص آخر فيه تصريح بان عثمان بن عفان هو الذي قد كتب اسم عمر ابن الخطاب في وصية أبي بكر عندما كان أبو بكر مغمى عليه، قال محمد بن سعد: (قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحدا فكتب عثمان إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ علي ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيرا والله إن كنت لها لأهلا)[2].

وعن عائشة قالت: (لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه علي وطلحة فقالا من استخلفت قال عمر قالا فماذا أنت قائل لربك قال أبالله تفرقاني لأنا أعلم بالله وبعمر منكما أقول استخلفت عليهم خير أهلك)[3].

وبهذا التمهيد والتخطيط وصل عمر بن الخطاب إلى كرسي الإمارة لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل التمهيد والتوطئة، وهذا ما سنعرفه فيما يأتي من الكلام.

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٣ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ص٢٠١.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٣ ص ٢٧٤.

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة

في حادث لم يكن متوقعا من قبل الممهدين مات أبو عبيدة بن الجراح في أيام إمارة عمر بن الخطاب في طاعون عمواس الذي ظهر في الشام سنة ثماني عشرة للهجرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة(1)، وقد خلق موت أبي عبيدة مشكلة حقيقية للخليفة الجديد، على اعتبار ان المخطط السابق والقاضي بإمارة أبي بكر ثم عمر ثم أبي عبيدة قد مهد له ولسنوات وبذلت لأجله الجهود وصرفت الأموال، وصارت النفوس مهيأة لاستقباله، وأصبح من الثوابت.

وهذا التغيير المفاجئ استدعى بطبيعة الحال تغييرا في مخططات الدولة وتحشيد الجهود من قبلها لإيجاد البديل الذي يقوم مقام ولي العهد الميت، ولكن يجب ان تتوفر في هذا البديل عدة شروط تؤهله من أهمها أن يكون هذا البديل منسجما مع منهج دولة السقيفة ومخططاته المستقبلية، وان يكون قويا ومقتدرا وله من الشكيمة ما يمنع رجوع الإمارة إلى علي بن أبي طالب أو احد أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان إخراجها منهم تطلب من المجهود ما لا يخفى وقد سفكت في سبيل ذلك الدماء واشتريت الذمم فمن غير المعقول أن تقبل الدولة بعد كل هذا الجهد أن ترجع الخلافة إليهم، وتضيع كل تلك الأتعاب وكأن شيئا لم يكن.

وقد كان أمام الدولة عدة خيارات وعدة شخصيات من الصحابة، منهم علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، ومنهم طلحة بن عبيد الله، ومنهم الزبير بن العوام، ومنهم سعد بن أبي وقاص، ومنهم عثمان بن عفان، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، ولكن كل واحد من هؤلاء الستة كانت عند عمر بن الخطاب تحفظات تجاهه، وكل واحد من تلك التحفظات كان كافياً في عدم الإقدام على استخلافه، وسيأتي

(١) راجع المعجم الكبير للطبراني ج١ ص١٥٥ سن أبي عبيدة ووفاته.

ذكر هذه التحفظات لاحقا.

ولكن كان هنالك خيارٌ يلبي طموحات الدولة، وهو المتمثل بإيصال آل أمية وبالتحديد معاوية بن أبي سفيان إلى دكة الحكم بعد عمر بن الخطاب، ومن راجع كلمات عمر بن الخطاب حول معاوية بن أبي سفيان يجدها واضحة الدلالة على ان عمر بن الخطاب كان يهدف التأسيس والتأهيل لدولة معاوية الجديدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نراه يقول بحقه حينما دخل الشام ورأى معاوية (هذا كسرى العرب)[1]، وذم جماعة معاوية عند عمر بن الخطاب فقال لهم عمر: (دعونا من ذم فتى قريش ومن يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده من الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه)[2]، وعن سعيد المقبري قال: (قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية)[3].

ولكنّ عقبة كؤوداً كانت تحول دون إيصال معاوية بن أبي سفيان إلى الإمارة كخليفة ينوب عن عمر بن الخطاب بعد موته، وهذه العقبة هي ان عمر بن الخطاب كان على يقين بان الأمة الإسلامية لن تسلم مقاليد أمورها وأزمة أمورها إلى معاوية ابن أبي سفيان، وفيهم كبار رجالات ورموز الصحابة، لان الأمة الإسلامية كانت في وقت عمر بن الخطاب وقبله تنظر إلى معاوية بن أبي سفيان بل وإلى جميع آل أبي سفيان وبني أمية بعين الاحتقار والامتهان، وما تزال منزلته عندهم منزلة ا لطليق ابن الطليق واللعين ابن اللعين، فكان على عمر بن الخطاب والحال هذه ان يجد حلقة

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١٤١٨، أسد الغابة لابن الأثير ج٤ ص٣٨٦، الإصابة لابن حجر ج٦ ص١٢١.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١٤١٨، البداية والنهاية ج٨ ص١٣٣ وهذه ترجمة معاوية.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٤٤.

وصل بين إمارته وإمارة معاوية بن أبي سفيان، وكان عثمان بن عفان هو هذه الحلقة، والذي يحقق وجوده أمرين مهمين:

الأمر الأول: ان عثمان بن عفان كيفما يكنا فان حاله في نظر المسلمين والصحابة على وجه الخصوص أفضل بكثير من معاوية بن سفيان، فانه أسلم في مكة، وشارك في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وان كان نصيبه في أكثر تلك الغزوات الفرار إلا انه يبقى الأفضل، فيكون أكثر قبولا عند المسلمين، ووجوده يمكن أن يروض النفوس ويمهد الأجواء لقبول الدولة الأموية الجديدة.

الأمر الثاني: ان عمر بن الخطاب كان متيقنا بان عثمان بن عفان لو قدر له أن يصل إلى الإمارة فانه سيستعين بآل أمية وسيبقي معاوية بن أبي سفيان على ولاية الشام، وان الأمة وخلال مدة طويلة ستعتاد على رؤية معاوية أميرا للشام، وبعد ذهاب الجيل الأول للصحابة ومجيء الجيل الأول من التابعين الذين سيعتاد احدهم ومنذ طفولته على رؤية معاوية ملكا على الشام ككسرى وقيصر، فلا غرابة لو رأوه بعد ذلك ملكا على جميع أرجاء المملكة الإسلامية، لا سيما إذا فتح هذا الجيل من التابعين أعينهم ومنذ طفولتهم ورأى تأييد عمر المطلق له وإيحاءه بأنه ككسرى وقيصر بل هو أفضل منهما وانه سيد قريش وغير ذلك.

وتبدلت وفقا لهذا التغير الجديد التغطية الإعلامية للدولة وشمر الرواة سواعدهم لإخراج اكبر عدد من الروايات التي ترفع اسم أبي عبيدة بن الجراح لتضع مكانه اسم عثمان بن عفان وكثرة هذه الأحاديث أكثر من ان تستقصى، ولكن إتماما للفائدة نأتي على ذكر بعضها، فعبد الله بن عمر قال: (كنا نقول ورسول الله حي: أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان)[1].

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٩٢، المعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٢١٢.

وعن أبي موسى (انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حائط من حيطان المدينة وفي يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عود يضرب به بين الماء والطين فجاء رجل يستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح وبشره بالجنة فذهبت فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة فاستفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة فإذا عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر وكان متكئا فجلس فقال افتح وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون فذهبت فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذي قال...)[1].

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

طعن عمر بن الخطاب بعد ان بقي في الحكم ما يقارب عشر سنوات، فلما أيقن بالموت أراد ان يتمم ما هم به من قبل وخطط، ولكن كان يجب عليه ان يتخطى خمسة من الصحابة يتزعم كل واحد منهم تكتلا معينا يمكن ان يعرقل المخطط الجديد، وهؤلاء الخمسة هم كل من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، فوضع عمر بن الخطاب من اجل أن يتخطاهم ويمرر إمارة عثمان من بعده مخططا عرف بعد ذلك بمخطط الشورى، وضم معهم عثمان بن عفان ليكونوا بذلك ستة هم أصحاب الشورى، والذين زعم عمر بن الخطاب ان النبي مات وهو راض عنهم.

وقد جرى في تلك الشورى هنات وهنات وقد فصل القول في أحداثها وما وقع خلالها جملة من علماء الطائفة الأعلام فأغنونا عن الخوض في دقائق تفاصيلها، وسنقتصر على إيراد جملة من الأحاديث الموضحة لتمهيد بعض أهل الشورى

(١) صحيح البخاري ج٧ ص١٢٣ باب نكت العود في الماء والطين.

لبعضهم الآخر إما عصبية أو طمعا في صيرورة الإمارة إليهم بعد عثمان بن عفان، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أني أحدهم. فيا للشورى ولله هم، متى اعترض الريب في مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، صبرا على طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه، وصغا آخر لصهره، مع هن وهن)[1] قال الشريف المرتضى: (وإنما أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة[2]، فعقد له الأمر ومال إليه بالمصاهرة، والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري[3]، فإنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته)[4].

وروى الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه الإرشاد: (عن أبي صادق قال: لما جعلها عمر شورى في ستة، وقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الدار وهو معتمد على يد عبد الله بن العباس فقال له: يا ابن عباس، إن القوم قد عادوكم بعد نبيكم كمعاداتهم لنبيكم صلى الله عليه

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٢٨٨ خطبته المسماة بالشقشقية.

(٢) عبد الرحمن كان صهرا لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه.

(٣) وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه جنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي صلوات الله وسلامه عليه في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

(٤) رسائل المرتضى، للشريف المرتضى: ج٢، ص١١١.

وآله في حياته، أم والله، لا ينيب بهم إلى الحق إلا السيف. فقال له ابن عباس: وكيف ذاك؟ قال: أما سمعت قول عمر: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن؟ قال ابن عباس بلى قال: أفلا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد، وأن عثمان صهر عبد الرحمن. قال: بلى، قال: فإن عمر قد علم أن سعدا و عبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي، وإنه من بويع منهم كان الاثنان معه، فأمر بقتل من خالفهم ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير)[1].

وروى الشيخ المفيد قدس الله روحه أيضا عن عمرو بن سعيد، عن حنش الكناني قال: (لما صفق عبد الرحمن على يد عثمان بالبيعة في يوم الدار، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: حركك الصهر وبعثك على ما صنعت، والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم)[2].

وقال الذهبي: (ثم نودي الصلاة جامعة وخرج عبد الرحمن عليه عمامته التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. متقلدا سيفه، فصعد المنبر ووقف طويلا يدعو سرا، ثم تكلم فقال... قم إلي يا علي، فقام فوقف بجنب المنبر فأخذ بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فقال: قم يا عثمان، فأخذ بيده في موقف علي فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال: اللهم نعم، قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يده ثم قال: اللهم اشهد اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. فازدحم الناس يبايعون حتى

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

غشوه عند المنبر وأقعدوه على الدرجة الثانية، وقعد عبد الرحمن مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر. قال: وتلكأ علي، فقال عبد الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما. فرجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة)[١].

فوصل بهذه اللعبة والخدعة عثمان بن عفان الذي فتح للدولة الأموية بابا لم يغلق حتى أحدث في الإسلام ثلمة لم تسد إلى يوم الناس هذا.

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يمتلك من العلم والعصمة والتسديد ما يعلم به ان نتيجة الشورى ستكون سلبية وستزيد في إقصاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم وتمكين مناوئيهم، فلماذا شارك الإمام صلوات الله وسلامه عليه في هذه التوطئة التي هو قال عنها خدعة وأيما خدعة؟.

وقد أجاب عن هذه الشبهة العلماء الأعلام رضوان الله تعالى عليهم بعدة إجابات نختار أهمها:

أولا: ما أورده الشيخ الطوسي قدس الله روحه بقوله: (إنه إنما دخل فيها تقية وخوفا، ولو لم يدخلها لقتل، إنما يمتنع ذلك لتوهم أن الحق لك فحمله على الدخول فيها ما حمله على البيعة للمتقدمين)[٢].

ثانيا: وقال قدس الله روحه أيضا: (إنه إنما دخلها ليتمكن من إيراد حججه وفضائله ونصوصه، لأنه أورد في ذلك اليوم جل مناقبه، ولو لم يدخلها لما أمكنه ذلك،

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٠٥.

(٢) الاقتصاد للشيخ الطوسي ص ٢١١، الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

فدخلها ليؤكد الحجة عليهم)[1].

وقال قدس الله روحه في موضع آخر: (فجعل عليه السلام الدخول فيها ذريعة إلى التنبيه على الحق بحسب الإمكان، على ما وردت به الرواية، فإنها وردت بأنه عليه السلام عدد في ذلك اليوم جميع فضائله ومناقبه أو أكثرها)[2].

ثالثا: وقال قدس الله روحه: (إنه إنما دخلها تجويزا لأن يختاروه فيتمكن من القيام بالأمر، ومن له حق له أن يتوصل إليه بجميع الوجوه)[3].

رابعا: ما ذكره الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتاب علل الشرائع عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

(لما كتب عمر كتاب الشورى بدأ بعثمان في أول الصحيفة وأخر عليا أمير المؤمنين فجعله في آخر القوم، فقال العباس: يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن أشرت عليك في يوم قبض رسول الله أن تمد يدك فنبايعك فإن هذا الأمر لمن سبق إليه فعصيتني حتى بويع أبو بكر وأنا أشير عليك اليوم ان عمر قد كتب اسمك في الشورى وجعلك آخر القوم وهم يخرجونك منها فأطعني ولا تدخل في الشورى فلم يجبه بشيء فلما بويع عثمان قال له العباس: ألم أقل لك، قال له يا عم انه قد خفي عليك أمر، أما سمعت قوله على المنبر ما كان الله ليجمع لأهل هذا البيت الخلافة والنبوة فأردت أن يكذب نفسه بلسانه فيعلم الناس أن قوله بالأمس كان كذبا باطلا وإنا نصلح للخلافة، فسكت العباس)[4].

---

(١) الاقتصاد للشيخ الطوسي ص ٢١١.

(٢) الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) الاقتصاد للشيخ الطوسي ص ٢١١.

(٤) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٧٠ ـ ١٧١ الباب ١٣٤ العلة التي من أجلها دخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الشورى.

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى

لم تكن خلافة عثمان بن عفان خلافة شخص واحد، بل كانت خلافة تيار بأكمله، تيار لا يقيم للدين والشريعة وزنا، ولا للصحابة الأوائل قدرا، تيار يعدّ الخلافة كالكرة يتلقفها سفهاؤهم وصبيانهم، وهو ما صرح به أبو سفيان في أول يوم من أيام إمارة عثمان بن عفان، فقد روى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب قال: (ان أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل، وله أخبار من نحو هذا ردية ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه سالما)(١).

وقد مر أبو سفيان بقبر حمزة أسد الله وأسد رسوله (وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلاعبون به)(٢).

اقول: وعثمان بن عفان وان رفض قول أبي سفيان في الظاهر إلا أن سيرته وسياسته في إدارة شؤون المملكة الإسلامية ينطبق عليها قول أبي سفيان انطباقا تاما، وأخبار استئثاره وبني قومه بأموال العباد ومقدرات البلاد تملأ بطون الكتب من الفريقين، ولا نرى ضرورة في تسويد صفحات هذا الكتاب بها وستأتي بعض أخبارهم في شرح الفقرات الخاصة بهم ضمن زيارة عاشوراء، وسنقتصر على ما يرتبط بمسألة التمهيد والتوطئة لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد سبق ان عرفنا ان لأصحاب الشورى باستثناء أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ١٦٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٣٦.

طالب صلوات الله وسلامه عليه الفضل الكبير في إيصال عثمان بن عفان إلى كرسي الإمارة، واشترطوا عليه المضي والسير على سنة كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، ما يعني ضمان مصالحهم والتمتع بنفس الامتيازات التي كانت لهم طوال مدّة إمارة الأول والثاني، إلا أن أحلام أصحاب الشورى[1] وعائشة وحفصة وأمثالهم ممن كان يتمتع ببحبوحة إمارة السابقين تبددت بمجرد أن وصل عثمان إلى الإمارة، فقد اكتشف الجميع بان عثمان كان مغاليا في تقريب آل أمية، وانه لم يكن يقيم وزنا إلا لمصالحهم، وان جميع الامتيازات والمناصب والغنائم قد صارت حكرا له ولهم دون المسلمين عموما ودون أصحاب الشورى وأمثالهم على وجه الخصوص، وهو ما أثار حفيظة جميع المسلمين ولا سيما أصحاب الشورى.

فتيقن أصحاب الشورى ومعهم عائشة بنت أبي بكر ومن لف لفهم ان النهج الاستبدادي الذي انتهجه عثمان بن عفان لو استمر على ما هو عليه فسيفلت زمام الأمور من أيديهم ويرجعون من بعد عزهم وسيادتهم سوقة من عوام الناس وهم الذين بقوا متصدرين للساحة الإسلامية سنينا طويلة، فلم يكونوا ليسمحوا والحال هذه ان يخلوا ساحة الصراع لآل أبي سفيان وآل مروان، فقرروا المواجهة وإرجاع الأمور إلى سابق عهدها وسالف أيامها، وبما ان المتسبب الرئيس في كل هذه الفوضى هو عثمان بن عفان فان الضربة ستكون موجهة له وبشكل شخصي لان الإطاحة به كانت تمثل إطاحة بكل أتباعه وبني قومه.

فبدأ المعنيون بالأمر من أصحاب الشورى ومن لف لفهم العمل الجاد والمنظم في سبيل الإطاحة بالدولة العثمانية، وكان أفضل طريق لذلك هو إثارة الساحة

(١) لا يدخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في قصدنا (أصحاب الشورى) لا هنا ولا في العبارات القادمة فتنبه.

الداخلية بوجهه وإشعال فتيل الاضطرابات والنزاعات وإثارة فئات المجتمع ضده، ولم يجد القوم صعوبة كبيرة في تحقيق هذه الغاية، لان عثمان بن عفان كان له أخطاء عظام وزلات جسام، وكل واحدة من هذه الأخطاء والزلات كانت كافية في إضعاف موقفه الدفاعي وتقليل فرص استمرار ولايته المتخلخلة.

وقد لعبت عائشة بنت أبي بكر دورا عظيما في الإطاحة بعثمان فقد كانت تتحين كل فرصة وتستغل كل حدث في سبيل إثارة النفوس عليه وإسقاطه في أعين المجتمع، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (قال كل من صنف في السير والأخبار إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته)[1].

وقال اليعقوبي: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فإن عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته فقال عثمان: رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)[2].

وعن الرازي قال: (ان عثمان آخر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل فقال عثمان ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط الآية فكانت عائشة تحرض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٥.

عليه جهدها وطاقتها وتقول أيها الناس هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل وقد بليت سنته اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا)[١]، وقد نقل تحريضها على قتل عثمان وقولها (اقتلوا نعثلا فقد كفر) كل من الطبري في تاريخه[٢]، وابن الأثير في الكامل[٣] والحلبي في سيرته الحلبية[٤].

وقد ساعدها على هذا المخطط وأعانها عليه كل من طلحة والزبير فقد كانا من اشد الناس عليه بعد عائشة، حتى ان طلحة كان يوم قتل عثمان يرمي دار عثمان بالسهام قال ابن أبي الحديد: (وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمي الدار بالسهام. ورووا أيضا أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها، وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه. ورووا أيضا أن الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم. فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا)[٥].

وقد بلغت شدة تأليب طلحة على عثمان مقدارا جعل عثمان يدعو عليه بقوله: (اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله فإنه حمل على هؤلاء وألبهم والله إني لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه انه انتهك مني ما لا يحل له)[٦].

---

(١) المحصول للرازي ج ٤ ص ٣٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٦.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٦.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٦) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤١١ ذكر الخبر عن ذكر قتل عثمان بن عفان، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٤ ذكر مقتل عثمان.

وبعد مدة ليست بالطويلة وكنتيجة طبيعية لكل هذا التحريض والتأليب قتل عثمان بن عفان وبدأت بعد مقتله مرحلة جديدة من مراحل التاريخ.

دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان

لم يكن موقف معاوية بن أبي سفيان يختلف مع موقف أصحاب الشورى من حيث الجوهر وان كان مختلفا من حيث الأداء فالكل كان يسعى ويهدف إلى قتل عثمان والإطاحة به إلا أن الأسلوب الذي اتبع لأجل تحقيق ذلك كان مختلفا.

فمع ان السبب الرئيس لمقتل عثمان كان تقديم أقاربه وإغداق الخيرات عليهم وحرمان بقية المسلمين منها، الا انه لم يشفع لعثمان عند معاوية، لان معاوية بن أبي سفيان أصبح يرى من عثمان وبالخصوص في أيامه الأخيرة ورقة محروقة قد استنفذت كل أغراضها التي بيناها سابقا، فمعاوية الآن صاحب جيش جرار وقوي ومقتنع اقتناعا تاما بان معاوية بن أبي سفيان هو من له الأمر والنهي لا غير حتى لو كان هذا الغير هو شخص الخليفة ـ وسيأتي الشاهد على هذه الحقيقة ـ، وهو أيضا صاحب أموال وثروات ضخمة تكدست عنده طوال مدة إمارة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان تكفي لتمويل أكبر حرب فيما لو اضطر إلى خوضها، وتلبي احتياجات شراء الذمم للمعارضين لإمارته وإسكاتهم، وتكفي لاستئجار الرواة من أجل تغطية تحركاته وسفكه للدماء تغطية شرعية.

لذلك كان معاوية بن أبي سفيان يرى أنّ الأزمة التي كان يعيشها عثمان كانت تصب في مصلحته، وان كل يوم يعيش فيه عثمان بن عفان كان يؤخر وصوله إلى كرسي الإمارة، وان التعجيل بالقضاء عليه هو تعجيل بتحقيق أمنياته، لذلك تأخر معاوية بن أبي سفيان حينما طلب عثمان منه النصرة بان يمدده بجيش يتقوى به على

مصيبته، قال ابن شبة النميري: (حدثنا جويرية قال: أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان. فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه)[1]، وهذا التلكؤ والتثاقل من جيش معاوية بن أبي سفيان حقق هدفين مهمين شارك كل واحد منهما بالتعجيل في القضاء على حياة عثمان وإمارته:

الهدف الأول: ان بإرساله للجيش قد اقنع عثمان بن عفان بان النصر آت لا محالة، وان تلك الجحافل ستكسر عنه الحصار المضروب من قبل المعارضين، مما جعل عثمان بن عفان يصر على مواقفه أكثر ويؤكد على عدم الرضوخ لمطالب الثوار.

الهدف الثاني: الإيحاء للثوار بان فرصة القضاء على عثمان ستفلت من بين أيديهم إذا ما وصل جيش الشام، وقد افلح هذا الإيحاء إلى حد بعيد، فتسلق بعض الثوار سطح داره ودخلوا عليه وقتلوه.

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع

لم يكن الوضع السائد تلك الأيام والاضطرابات التي منيت بها الأمة بخافية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان على علم بان كل هذه الجلبة والمؤامرات والاضطرابات والصراعات التي يخوضها عثمان مع عائشة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأشباههم ما هي إلا صراعات مصالح، وان ذلك التهريج الذي تقوم به عائشة ومناصروها من ورائه أهداف وغايات وأهواء لا يراد الله سبحانه وتعالى بها ولا يقصد منها فائدة المجتمع وأهل الإيمان.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة النميري ج ٤ ص ١٢٨٨ ـ ١٢٨٩.

وكذلك كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يعلم بحراجة الموقف وحساسية تلك اللحظات وان كل موقف منه وكل كلمة تصدر عنه ستؤثر في مجريات الأحداث مستقبلا، فلهذا اتخذ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جانب الحيطة والحذر، وقرر ان لا يدخل طرفا في هذا الصراع مهما حصل، وإذا ما اضطر للتدخل فانه يتدخل بعنوان الناصح المرشد لا المحرض المناوئ، والأدلة على ذلك كثيرة ليس يمكن إحصاؤها في هذه العجالة، وخلاصة موقفه من قتل عثمان قد لخصه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قتلته ولا أمرت بقتله وما سرني)[1]، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: (والله ما قتلته ولا مالأت على قتله)[2]، فهو من رد الناس عنه وارجع الثوار مرات عديدة، وهو الذي أوصل إليه الماء بعدما قطعه عنه طلحة والزبير كما قال ابن حبان: (أشرف عليهم[3] فقال أفيكم علي قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا، فقال أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشيء فابتعتها من مالي وجعلتها للغني والفقير وابن السبيل، فقالوا نعم، قال فاسقوني منها، ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة)[4].

وقال ابن الأثير: (منع عثمان الماء فقال علي لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان)[5]، ومواقفه النبيلة تجاه عثمان لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته وكان في قلبه مرض.

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٨ ص ٦٨٤ ما ذكر في عثمان.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أي اشرف عثمان على من حاصره ومنع عنه الماء.

(٤) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٦١.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ١٦٦ذكر مقتل عثمان.

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان من السنن الإلهية التي لا تتبدل والتي تحكم جميع المجتمعات قديما وحديثا، ان أي امة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إنما يحصد ما زرعه، ويقطف ما غرسه، وقد زرعت هذه الأمة منذ اليوم الأول لرحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومرورا بإمارة الذين سبقوا خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفتنة والظلم وسياسة التمييز العرقي والطبقي، وقد حان وقت جني ثمرة عملهم وحصد نتيجة أتعابها، فكان الوقت الذي أعقب موت عثمان بن عفان هو وقت ظهور تلك النتائج، وهو ما بينه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل على عثمان بن عفان قبل مقتله وقال له: (وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فان عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيعا فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا...)[1].

ولكن الذي يحزن القلب ويدميه هو ان ظهور نتائج أفعال الأمة قد صادفت مع بداية تشكيل الدولة العلوية، والذي اثر تأثيرا كبيرا فيما بعد في ثبات واستقرار هذه الدولة المباركة، وهذا ما لم يكن خافيا عن شخص أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فحينما أراد الناس بيعته تمنّع مرات عدة وكان يخاطبهم بقوله: (دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٧٦ تكاتب المنحرفين عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه وخبر الجرعة.

كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرا، خير لكم مني أميرا)[1].

ولولا الإصرار العظيم للأمة وإلحاحهما الكبير على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لما قبل خلافتهما، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لما علم من الأمة اجتماعها واختيارها لمنهج التغيير والرجوع إلى الجادة المستقيمة رضي ببيعتهم التي بلغ مقدار الإصرار عليها من قبل الأمة مبلغا وصفه الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها؛ حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب)[2].

وقال صلوات الله وسلامه عليه في خطبة أخرى: (ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتلي، فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعا قبلت، ومن أبى لم أكرهه وتركته. فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما)[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٣٣ خطبة رقم ٩١ من كلام له عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٣ الخطبة رقم ٢٢٤ من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٩٦ ـ ٩٧ خطبة علي بعد مقتل محمد بن أبي بكر.

فقبل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه البيعة نتيجة لهذا الإصرار الكبير، على علم منه بان الأيام القادمة ستحمل بين طياتها فتناً وأحداثاً لا تثبت عليها القلوب ولا العقول، وان مناوئيه سيحاولون بكل وسيلة وطريقة رد الأمور على أدبارها، ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه.

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم يكن يشك أصحاب الشورى الذين مهدوا لقتل عثمان في أنّ مقاليد الأمور ستعود إليهم بمجرد الإطاحة بعرش عثمان، وعلى هذا الأساس بنيت قناعاتهم الشخصية، لذلك نرى عائشة بنت أبي بكر لما بلغها مقتل عثمان رددت كلمات تنم عن يقينها بان الأمة سوف لن تبايع إلا طلحة بن عبيد الله، قال اليعقوبي في تاريخه: (وكانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل، قالت: بعدا وسحقا، قالت: فمن بايع الناس قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع[1]. ثم لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت: والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه[2]. ثم رجعت إلى مكة...)[3].

وقال البلاذري: (...أبو يوسف الأنصاري أنه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا عليا عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة أن الناس بايعوا لطلحة، فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشا وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت

(١) تقصد بذلك طلحة بن عبيد الله.

(٢) أي والله ما كنت أبالي ان تقع السماء على الأرض.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٠خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

إلى سرف استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال صنعوا خيرا، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم عليا. فقالت: أو فعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال لها: ولم والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكرهين سلطانه فلم ترجع إليه جوابا وانصرفت إلى مكة فأتت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سميناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدا، فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خير منه فقتله، فقتل وقد ماصوه كما يماص الثوب الرحيض وصفوه كما يصفى القلب)[1].

وهذا الاطمئنان هو الذي حدا بطلحة بن عبيد الله ان يأخذ وبمجرد ان قتل عثمان مفاتيح بيت المال وأشياء أخرى وما ردها إلا بعد يأسه من صيرورة الإمارة إليه ومبايعة الناس لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قتل عثمان، كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعدا لنعثل وسحقا، إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه يا بن عم، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حثوا الإبل ودعدعوها. قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام)[2].

---

(١) انساب الأشراف للبلاذري ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢١٥ أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان.

وسبب هذا الانقلاب في موقف عائشة وبقية أصحاب الشورى هو تيقنهم بأن كل المساعي التي بذلوها للإطاحة بعثمان قد تبددت وصارت هواء في شبك، وان خلافة طلحة أو احد أصحاب الثورة قد فلت زمامها من أيديهم، واستقر بيد مناوئهم ومنافسهم، ومن بذلت الجهود ولسنين مديدة في سبيل إقصائه وبنيه عن الخلافة، وان خلافة الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه التي بانت طلائعها كانت تعني بالنسبة إليهم رجوع الحال إلى ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعني عودة أصحاب الشورى كسائر الناس وعوامهم ليس لهم فضل عليهم إلا بالتقوى.

إضافة إلى ان أصحاب الشورى وعائشة ومن لف لفهم كانوا على يقين بأن الخلافة ما دامت قد دخلت في صف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فلن تخرج منه ومن أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثانية ولا سيما بعد أن بايعه عامة الناس بكافة طوائفهم وميولهم ما يعني ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لم يعد وحده في ساحة الصراع كسابق عهده وهو اليوم يتمتع بحماية اجتماعية وله أنصار ومريدون من جميع أطراف المملكة الإسلامية.

فنتيجة لما سبق وغيره حاول هؤلاء ضرب هذه الخلافة الجديدة والإطاحة بها وقتلها في مهدها قبل أن يصلب عودها وتقوى شوكتها وتمتد جذورها وتثبت فروعها فيصعب عليهم حينئذ اقتلاعها، فأوقدوا نار الفتنة، وأشعلوا فتيل الحرب منذ اللحظة الأولى لخلافة سيد الوصيين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه، تلك الحرب التي انتهت بحمد الله سبحانه وتعالى بقتل رموز قادة النكث وهزيمة جيش البغي، ولم يحصلوا على مرادهم ولا وصلوا إلى غاياتهم.

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين

قد تبنت عائشة بنت أبي بكر قيادة التمرد على الدولة الفتية، عائشة التي كانت تمثل رأس الحربة التي مزقت حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وبعدها، عائشة التي أججت حربا ضروساً أكلت الأخضر واليابس، عائشة التي استطاعت أن تضعف الدولة العلوية عن طريق قتل خيرة أصحاب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأنصاره والمدافعين عنه في حرب الجمل، والذين كان أمير المؤمنين يبني عليهم الآمال ويشد بهم أركان دولته الفتية، عائشة التي كانت بحق أعنف خصم واجهته الدولة الجديدة، لان أفعالها وأقوالها وجميع تصرفاتها كانت تؤثر في العوام والسطحيين من المسلمين، ممن أدهشتهم هالة لقب أم المؤمنين، عائشة التي بلغ تقديس البسطاء لها درجة تحير ذوي الألباب، حتى صاروا يتبركون ببول وبعر جملها الذي كانت توجه الناكثين من فوق ظهره، كما قال الطبري: (طافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمونه ويقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك)[1]وقد استفادت عائشة من أمومتها للمؤمنين وبرعت في استغلال هذه المنزلة في قتل المؤمنين.

لكن عائشة مع كل ما كانت تتمتع به من قوة وقداسة وشعبية إلا أنها كانت ضعيفة أمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنزلته وقداسته في نفوس المسلمين لا سيما أولئك الذين عاصروا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسمعوا منه في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ما لا يحصى من المناقب والفضائل، وهذا الأمر كان يشعر عائشة بالضعف وخفة موازينها أمام ثقل موازين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فهي

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٣٠ خبر وقعة الجمل من رواية أخرى، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧ ذكر مسير علي إلى البصرة والوقعة.

باتت متأكدة بان حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه تختلف عن معركتها مع عثمان ابن عفان، فهي مع عثمان بن عفان كانت تتحرك من موقع القوة والقدرة أمام ضعف عثمان وكفته الخاوية الخالية من معظم امتيازات عائشة، أما في حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فإنها تتحرك من موقع الضعف، ولأجل الخروج من هذا الضعف ومعادلة موازين القوى بينها وبين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان عليها أن تكسب تأييدات جديدة تقوي بها شرعية تحركاتها، وتثقل بها كفة الصراع، لذا حاولت وبكل ما أوتيت من قوة ودهاء جر أرجل بعض الشخصيات وإقحامها في الصراع، فنجحت في إقناع البعض وفشلت في إقناع آخرين.

فدعت كلاً من حفصة وأم سلمة زوجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنجحت مع حفصة لولا أن أخاها وقف بوجهها وصدها عن الخروج، فبقيت في بيتها على كره وقلبها مع عائشة في كل خطوة تخطوها، قال الطبري: (وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت وبعثت إلى عائشة أن عبد الله حال بيني وبين الخروج فقالت يغفر الله لعبد الله)[1].

لكن عائشة فشلت في استقطاب تأييد أم سلمة رضوان الله تعالى عليها المعروفة بولائها لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قال ابن أعثم الكوفي: (وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا بين بيتك، وقد خبرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضا، فهل لك أن

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٧٠.

تسيري بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا قال: فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها: يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلبين والله لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعثلا، فما لك ودم عثمان وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ويحك يا عائشة أعلى علي وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار ثم جعلت أم سلمة رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل علي رضي الله عنه وعبد الله ابن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير، فقالت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلي بن أبي طالب حي وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة قط، فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني. أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا فقالت عائشة: اللهم نعم قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقي الله يا عائشة في نفسك واحذري ما حذرك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا. قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة إلى ذلك)[1].

ولا يكاد يخفى سبب دعوة عائشة لكل من أم سلمة وحفصة، فإضافة إلى إفضاء الشرعية على تمردها فانها كانت تهدف أيضا إلى إسكات المعترضين على

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٢ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

خروجها من بيتها تلملم الكتائب وتحضر مجالس الرجال تحرضهم ويحضر الرجال مجلسها، هاجرة لبيتها الذي قد أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقر فيه بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[1].

وعلى أي الأحوال فقد استطاعت عائشة أن تجمع حولها أهل الشقاق والنفاق من أهل مكة الذين لم يستقر الإسلام في قلوبهم يوما ولا ليلة، والذين طالما رفعوا السيف بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وها هي اليوم تستعين بهم على قتال أخيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، والتف حولها جمع كبير من رعاع الأمة وأعرابها الذين مردت قلوبهم على النفاق، فشقت بهم عصا المسلمين ونكثت بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسفكت دماء الآلاف من المسلمين لا لشيء إلا لان قلبها لم يكن يحب أمير المؤمنين الذي حبه إيمان وبغضه نفاق، ولان ابن عمها طلحة بن عبيد الله لم يصل إلى الكرسي كما أرادت من قبل وخططت.

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت

لقد كانت خلافة الإمام أمير المؤمنين مرة ثقيلة على جمع كبير من أهل الأهواء والطمع، إلا أنها كانت أمر وأثقل على آل أمية عموما وآل أبي سفيان على وجه الخصوص، لأسباب لا تخفى على القارئ اللبيب، وقد تعمد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنذ اليوم الأول لبيعة الناس له بالخلافة التعامل معهم بطريقة حازمة شديدة، لعلمه صلوات الله وسلامه عليه بأن آل أمية كالخلية السرطانية في جسد الإسلام، فإذا ما سمح لها بالبقاء فإنها ستنتعش وتتوسع وتقضي على سائر الخلايا الصالحة ثم لا تتوقف

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٢ ـ ٣٣.

إلى أن يموت الإسلام وتعود الأصنام على ظهر الكعبة تعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فقرر صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ـ وهو الحق ـ أن يستأصل هذا العضو الفاسد الذي جعل مال الله دولا وعباده خولا، فعزلهم عن كل ولاية كانت قد أوكلها إليهم من قبل الأمير المخلوع عثمان بن عفان، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة بإبقائهم كلهم أو إبقاء معاوية بن أبي سفيان لوحده إلى ان يتمكن من إدارة الدولة، فإذا تمكن استبدل من شاء وأبقى من شاء، وأجابه بقوله: (لا أداهن في ديني ولا أعطي الرياء في أمري)[1]، لان إبقاء عمال عثمان من آل أمية ولو ليوم واحد كان يعد في نظر أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إقراراً بأفعالهم ومشاركة في ظلمهم وهو ما لا يمكن ان يصدر عن أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

واستطاع أمير المؤمنين أن يعزل جميع ولاة عثمان إلا معاوية بن أبي سفيان فانه رفض الانصياع لقرار العزل والبيعة بالخلافة، وقد ساعده على تمرّده هذا قيام حرب الجمل وانشغال أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عنه، فحاول معاوية وباسلوبه الشيطاني المعهود أن يؤجج نار الجمل أكثر فأكثر، وان يمد في أمدها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فأرسل إلى الزبير سرا يحرضه للخروج عن بيعة علي ونكثها وقال له كما روى ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا، كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سر به،

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص١٩٧ ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام)[1].

وكتب في نفس الوقت إلى طلحة ما نصه: (أما بعد، فإنك أقل قريش في قريش وترا، مع صباحة وجهك وسماحة كفك، وفصاحة لسانك. فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين. والسلام)[2] فجعل معاوية بفعله هذا كلاً من طلحة والزبير يرى الإمارة من حقه ويتشوقها لنفسه ويعتقد بأنه المبايع له والمرغوب فيه دون صاحبه.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان يهدف من وراء إشعال الفتنة ما يأتي:

أولا: إشغال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن المطالبة له بالبيعة والتنحي عن ملك الشام ووضع العقبات بوجهه ريثما يعد العدة لمواجهة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

ثانيا: ان معاوية بن أبي سفيان لعنه الله كان يرجو ويحتمل ان يلقى علي حتفه في حرب الجمل، وهذا اكبر نصر لمعاوية وبه ستنحل أصل المشكلة.

ثالثا: قدر معاوية بن أبي سفيان وقد ساء ما قدر ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حتى لو خرج من معركة الجمل ناجيا بنفسه ولم يلق حتفه فانه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه ج ١٠ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

سيخرج على أقل التقادير منهكا ضعيفا منكسرا وحينها يستطيع معاوية القضاء على ما أبقته معركة الجمل بسهولة.

لكن الرياح لم تجر بما تشتهي سفن معاوية بن أبي سفيان، فقد نصر الله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على أعدائه، وقتل ابرز قادة التمرد، وانهزمت قائدة الجيش التي جاءت للمعركة على جمل وخرجت منها بلا جمل ولا عزة، وانصرف جيش أمير المؤمنين وقائده العظيم صلوات الله وسلامه عليه بمعنويات عالية وبخسائر اقل من المتوقع بكثير، فتيقن معاوية الطليق ابن الطليق ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أقوى مما كان يتوقع هو وأتباعه، وانه صلوات الله وسلامه عليه بعد حرب الجمل سيتفرغ له، وسيرغمه على التنحي، وان بعض الناس إذا كان قد دخلها الشك في قتال أصحاب الجمل لان عائشة في ضمن صفوفهم فانهم بالنسبة إلى قتاله لن يزدادوا إلا يقينا وبصيرة على يقينهم وبصيرتهم، وان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأفراد جيشه سوف لن يترددوا لحظة في قتله وقتل جميع من لا يرضى الانصياع للحق من أهل بيته، لذلك سعى لتحشيد كل داهية حوله ووظفهم للخلاص من سيف علي وسطوته من جهة والاحتفاظ بملك الشام والارتقاء منه إلى ملك جميع بلاد المسلمين من جهة أخرى، فالتف حوله عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وبقية الناجين من حرب الجمل، وأسس حلفاء في الكوفة نظير الأشعث بن قيس وأمثاله، لان المسألة كانت بالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان مسألة حياة أو موت.

واستمرت الكتب والمراسلات بين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومعاوية بن أبي سفيان وبذل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه غاية جهده لإعادة هؤلاء القاسطين إلى رشدهم وتجنيب الأمة كارثة دموية، لكن معاوية بذل غاية مجهوده للوقوف بوجه الحق واللجاجة والعناد وعدم الرضوخ لصوت العقل والسلم، فقرر أمير المؤمنين

صلوات الله وسلامه عليه مواجهته وسحق كبريائه واستئصال هذا العضو الفاسد.

فكانت المواجهة في صفين حيث جرت بين جيش الحق وجمع الباطل حربا طاحنة استمرّت أربعة عشر شهرا، قتل فيها والتحق بالنار تسعون ألف مقاتل من جيش معاوية، واستشهد من أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عشرون ألف مقاتل خمسة وعشرون منهم من الصحابة، وتفاصيل ما حدث فيها مذكورة في كتب التاريخ غير خافية، ولكن الذي يهمنا منها ان هذه الحرب الأموية التي فرضت على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد كانت سببا رئيسا في نشوء فتنة التحكيم الشهيرة، ونتيجة لهذه الفتنة ظهرت فئة جديدة على الساحة الإسلامية سموا بعد ذلك بالخوارج عليهم لعائن الله.

الخوارج الذين كانوا يمثلون انتكاسة واضحة عن الطريق المستقيم، الخوارج الذين كانوا يقرأون القرآن ولا يزيدهم ذلك الا بعدا عن الله سبحانه وتعالى لانهم لم يتعلموا من القرآن إلا الحروف، الخوارج الذين كانت جباههم سوداً من اثر السجود لكن قلوبهم خالية خاوية من خوف الله سبحانه وتعالى وحب أولياء الله، الخوارج الذين لم يستحلوا قتال أهل الشام لأنهم رفعوا القرآن على المصاحف لكنهم استحلوا ان يخوضوا معركة النهروان ضد القرآن الناطق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الخوارج الذين أراقوا دم أمير المؤمنين بضربة غادرة على رأسه خضبت منها شيبة لحيته المقدسة فارتكبوا بذلك أكبر فاجعة عرفتها البشرية بعد فاجعة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الخوارج الذين بفعلهم فقدت الأمة ثالث شخص من أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحققوا بذلك آمال وأحلام وأمنيات أصحاب السقيفة وأصحاب الشورى وأصحاب الجمل وصفين.

ثم تولى الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الخلافة، وبطريقة أوضحنا بعض تفاصيلها سابقا[1]، واضطر صلوات الله وسلامه عليه إلى ترك منصب الخلافة الظاهرية بعد أن أصرت الأمة وللمرة الرابعة بعد حادثة السقيفة على رفض المسير خلف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومهدت بذلك لقيام الدولة الأموية التي كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أول ضحاياها، وتبعه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لتكون نهاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أيديهم الآثمة.

وبهذا التفصيل المتقدم نستطيع ان نفهم كيف سارت عملية التمهيد لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتمكين من قتلهم واحدا بعد واحد، والذي بقيت آثاره إلى يوم الناس هذا، فكل دم من دماء الأئمة التسعة من ذرية الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل دم أريق لشيعتهم ومحبيهم كان سببه وأساسه هو ذلك التمهيد السابق ذكره، والكل مشارك فيه وللكل نصيب منه ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[2].

---

(١) في شرح عبارة (السلام عليك يا ابن سيد الوصيين) تحت عنوان كيف اثر لقب أمير المؤمنين على استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٨١ ـ ١٨٢.



بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الفقرة الشريفة

١: بَرِئْتُ

٢: إِلَى اللَّهِ

٣: وَإِلَيْكُمْ

٤: مِنْهُمْ

المبحث الثالث: تسعة معان محتملة لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الرابع: في علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟

بَرِئْتُ إِلى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي من الكلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت النصوص الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مصرحة بالبراءة من قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أشياعهم ومن أتباعهم ومن أوليائهم وأنصارهم وفيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة الدالة على صدق ما ورد في هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء.

منها ما رواه الكفعمي قدس الله روحه في المصباح حيث قال: (في زيارة عرفة وأما زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه فقل بعد الغسل والاستيذان ان كانت الزيارة من قرب: الله أكبر كبيراً والحمد لله حمدا كثيرا... سلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه و رسله والصالحين من عباده وجميع خلقه ورحمته وبركاته على محمد وأهل بيته وعليك يا مولاي الشهيد المظلوم لعن الله قاتلك وخاذلك برئت إلى الله عز وجل منهم ومن أفعالهم وممن شايع ورضى به واشهد أنهم كفار مشركون

والله ورسوله منهم براء)[1].

ومنها ما رواه العلامة المجلسي قدس الله روحه في بحار الأنوار: (عن الصادق عليه السلام قال: إذا وصلت إلى الفرات فاغتسل والبس أنظف ثوب تقدر عليه، ثم صر إلى القبر حافيا وعليك السكينة والوقار، وقف بالباب وكبر أربعا وثلاثين تكبيرة وقل: السلام عليك يا وارث آدم فطرة الله...لعن الله قاتلك وخاذلك، برئت إلى الله عز وجل منهم ومن فعالهم، وممن شايع ورضي به، وأشهد أنهم كفار مشركون، والله و رسوله براء منهم)[2].

وقد أصبحت مسألة البراءة من ظالمي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلتهم وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم جزءاً لا يمكن ان يتجزأ من العقيدة المجمع عليها في مذهب الإمامية الإثني عشرية، حتى ان بقية أجزاء الإيمان لا تقبل من دونها ولا يستغنى عنها بسواها، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (ويجب أن يتبرأ إلى الله عز وجل من الأوثان الأربعة، والإناث الأربعة، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، ويعتقد فيهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بجميع ما ذكرناه إلا بالتبري منهم)[3].

وقال قدس الله روحه أيضا: (واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة ومن الأنداد الأربعة ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله. ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله وبالأئمة إلا بالبراءة من أعدائهم واعتقادنا في قتلة الأنبياء وقتلة الأئمة أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار. ومن اعتقد فيهم غير ما ذكرناه

---

(١) المصباح للكفعمي ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٣) الهداية للشيخ الصدوق ص ٤٥ ـ ٤٦.

فليس عندنا من دين الله في شيء)[1].

فعبارة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ) متوافقة مع النصوص الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك متوافقة مع المجمع عليه من اعتقاد للفرقة الناجية.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الفقرة الشريفة

١: بَرِئْتُ

وردت للبراءة معانٍ عديدة في كتب اللغة نختار منها ما هو محتمل المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه ويتناسب مع أجواء زيارة عاشوراء.

الأول: بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال قال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان: (البراءة من الشيء المفارقة والمباعدة عنه: وبرئ الله من الكافر: باعده عن رحمته)[2]، وقال أبو حيان الأندلسي: (تبرّأ: تفعّل، من قولهم: برئت من الدين براءة: وهو الخلوص والانفصال والبعد)[3] وقال الجوهري في الصحاح: (وبارأت شريكي: إذا فارقته)[4].

الثاني: وقد تأتي بمعنى إزالة الشيء وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس، قال ابن العربي في تفسير سورة براءة: (فيقال: برئت من الشيء أبرأ براءة فأنا منه بريء

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) التبيان للشيخ الطوسي ج ١ ص ٢٤٤ عند تفسير قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال موسى لقومه) من سورة البقرة الآية ٥٤.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١ ص ٦٣٠.

(٤) الصحاح للجوهري ج١ ص٣٦ فصل التاء.

إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينه وبينك)[1].

الثالث: وقد تأتي بمعنى انقطاع العصمة، قال الشيخ الطبرسي قدس الله روحه في تبيان معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[2]: (انقطاع للعصمة، ورفع للأمان، وخروج من العهود)[3]، وقال الرازي: (معنى البراءة انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة)[4].

الرابع: وقد تأتي بمعنى التقصي عن الشيء الذي يكره مجاورته، قال الراغب الأصفهاني: (أصل البرء والبراء والتبري: التقصي مما يكره مجاورته)[5].

٢: إلَى اللَّهِ

ولفظ الجلالة (الله) معلوم المعنى عند كل واحد من المسلمين، و (إلَى) حرف جر ورد له في اللغة ثمانية معاني[6]نختار منها ما هو محتمل المراد من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه فمنها:

أولا: لانتهاء الغاية الزمانية أو المكانية[7]، أما الزمانية فكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[8]، وأما المكانية فمثل قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٤٤٦، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٣، فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١.

(٣) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج١ ص٧.

(٤) تفسير الرازي ج ١٥ ص ٢١٧ عند تفسير قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) المسألة الاولى، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٥ ص ٦ عند تفسير سورة براءة.

(٥) مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص٤٥ كتاب الباء وما يتصل بها.

(٦) راجع الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ص٣٨٥ الباب الثالث في الثلاثي.

(٧) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ج ١ ص ٧٤، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٤٤٤.

(٨) سورة البقرة الآية ١٨٧.

ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا﴾[1] واستعمل لانتهاء الغاية ولكن الاعتبارية والمعنوية منها[2]دون المادية والزمانية ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3] فالغاية الزمانية والمكانية هنا منتفية ولا يمكن حمل (إلى) عليها لان كلاً من المكان والزمان يختصان بالمادة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن خواص المادة وأعراضها، فلابد من حمل الغاية على ما هو معنوي غيبي.

ثانيا: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (مع) وذلك إذا ضممت شيئا إلى آخر[4]، نظير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[5]، أي من أنصاري مع الله، وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[6].

ثالثا: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (في)[7] ومنه كما قيل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[8]أي هل لك في أن تتزكى.

٣: وَإِلَيْكُمْ

والواو هنا عاطفة و(إِلَيْكُمْ) معطوفة على لفظ الجلالة (الله) والمعنى برئت إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبرئت إليكم، وضمير الجمع في (إِلَيْكُمْ) عائد إلى أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ المذكورين في الفقرات السابقة لهذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

---

(١) سورة الإسراء الآية ١.

(٢) مغنى اللبيب ابن هشام الأنصاري ج ١ ص ٧٥ ، تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى الخميني ج٥ ص ١٣١.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٦.

(٤) مغنى اللبيب لابن هشام الأنصاري ج ١ ص ٧٤ ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ص ٤٤٤.

(٥) سورة آل عمران الآية ٥٢.

(٦) سورة المائدة الآية رقم ٦.

(٧) مغنى اللبيب ابن هشام الأنصاري ج ١ ص٧٥.

(٨) سورة النازعات الآية رقم ١٨.

٤: مِنْهُمْ

وضمير الجمع في (مِنْهُمْ) يعود إلى كل من (الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت، والأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمة التي قتلتهم، والممهدين لهم بالتمكين من قتالهم).

وحرف الجر (مِنْ) نوعان في اللغة زائد وغير زائد، وغير الزائد ينقسم إلى أربعة عشر معنى[١]، وسنورد فيما يأتي بعض المعاني المحتملة المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها:

أولا: لابتداء الغاية، قال الزبيدي في تاج العروس: (ومن بالكسر حرف خفض يأتي على أربعة عشر وجها: الأول: لابتداء الغاية...وقد يجيء لمجرد الابتداء من دون قصد الانتهاء مخصوصا نحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فابتداء الاستعاذة من الشيطان مع قطع النظر عن الانتهاء غالبا)[٢].

ثانيا: لتبيان الجنس: (نحو قوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[٣] وعلامتها ان يحسن جعل الذي مكانها، لان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ومجيئها لبيان الجنس مشهور)[٤].

ثالثا: واستعملت (من) بمعنى (الفصل وهي الداخلة على ثاني المتضادين كقوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[٥] وقوله سبحانه وتعالى ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ

(١) الجنى الداني في حروف المعاني للحسين بن قاسم المرادي ص٣٠٨ الباب الثاني في الثنائي.

(٢) تاج العروس للزبيدي ج ١٨ ص ٥٥٢ مادة (من) بالكسر.

(٣) سورة الحج الآية ٣٠.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني للحسين بن قاسم المرادي ص٣٠٩ ـ ٣١٠ الباب الثاني في الثنائي.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

ٱلطَّيِّبِ﴾[1])[2].

رابعا: واستعملت (مرادفة عن كقوله تعالى ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[3] أي عن ذكر الله)[4].

هذه هي أهم المعاني لحرف الجر (من) والتي يمكن أن يحتمل إرادتها من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه وبها ينتهي هذا المبحث.

المبحث الثالث: تسعة معان محتملة لهذه الفقرة الشريفة

يمكن ومن خلال المعنى اللغوي السابق ان نجد تسعة معانٍ محتملة لقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) نستعرضها فيما يأتي:

المعنى الأول: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: البراءة بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

جيم: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (فارقت وتباعدت وانفصلت ببدني وعقيدتي وكل ما لي من شأن من شؤون دنياي وآخرتي عن الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعن الأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وعن الأمة التي قتلتهم

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

(2) تاج العروس للزبيدي ج ١٨ ص٥٥٥.

(3) سورة الزمر الآية رقم ٢٢.

(4) تاج العروس للزبيدي ج١٨ ص٥٥٥ مادة من بالكسر المعنى العاشر.

وعن الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، ومنتهى غايتي ومحض نيتي من مفارقتي لهؤلاء القوم وتباعدي عن هذه الأمم المنحرفة الضالة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

المعنى الثاني: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: البراءة بمعنى إزالة الشيء وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (قطعت وأزلت عن نفسي كل سبب وطريق وعلقة مادية أو معنوية يمكن أن تربطني أو تجمع ما بيني وبين الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وما بيني وبين الأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها، وما بيني وبين الأمة التي قتلتهم وما بيني وبين الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، وغايتي بل ومنتهى غايتي من قطع كل سبب وعلاقة مع هؤلاء القوم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

المعنى الثالث: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: البراءة بمعنى التنزه عن الشيء فيقال: (برئ إذا تنزه وتباعد)[1].

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية أو المعية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (تنزهت وتكرمت وتعاليت عن ان أكون مؤسسا لظلم أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أو مشاركا، ولأشخاصهم المقدسة قاتلا، وعن مراتبهم ومقاماتهم الشريفة المنيفة دافعا ومزيلا، ولقاتليهم ممهدا

(١) لسان العرب لابن منظور ج١ ص٣٣ فصل الباء الموحدة.

ومعينا، تنزهت منهم ومن أفعالهم وأقوالهم وجرائرهم وجرائمهم، وكل ما صدر عنهم وكان له دخل في تأسيس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو دفعهم أو قتلهم أو التمهيد لقتلهم، وغايتي في تنزهي عن كل ذلك هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وإذا اتضح لنا ان معنى التنزه هو تكريم النفس عن الشائنات[1] فتكون الزيارة الشريفة بصدد إثبات حقيقتين:

الأولى: ان هذه الأفعال التي قام بها هؤلاء المؤسسون والدافعون لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والغاصبون لحقوقهم ومراتبهم والقاتلون لهم والممهدون لقتالهم، هي أفعال مشينة معيبة يجب على المؤمن التنزه والتباعد عنها وعن أمثالها.

والثانية: إن هذه الأفعال المشينة لا تأتي جزافا ولا تصدر إلا ممن خبثت سريرته وكان باطنه مشيناً مثل ظاهره، وان ظهور تلك الأفعال المشينة يكشف عن بواطن أولئك المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويدل على أن بواطنهم أيضا مشينة، فيجب على المؤمن أن ينزه داخله وباطنه من أن يكون هكذا.

وتصريح الزائر بالبراءة منهم هو إعلان منه بأنه طاهر الفعل والقصد تجاه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتجاه مقاماتهم ومراتبهم، وانه طاهر النفس عن كل وليجة دونهم.

المعنى الرابع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار إجماع المسلمين على ان الله سبحانه وتعالى فرض على عباده المؤمنين عداوة أعدائه وولاية أوليائه فقال سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٥١٢ فصل الكاف.

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (إن براءتي لهؤلاء المؤسسين والدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم، وقاتليهم والممهدين لغيرهم من قتالهم، هي في الله ولله سبحانه وتعالى، وفي أهل البيت ولأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي تطبيق عملي لقاعدة الحب والبغض في الله سبحانه وتعالى، والتزام عملي بتعاليم القرآن الكريم الذي اوجب على أهل الإيمان أن يتبرؤوا ممن حاد الله سبحانه وتعالى واستجلب غضب الله سبحانه وتعالى بمحاربة أوليائه).

المعنى الخامس: وإذا أخذنا في نظر الاعتبار ما يأتي:

ألف: البراءة معنى الإعذار والإنذار[3].

باء: وفهمنا من الإعذار والإنذار معنى البلاغ والإعلان[4].

فيصبح المعنى: (إعلان وبلاغ من قبل الزائر إلى الله سبحانه وتعالى بأنه بريء من هؤلاء الذين تم لعنهم سابقا. وان الزائر في نفس الوقت يعلن لأولئك الملعونين

(١) سورة الممتحنة الآية رقم ١٣.

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج١ ص٣٣ فصل الباء الموحدة.

(٤) هذا المعنى مأخوذ من تفسير قوله تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وقد فسرت بمعنى بلاغا كائنا من الله أو بلاغا من الله (راجع: تفسير جامع الجوامع للشيخ الطبرسي ج٣ ص٦٥٨، وتفسير الرازي ج٣٠ ص١٦٥، تفسير الآلوسي ج٢٩ ص٩٤).

ويبلغهم بأنه ليس منهم، وان العهود والأسباب والعلائق ما بينه وبينهم منقطعة، وانه منذر لهم من مغبة ظلمهم لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وقتلهم، وانه حرب لهم بسبب قطعهم لعهود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وان هذه الحرب والمفارقة والرفض ليست مخبئة مكتومة في نفس الزائر، كما يكتم الخائف والجبان ما في نفسه، بل هو موقف صريح معلن، إذ ان النصرة لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ والرفض لمخالفيهم وظالميهم وقاتليهم مما لا يستحى منه يخفيه الزائر الموالي، وان القاتل والظالم والممهد لقتل أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ هو من يلزمه الاستحياء والخوف من فعله وموقفه، لأنه من المواقف المشينة التي يتكرم الإنسان المؤمن عن الاتصاف بها).

المعنى السادس: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى ابتداء الغاية من دون قصد الانتهاء، فيكون معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (ان ابتداء براءتي منهم مع قطع النظر عن الانتهاء لان براءتي لا تتوقف عند هؤلاء البتة، بل سيكون لها استمرارية ودوام لكل من يتصف بأوصافهم ويفعل أفعالهم).

المعنى السابع: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى تبيان الجنس فيكون قصد الزيارة هو: (برئت إلى الله واليكم من الأمة لكن لا مطلق الأمة بل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ومن الأمة التي دفعتهم عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ومن الأمة التي قتلتهم ومهدت لقتالهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

المعنى الثامن: وإذا أخذنا من حرف الجر (من) معنى الفصل، وهي الداخلة على ثاني المتضادين فيكون قصد الزيارة هو تبيان ان هنالك طرفين متضادين، الأول هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، والثاني هم كل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت والأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن

مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمة التي قتلتهم ومهدت ومكنت الآخرين من قتالهم، ولابد وحسب القاعدة العقلية أن يتولى الزائر أحد هذين الطرفين، فإذا تولى أحدهما لزم وبحسب الفرض العقلي ان يتبرأ من الطرف الآخر، لأنهما شيئان متضادان والمتضادان لا يجوز اجتماعهما في مكان واحد وفي وقت واحد، قال سبحانه وتعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

المعنى التاسع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: أخذنا في البراءة معنى الانفصال عن الشيء.

باء: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

جيم: وأخذنا في نظر الاعتبار تلك الروايات التي تحدثت عن الطينة التي خلق الله سبحانه منها الناس وكيف فصل بين طيبها وخبيثها بحسب الولاء والبغض لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(٢).

---

(١) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

(٢) جاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ١ص ٣٨٩: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا). وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:(إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية:«كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ، وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ»).

فيصبح المعنى كالتالي: (انفصلت طينتي التي خلقت منها عند الله في ابتداء خلق هذا العالم عن طينة هؤلاء الذين قد تم لعنهم فيما سبق وبسبب هذا الانفصال حن قلبي إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم أصبح لظلمهم مؤسسا ولا لمقاماتهم منكرا ولا لهم عن منازلهم دافعا ولا للغير في سبيل قتلهم ممهدا ولا لإراقة دمائهم وإزهاق نفوسهم القدسية ممكنا).

ولا يخفى ان هذا المعنى يستبطن استذكار هذه النعمة الجليلة والمنة العظيمة من قبل الزائر والتي تستدعي الشكر للمنعم والشعور بالعطف الإلهي لأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن للقارئ أن يجد معاني أخرى لهذه الفقرة من الزيارة فيما لو ضم معنى لغويّاً إلى معنى آخر بالطريقة التي اتبعناها في شرح هذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

المبحث الرابع: في علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

لما استعرضت الزيارة في الفقرات السابقة أحوال الذين قد تم لعنهم، وعرفت الزائر كثيرا من جرائرهم وجرائمهم، صار من اللازم تحديد وتبيان الموقف الشرعي الذي لابد أن يتخذ تجاههم، فصاغت الزيارة هذا الموقف بقالب البراءة والرفض لأشخاص وأفعال أولئك الملعونين، وهذا التبرؤ ورفع الأمان والخروج عن العهود والمواثيق بين الزائر وبين هؤلاء الملعونين لم يكن رفعا جزافيا وإبطالا لغويا من دون سبب يبيحه، وداع يوجبه، ونحن فيما يأتي نستعرض جملة من الأسباب التي جوزت للزائر التبرؤ والخروج عن العهود والمواثيق ورفع الأمان ما بينه وبينهم:

السبب الأول: لخيانتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه

إن الله سبحانه وتعالى قد أجاز التبرؤ ونقض عهد الذين يخاف منهم الخيانة قال تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(1)، وأولئك الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذين دفعوهم عن مقاماتهم ومنازلهم، والذين قتلوهم ومهدوا لقتلهم، لا يخاف منهم الخيانة فحسب بل ان هذه الخيانة قد وقعت منهم فعلا، فجواز النقض في موردهم واضح لا شك في جوازه.

وقد عرفنا في المباحث السابقة ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ على الناس ميثاق المحبة والنصرة والدفاع والحفاظ على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديمهم على غيرهم في كل الأمور صغيرها وكبيرها، وعليه يصبح قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديم غيرهم عليهم وتأخيرهم وإبعادهم عن مراتبهم وإزالتهم عن منازلهم هو نقضاً لذلك العهد وتبرؤا من الميثاق، والناقض للعهد ليس له جزاء إلا نقض بنقضاً، والمتبرئ من الميثاق لا يقابل إلا بالبراءة منه.

السبب الثاني: وجب التبرّؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم

كتب الله سبحانه وتعالى على نفسه أن لا يظلم من الخلق أحدا، قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾(2) وقال سبحانه وتعالى أيضا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾(3) وكتب على عباده ان لا يظلم بعضهم بعضا، وكتب ان من يتلبس بشيء من الظلم يحكم عليه بالبعد عن

(1) سورة الأنفال الآية ٥٨.

(2) سورة آل عمران الآية ١٠٨.

(3) سورة غافر الآية ٣١.

الرحمة والسخط ما دام مقيما على ظلمه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فيكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك بريئاً من ظُلم من ظَلم أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وعدوان من اعتدى عليهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، متنزّها عن ان يكون قد أمر به أو رضيه تعالى عن ظلم أوليائه وأصفيائه بل وسائر عباده.

ومن تبرأ منه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جاز للعباد التبرؤ منه تخلقا بأخلاق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتطبيقا لآيات القرآن الكريم الذي أوجب على المؤمنين ان يتخذوا الموقف ذاته الذي يتخذه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تجاه الظالمين والمفسدين والمحاربين والمؤذين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2] وكذلك عملا بأقوال أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ القاضية بوجوب ان يتبرأ المؤمن من كل من يتبرأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منه والى هذا المعنى يشير الإمام الصادق صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بقوله: (اللهم إني أشهدك بالولاية لمن واليت ووالته رسلك واشهد بالبراءة ممن برئت منه وبرئت منه رسلك ...)[3].

السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منهم

أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نبيه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا يجامل أهل الظلم والجور والعصيان وان لا يداهنهم فيطمع الذي في قلبه مرض منهم، وان يقف منهم موقف الحزم والجد والقوة، وان يعلن وعلى رؤوس الأشهاد انه بريء من ظلم كل ظالم، وعصيان كل عاص، حتى لا يحتسب ظلمهم وعصيانهم على

(١) سورة ال عمران الآية رقم ٥٧.

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٦٢، بحار الأنوار للمجلسي ج٩٧ ص٣٠١.

الشريعة الإسلامية الآمرة بالقسط والعدل والإحسان والمنزهة مشرعها ومبلغها عن ظلم الظالمين وعصيان العاصين فقال سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله الأكرم ونبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١) وقد تكرر ذكر ان أعظم مصاديق الظلم والعصيان لأوامر الشريعة هو القتل وإراقة الدماء التي أمر الله بحفظها، وأقبح القتل وأعظمه هو قتل الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون داخلا في العصيان الذي أعلن القرآن براءة النبي الأعظم منه ومن فاعله والمتلبس به.

وكذلك يدخل في باب معصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل من دفعهم عن مقامهم ومنازلهم التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهم خاصة دون العالمين، وكل من مهد لقتلهم وقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد سمعت الأمة من نبيها الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولسنين طويلة تأييده المطلق وتقديمه وإحاطته بالرعاية والحفظ والشفقة لأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون عمل الأمة على خلاف منهج نبيها صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومخالفة وصيته فيهم من أوضح مصاديق العصيان لأوامر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون دخوله في قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢) ما لا شك فيه ولا ريب.

ومن برئ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجب على المؤمنين التبرؤ منه امتثالا لقوله سبحانه وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٣).

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٦.

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.

السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي

ان البراءة من مؤسسي الظلم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والدافعين لهم عن مقاماتهم ومنازلهم ومراتبهم التي رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وقتلتهم والممهدين لقتلهم وقتالهم، وجبت لان أفعالهم الشائنة ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحد ذاتها وبقطع النظر عن رأي الشارع المقدس تستحق بل ويجب أن يتبرأ منها، فقد ثبت في محله ان كلاً من الحسن والقبح عقليان، فالعقل يحكم وبغض النظر عن رأي الشرع ونصوصه على حسن الصدق وقبح الكذب وحسن رد الوديعة وقبح خيانة الأمانة، وحسن حفظ النفس المتصفة بالخير والصلاح وقبح إزهاقها، وحسن رعاية العهود والمواثيق وقبح نقضها، وحسن الرعاية لأهل الكمال والفضل وقبح التخطيط لقتلهم وقتالهم واستبدالهم بالأشرار، ومن كابر في قبول ذلك فقد أنكر عقله وغالط فطرته السليمة.

ولا يشك ذو عقل مستقيم وفطرة سليمة ان قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بوصفهم من أهل الفضل والكمال والصلاح هو من أوضح مصاديق القبح، وكذلك يقبح عند ذوي العقول والألباب دفع أهل الحق عن حقهم، والتمهيد للأشرار في سبيل قتل الأخيار، وتأسيس الظلم والجور على أهل الصلاح والخير، وإذا ثبت قبح كل ذلك وجب التنزه عنه، والتكرم والترفع والبراءة منه، وعدم التنزه والترفع عن القبيح بعد معرفته قبيح عقلا.

السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب

ترددت كلمات الأعلام في تعريف الناصبي إلى معنيين، الأول هو: الذي ينصب العداوة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لأحدهم ويدين ببغضهم ويستحل

دماءهم ويكره ذكر فضائلهم.

والمعنى الثاني هو: الذي يلحق الضرر بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم ومحبيهم بسبب حبهم لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي هذا الصدد يقول الشهيد الثاني قدس الله روحه: (والمراد به من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام أو لأحدهم وأظهر البغضاء لهم صريحا أو لزوما ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم والإعراض عن مناقبهم من حيث إنها مناقبهم والعداوة لمحبيهم بسبب محبتهم، وروى الصدوق ابن بابويه عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحدا يقول أنا أبغض محمدا وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا»)[1].

ويقول المحقق المتبحر محمد أمين الأسترآبادي قدس الله روحه: (وقعت مشاجرة عظيمة من غير فيصل بين المتأخرين من أصحابنا في تحقيق معنى الناصبي، فزعم بعضهم أن المراد به: من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام. وذهب بعضهم إلى أن المراد به من نصب العداوة لمذهب الإمامية. وفي الأحاديث تصريحات بالثاني[2]. ومن قال بالأول كان قليل البضاعة في أحاديثنا الواردة في الأصولين. ومن الأحاديث الصريحة فيما اخترناه ما نقله الشيخ الصدوق في كتاب العلل حيث قال: ...عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلا يقول: أنا أبغض محمدا وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا...)[3].

---

(١) روض الجنان للشهيد الثاني ص١٥٧ حكم أسآر الحيوانات.

(٢) أي بالذي ينصب العداوة لمذهب الإمامية بشكل عام.

(٣) الفوائد المدنية والشواهد المكية لمحمد أمين الأسترآبادي ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ تحقيق معنى الناصبي.

ولسنا في هذه الصفحات بصدد ترجيح احد الأطراف على الطرف الآخر، بل لتبيان ان أي معنى من معاني النصب أخذنا به فانه يشمل وبوضوح كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك يشمل كل من دفعهم وأزالهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وكل من قتلهم ومهد لقتلهم.

والناصبي كافر بإجماع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء المذهب الحق وشيعتهم، والكافر يجب البراءة منه ويحرم على المؤمن مودته وولايته لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2]، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[3]، ولقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في عمل يوم الغدير: (برئت إلى الله من كل من نصب لهم[4] حربا من الجن والإنس من الأولين والآخرين)[5].

السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم في أفعالهم

وتجب على المؤمن البراءة من كل من مر لعنه في الفقرات السابقة للزيارة حتى لا تلحقه جرائرهم ولا يشاركهم في ظلمهم فتشمله عقوبتهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)[6] ولقوله

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨.

(٢) سورة النساء الآية ١٣٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٤.

(٤) أي لأهل البيت عليهم السلام.

(٥) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج٢ ص٢٧٨، بحار الأنوار للمجلسي ج٩٥ ص٢٩٩.

(٦) بحار الأنوار للمجلسي ج٦٥ ص١٣١، جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج١٣ ص٤٢٦.

صلى الله عليه وآله وسلم : (من عمل بالمعاصي بين ظهراني قوم هو منهم لم يمنعوه من ذلك حتى يغيروا المنكر فقد برئت منهم ذمة الله)[1].

والبراءة نوع من أنواع الإعراض والنهر والرفض لأشخاص وأعمال هؤلاء الملعونين وهو راجح شرعا بل هو واجب فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من اعرض عن صاحب بدعة بغضا له ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما انزل الله على محمد)[2].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم ...)[3].

والبراءة وعدم تولي أعداء الله سبحانه وتعالى والتنزه عن جرائمهم وجرائرهم بهدف أن لا يشمل بالسخط معهم ويعمه الغضب والعذاب لأجل الرضا بفعالهم هي قاعدة قرآنية أمر الله سبحانه وتعالى عباده باتباعها وتطبيقها بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى أيضا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[5].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٨ ص١٨٦، مسند الشاميين للطبراني ج١ ص٣٠٢، كنز العمال للمتقي الهندي ج٣ ص٨٣.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج٣ ص٨٢.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٣٧٥، بحار الأنوار للمجلسي ج٧١ ص٢٠٢.

(٤) سورة المائدة الآية رقم ٥١.

(٥) سورة النساء الآية رقم ١٤٤.

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢).

وتوجد أدلة أخرى تركناها خوف الإطالة والخروج عن حد الاعتدال، وفيما ذكر في هذا المبحث كفاية لمن تدبر.

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟

هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعه؟

لم نجد فيما تتبعناه ضابطة منطقية أو عقلية منصوصة ومتفقاً عليها يمكن أن يعول عليها في التفريق ما بين أصول الدين وفروعه، اللهم إلا بعض الأمور التي ذكرت هنا وهناك والتي ربما يمكن الرجوع إليها لتحديد المائز ما بين أصول الدين وفروعه، وسنذكر فيما يأتي بعض ما يمكن ان يكون فارقا ومائزا وعليها سنعول في مسألة تصنيف البراءة والولاية تحت مسائل أصول الدين أو فروعه.

أولا: الأصول هي الأسس الفكرية العقائدية والفروع هي السلوكيات الشرعية

فقد يكون معنى الأصول هي تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامي، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكري تدخل في

(١) سورة التوبة الآية رقم ٢٣.

(٢) سورة الممتحنة الآية رقم ١.

مسائل أصول الدين، أما فروع الدين فهي تلك الأحكام والمسائل التي شُرِّعت لتوجيه سلوك الإنسان العملي والعبادي وتنظيم حياته الفردية والاجتماعية وإرشاده إلى ما فيه خيره وصلاحه.

ثانيا: الأصل هو الذي ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه

وقد يكون معنى أصول الدين مأخوذة من أصل البناء والأساس الذي ان فقد لم يبق للبناء وجود، أما الفروع فهي بقية البناء الذي يعتمد في وجوده على وجود تلك الأصول، فالصلاة بكل أحكامها وتفريعاتها وأفعالها تعتمد على أصل النبوة وكذلك الحال بالنسبة للصيام والحج والعمرة والجهاد وغيره، فلولا وجود النبي والنبوة لما وجد عندنا أمر بالصلاة وغيرها، والذي يستتبع بدوره وجود أحكام ومسائل تشرح وتفصل للمكلف كل ما يتعلق بهذا الأمر الإلهي.

ولنفس الأصول توجد أصول ترجع إليها، فالإمامة مثلا وان كانت أصلا من أصول الدين إلا أنها متفرعة من أصل آخر هو النبوة، وكذلك النبوة وان كانت أصلا من الأصول إلا أنها متفرعة من أصل وجود خالق للكون عادل حكيم، فلولا وجود الله سبحانه لما وجدت النبوة ولولا النبوة لما وجدت الإمامة، ولولا الكل لما وجد المعاد، فيتلخص مما مر ان للفروع أصولاً ترجع إليها كما ان لنفس الأصول أصولاً تتفرع عنها.

ثالثا: الأصول هي التي يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية

وربما اخذ في أصول الدين قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلا عقليا وليس شرعيا، على اعتبار ان الأدلة الشرعية متأخرة في الرتبة الوجودية عن

الأصول الاعتقادية، فالدليل القرآني أو الروائي متفرع عن أصل النبوة أو الإمامة، فلا يمكن ان يستدل به على إثبات النبوة، أو التوحيد، أو العدل، للزوم الدور في ذلك[1]، فلابد من اعتماد الأدلة العقلية في إثبات الأصول الاعتقادية، ويكون الاستفادة من الدليل الروائي للتأييد أو لإثبات تفريعات ذلك الأصل، كإثبات كثير من مسائل المعاد، فأصل المعاد وان كان قد دل العقل عليه إلا أن كثيرا من تفريعاته وتفصيلاته ثبتت بالدليل النقلي، كوجود الصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك، وثبوتها بالدليل النقلي لا يخرجها عن كونها من مسائل أصول الدين.

أما فروع الدين فغير مأخوذ فيها قيد أن يكون الدليل الدال على ثبوتها دليلا عقليا، وعليه فيمكن أن يثبت الفروع بالدليل العقلي والنقلي القطعي أو الظني على تفصيل مذكور في محله.

هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟

يمكن لنا ان نجد ثلاثة معان للولاية والبراءة من حيث سعة أو ضيق ما يندرج تحتها من مصاديق:

الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام

وبملاحظة ما تقدم يمكن ان نعدّ مسألة البراءة والولاية بمعناها العام مسألة من مسائل أصول الدين لدخولها في ضمن أصول الدين المجمع على أصوليتها، فالتوحيد لا يتم ما لم يتبرأ المؤمن من كل شريك لله سبحانه وتعالى في الوجود أو التصرف أو العبادة،

---

(١) يمكن تصوير الدور بهذه الصورة، فإثبات النبوة متوقف على الدليل الروائي، واثبات الدليل الروائي متوقف على النبوة، فيتوقف إثبات النبوة على إثبات النبوة، وتوقف الشيء على نفسه دور صريح.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(١)، بل ان شهادة التوحيد (أشهد ان لا اله إلا الله) هي عبارة عن شقين شق براءة وشق ولاية، ولا يتم هذا الأصل من أصول الدين إلا بهما، فلا تردد حينئذ من دخولهما ـ الولاية والبراءة ـ في جملة مسائل أصل التوحيد، بل هما جوهر هذا الأصل ولبه، وكذلك أصل النبوة والإمامة والمعاد لا يتم ولا يكتمل الاعتقاد به إلا بتفعيل مسألة الولاية والبراءة.

الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص

أما البراءة والولاية بمعناها الخاص القاضي بولاية عموم أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والبراءة من عموم أعداء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو الولاية بمعناها الأخص والقاضي بولاية أولياء أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين والبراءة من أعدائهم، فإنها وبلا أدنى شك جزء لا يتجزأ من أصلي النبوة والإمامة، وقد وردت أقوال الأعلام رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم صحيحة صريحة بان جميع الأصول الاعتقادية لا تتم إلا بالتولي والتبري، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ: (ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله وبالأئمة إلا بالبراءة من أعدائهم)(٢)وما لا يتم الأصل إلا به فهو أصل أيضا.

الدليل العقلي يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتي الولاية والبراءة

ذكرنا فيما سبق ان أصول الدين مأخوذ فيها قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلا عقليا وليس شرعيا، ومسألتا الولاية والبراءة، تدخلان في ضمن هذا القانون، وقد تقدم في المبحث الرابع وفي ضمن السبب الرابع من أسباب البراءة

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٩.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

من الأمم التي لعنت في فقرات زيارة عاشوراء، أن العقل ومن دون الاعتماد على أي دليل شرعي يستقل بالحكم على لزوم تولي الصالحين والتبرؤ من الطالحين، أو وجوب تولي الحق وأهله، والبراءة من الباطل وأهله، وما دل على وجوب ذلك من الأدلة الشرعية يكون مؤيدا ومنطبقا مع حكم العقل وأدلته.

القرآن صنّف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول

تقدم فيما سبق ان إحدى الفوارق التي على أساسها يمكن التمييز بين أصول الدين وفروعه هي ان الأصول عبارة عن تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامي، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكري تدخل في مسائل أصول الدين، والقرآن الكريم في آياته المباركة جعل الولاية والبراءة جزءاً من أجزاء الإيمان، وبين وبكل وضوح ان الإيمان الذي لا ترافقه البراءة والولاية إيمان ناقص بل إيمان لا يعتد به قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2].

الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام

تقدم ان معنى أصول الدين مأخوذ من أصل البناء والأساس الذي إن فقد لم يبق للبناء وجود، والأحاديث الشريفة عن المعصومين صَلَوَاتُ ٱللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ جعلت مسألة البراءة والولاية من دعائم الإسلام وقرنوها بالشهادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالوحدانية وللنبي

(١) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٨١.

صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وللائمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالإمامة، فعن عيسى بن السري قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي ولم يضرني جهل ما جهلت بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة[1]، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فكان علي عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا قال: وأهوى بيده إلى صدره يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن)[2].

وعن إسماعيل الجعفي قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله، فقال: الدين واسع ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم، قلت: جعلت فداك فأحدثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله وأتولاكم وأبرأ من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمر عليكم وظلمكم حقكم، فقال: ما جهلت شيئا هو والله الذي نحن عليه، قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا المستضعفين، قلت من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم)[3].

---

(١) لعل المقصود من الزكاة هنا هو أصل الاعتقاد بها لا أداؤها الذي هو من الفروع.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٢١ باب دعائم الإسلام الحديث رقم ٩.

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٥ باب المستضعف الحديث رقم ٦.

قال الشيخ الأنصاري قدس الله روحه بعد ذكر هذا الحديث: (فإن في قوله عليه السلام «ما جهلت شيئا» دلالة واضحة على عدم اعتبار الزائد في أصل الدين)[1] وكلامه قدس الله روحه صريح في إدراج كل واحد من الأمور التي ذكرت في الرواية في ضمن أصول الدين، والولاية والبراءة منها فيشملهما حكمه السابق قدس الله روحه.

تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين

ويدل على كون البراءة والتولي من مسائل أصول الدين لا فروعه إضافة إلى قول الشيخ الأنصاري قدس الله روحه والذي تقدم كلامه آنفا، ما صرح به العلامة المجلسي قدس الله روحه عند تعليقه على الرواية التالية: (عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض، ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[2].

قال العلامة المجلسي قدس الله روحه: (تبيان: «عن الحب والبغض» أي حب الأئمة عليهم السلام وبغض أعدائهم أو الأعم منهما ومن حب المؤمنين والطاعة، وبغض المخالفين والمعصية، والغرض من السؤال إما استعلام أن الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام ومحبتهم، والتبري عن أعدائهم هل هما من أجزاء الإيمان وأصول الدين كما هو مذهب الإمامية؟ أو من فروع الدين والواجبات الخارجة عن حقيقة الإيمان كما ذهب إليه المخالفون...)[3].

---

(١) فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ج١ ص٥٦٤ عدم اعتبار معرفة التفاصيل في الإسلام والإيمان للأخبار الكثيرة.

(٢) سورة الحجرات الآية ٧.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٦ - ص ٢٤١.

انتهى محل الشاهد من كلامه رفع الله في الجنة مقامه، وفيه ما لا يخفى من جعل مسألتي الولاية والبراءة من مسائل الأصول ونسب القول بأصوليتهما إلى مذهب الإمامية، واعتبر القول بعدّهما من الفروع والواجبات الخارجية هو مذهب العامة المخالفين لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد عد الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألتي الولاية والبراءة في كتابه (المقنعة) من مسائل أصول الدين، فقد قسم كتابه على شكل أبواب بدأها بالباب الأول وتحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في إثبات المعبود وصفاته) ثم عطف عليه الباب الثاني تحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في أنبياء الله ورسله) وتبعه بالباب الثالث الذي سماه (ما يجب في اعتقاد الإمامة) وتبعة بالباب الرابع الذي وضع له عنوان (ما يجب من ولاية أولياء الله) ثم تبعه بالباب الخامس تحت عنوان (ما يجب من اعتقاد المعاد والجزاء) ثم وبعد ان استوفى الكلام حول الأصول الاعتقادية شرع في الباب السادس وتحت عنوان (ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) وجعل الكلام في الباب السابع حول أول تلك التكاليف والأحكام وسماه (فرض الصلاة) وهكذا ترقى في بحث بقية أحكام الشريعة وأجزاء فروع الدين.

ومحل الشاهد في ذكر هذا التفصيل هو جعل الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألة الولاية أولياء الله والتبري من أعداء الله بين أصلين من أصول الدين، بين الإمامة والمعاد ولم يذكرهما في ضمن مسائل فروع الدين أو ما سماه قدس الله روحه بـ(ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) فلو كان قدس الله روحه يعتقد بدخولهما ضمن فروع الدين لما كان يحسن منه ذكرهما ضمن الأصول الاعتقادية، فيكون ذكرهما في الأصول دليلاً على عدّه قدس الله روحه واعتقاده بأنهما من مسائل أصول الدين فتأمل.

لماذا عدّ البعض مسألتي الولاية والبراءة من فروع الدين؟

اتضح مما سبق ان الولاية والبراءة فكر وعقيدة قبل أن يكونا فعلاً من أفعال الجوارح، وهما منهج عقلي وفكري قبل ان يكونا منهجاً عملياً خارجياً، ولعل نظر بعض الأعلام في تصنيف الولاية والبراءة في مسائل فروع الدين ناظر إلى ارتباط وانعكاس هاتين المسألتين ـ التولي والتبري ـ على أفعال الإنسان الخارجية المحكومة بواحد من الأحكام الخمسة[1]، إذ إن لكل مبدأ فكري عقائدي تطبيقات خارجية تكون داخلة يقينا تحت حكم من تلك الأحكام الخمسة، فالاعتقاد بالصلاة بكونها أمراً جاء به النبي الأعظم من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ داخل تحت أصل النبوة والتصديق بكل ما جاء به، أما انعكاس هذا الاعتقاد على أفعال الإنسان يستلزم قيام الإنسان المصلي بأفعال وأعمال خارجية كالوضوء والتوجه نحو القبلة والقراءة والركوع والسجود وغير ذلك، ويستلزم كذلك تحصيل بعض الشروط كخلو البدن ولباس المصلي عن النجاسة وغير ذلك، كل هذه الأفعال والمقدمات والشروط الخارجية حينما تتجسد في الخارج تدخل في ضمن مسائل فروع الدين، ليحكم على كل واحد منها بأحد الأحكام الخمسة.

فمسألتا الولاية والبراءة ما دامتا اعتقاداً يسكن الروح ويقطن في عقل الإنسان وقلبه أمكن وبلا أدنى شك عدّهما من مسائل أصول الدين، أما حينما تنعكس هاتان المسألتان على سلوك الفرد وأفعاله الخارجية فأنهما تدخلان وبلا أدنى شك في مسائل فروع الدين وتلحقهما إحدى الأحكام الخمسة.

---

(١) الأحكام الخمسة هي الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة.

المحتويات

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْدِ اللهِ

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ وَابْنَ ثَأْرِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ

السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ